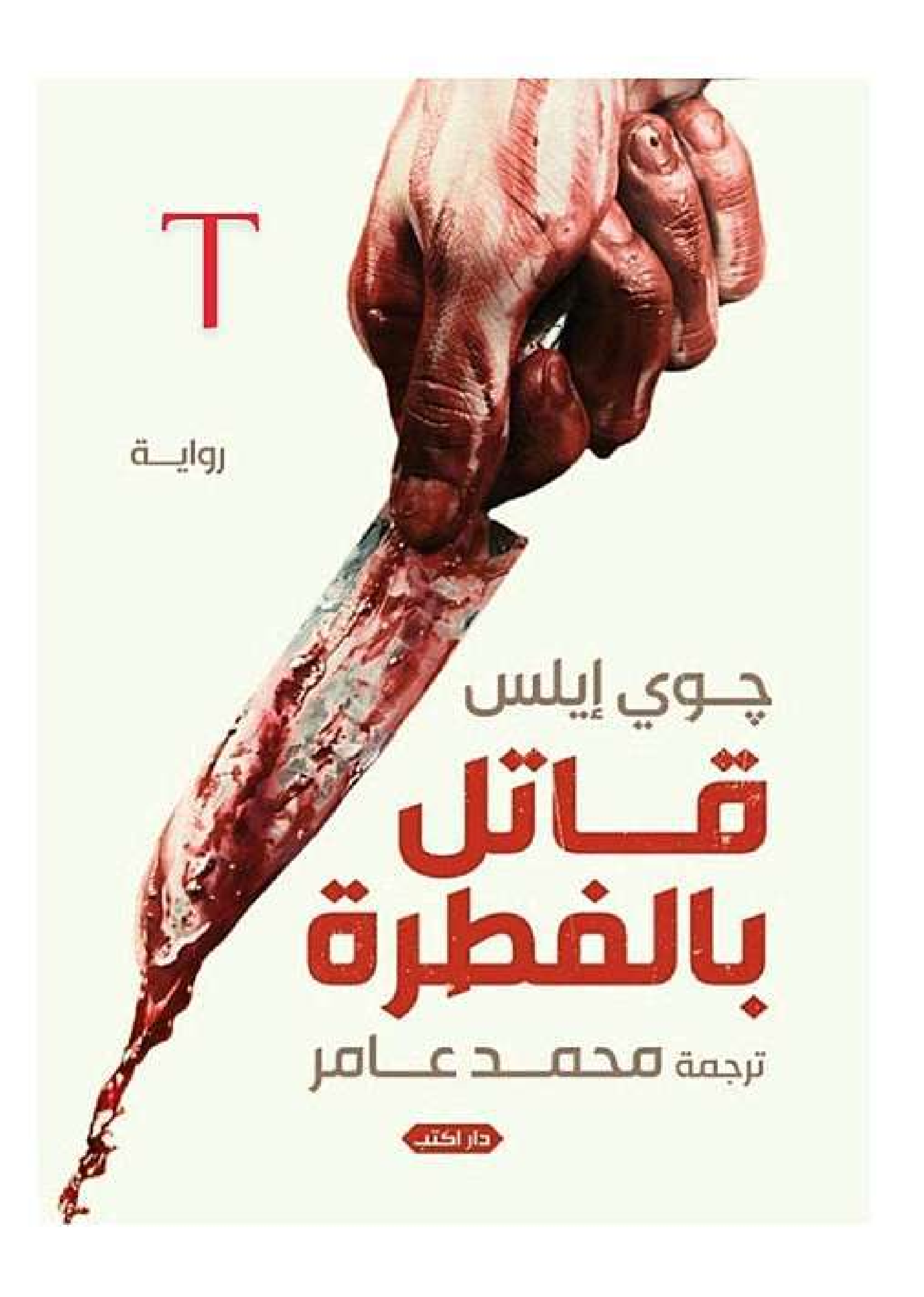

T
روايــة
چوي إيلس
قــاتل بالفطرة
ترجمة محمــد عــامر
دار اكتب

قاتل بالفطرة

قاتل بالفطرة

جوي إيليس

نرجمة: محمد عامر

الطبعة الأولى , القاهرة 9 201 م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : محمود عبد الفتاح

رقم الإيداع : 23128 / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-685-09



قاتل بالفطرة

جوي إيليس



رواية

دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدّمة

سبتمبر 1993 ، ساحل لينكولنشاير.

جرى المهرول مطّردًا على طول ممرّات الأهوار الظليلة قاصدًا البيت. بإمكانه تمييز أنوار كوخه عبر الحقول المظلمة. مجرد مائة ياردة تفصله عن عبور بوّابات مزرعة هاينز، ومن بعدها سيكون على موعدٍ ليس ببعيد مع حمامٍ ساخن ومشروبٍ باردٍ طويل.

وبينما كان يلتف حول انحناءة في الممر قبالة بوابات المزرعة، انزلق. فلتت شتيمة من شفتيه وكافح ليحفظ نفسه من الاصطدام بالأسفلت البالي المنقّر. تمكّن بعض الشيء من استعادة توازنه، ونظر أسفل منه ليرى ما عطّل خطواته، فرأى بركةً صغيرةً من الزيت تمتد من مدخل المزرعة.

شتم مجددًا، فقد اتسخ حذاؤه الثمين المخصص للجري وتلطّخ، وظنّ غاضبًا أنه تلف. نظر عبر البيت الريفي القديم، واكتشف أن نورًا يضيء في المطبخ. استمر في الشتم بينما قرّر أن يذهب إلى البيت ليغيّر ثم يعود سيرًا ليلوم «جورج هاينز» بقسوة. لم يكن متضايقًا بسبب حذائه الرياضي فحسب، بل علم مسبقًا أن بعض المزارعين أخذوا كلابهم في تمشيةٍ في وقتٍ متأخر في ذلك الممر، وكان أغلبهم عجزة. مجرد انزلاقة على زيت الجرّار قد تؤدي إلى وركٍ أو معصمٍ مكسور، أو أسوأ.

وبينما اقترب من باب كوخه اشتعل ضوء الأمن

بعصفةٍ من نور الهالوجين الأبيض. نظر إلى قدميه آسفًا . .. وتوقّف.

كان يتوقع أن يرى بقع زيتٍ سوداء، ولكن حذاؤه كان ملطخًا بمسحاتٍ حمراء داكنة. لمس البقع المبلّلة بإصبعه متردّدًا وشمّها. انقلب معدته وانتابته موجة من الغثيان، ثم عاد أدراجه وجرى بأسرع ما يمكن لقدميه المرهقتين عائدًا إلى مزرعة هاينز.

أبطأ خطواته بينما ظهرت البوابات. غمره خوفٌ ممّا قد يجده. كان أحد سكّان لينكولنشاير الأصليين الحقيقيين، ابن بلد وُلد في لينكولنشاير، وقد شهد بضع حوادث مروّعة مرتبطة بآلاتٍ زراعية. رسم عقله سيناريوهات عدّة لما يكون قد حدث. لم يكن أحدهم سعيدًا، وكلهم تضمنوا كميّات غزيرة من الدماء.

على أحد جانبي البوابات المزدوجة العالية كان هناك باب دخولٍ صغير. نادرًا ما أغلقه «جورج هاينز»، ومن خلاله وجد الشاب طريقه نحو المنطقة الأسمنتية الفسيحة قبالة البيت الريفي القديم.

نشّط وجوده مستشعرات أضواء الأمن، فتعرّف في الحال على المزارع بشعره الأحمر الناري ومعطفه اللاصف المميّز المرسوم على ظهره كلمتا «مزرعة هاينز».

كان «جورج» راقدًا على بطنه وذراعاه ممدودتان قبالته إلى الأمام وأصابعه مثنيّة. كان على بُعد أقدامٍ معدوداتٍ من البوابات وبدا وكأن الوقت توقّف به بينما كان يحاول يائسًا الزحف نحو الطريق.

لهث المهرول واطّلع فوجد الجرّار الهامد. يا إلهي! لقد دهس الرجل نفسه! كان قد شهد هذا من قبل عندما تعطّلت الفرامل ودهس ثقل الماكينة سائقها غير المنتبه.

نعم! قدماه! يا إلهي! قدماه! وضع يده على فمه وقاوم القيء. كانت ملابس المزارع من خصره مُسودّة بالدماء.

«جورج!»، لم يكن الشاب يفهم الإسعافات الأولية، ولكن بشكلٍ ما قاوم نفوره وتحسّس رقبه الرجل بحثًا عن نبض. وفي أثناء ذلك لمست أصابعه شيئًا زلقًا وباردًا، فسحب يده بعيدًا وسقط مشمئزًا.

كان الجزء السفلي من وجه «جورج هاينز» مثبتًا بإحكام بشريط لاصق شفّاف. حينها أدرك المهرول أن جاره لم يمت جراء حادث، بل شيءٍ ما أكثر شرًا.

سارع بالعودة إلى البوابة ومنها إلى الطريق، وهناك بينما انحنى على المزراب أخرج هاتفه المحمول من جيبه واتصل بالشرطة.

***

كان البيت الريفي يشع أضواءً؛ أضواء البيت، وأضواء الشرطة المحمولة القوية، وأضواء لامعة زرقاء. تراقصت أشعتها اللامعة عبر السهل وجعلت منظر الريف غريبًا.

«أهذا الشاب الذي وجده؟»، أشار الشرطي الكبير إلى الشاب المتعرّق المائل على جانب سيّارة دوريّة. كان مُغطّى ببطانية وما زال يعتريه ذلك التعبير غير المصدّق الصادم المصاحب لصدمةٍ شديدة.

«الأبله الغلبان!»، غمغم زميله . .. «ولكنه لم يدخل على الأقل، يومًا ما سيشكر حظه جدًا على ذلك».

«على عكسنا!» رفع مفتش المباحث حاجبيه وابتسم لرقيبه بإذعان. كان يأمل بأن يصل إلى نهاية خدمته بدون أن يرى شيئًا كهذا مجددًا. علم من خبرته أن هذا سيظل معه حتى خرفه، وأحسّ جزءٌ منه بخدعة أنه سينهي مشواره بهذا التحقيق المروّع. «قبل أن ندخل، قل لي ماذا قال الطبيب عن هذه الضحية هنا»، أومأ تجاه الجثة الراقدة بالقرب من داخل البوابات.

تنفّس الرقيب وكرّر كلمةً بكلمة ما قيل له. كان صوته روتينيًا وكأنه يقرأ المعلومات، وعلم المفتش أن الضابط كان ببساطةٍ يحاول أن يجنّب

مشاعره. لا ينفع أن تسمح لمشاعرك بالتدخّل عندما تتعامل مع قضيةٍ كهذه.

كان المفتش متأكدًا تمامًا أنه في قضيةٍ كهذه لم يكن هناك ضمن الحاضرين من شهد شيئًا كهذا بخلافه. كانوا ضباط ريف، وكلٌّ منهم شهد ما يكفي من أغلب أنواع الجرائم، وربما ما هو أكثر من خبرتهم في حوادث المرور القاتلة على الطرق السريعة المباشرة، ولكن جريمة قتل عمدٍ لم تكن حادثًا شائعًا في السهول الضبابية.

«يعتقد الطبيب أن جورج هاينز قاد جرّاره إلى الباحة وأغلق المحرّك. ثم هبط من العربة بينما كان ظهره موجهًا لمن هاجمه أيًا كان. ضربه المعتدي على مؤخرة قدميه، فوق كعبيه مباشرةً، بسلاحٍ ثقيل حاد، ربما فأس. ولكن من زاوية الجراح فإنه من المحتمل أكثر أن يكون ساطورًا».

ارتسمت لدى المفتش صورة فورية للحاصدين في الحقول، يحملون تلك السكاكين المؤذية، ويقطعون بسهولة عبر جذوع القرنبيط والكرنب الصلبة السميكة، ويضعونها في طاساتٍ فوق الناقل.

«يقول الطبيب إن الأمر كان ستصيبه بعجزٍ تام، فالضربتان أصابتا أوتار أخيل. كانتا ستقطّبان ساقيه كستائر ملفوفة مقضومة. كان سيعاني ألمًا شديدًا ولن يقدر على فعل شيء».

نظرا معًا إلى البقعة الدامية ذات المسارين السارية من الجرّار إلى البوابة. أضاف الرقيب: «باستثناء أن يجرّ نفسه بعيدًا وينزف حتى الموت». بلع ريقه بصعوبة وقال: «ولم يقدر على الصراخ طلبًا للمساعدة لأن قاتلنا لفّ على فمه شريطًا لاصقًا».

«الأمر الأكيد أنه زحف بعيدًا عن البيت، ولذا من الأرجح جدًا أن ضحيتنا عرف أن القاتل قد دخله».

نظر الرقيب إلى البيت الريفي ثم إلى رئيسه وقال:

- «حان وقت المعاينة، أليس كذلك؟»

أومأ المفتش وتحركا معًا ناحية الباب الأمامي المفتوح.

وجدوا ليديا هاينز في المطبخ. كان دافئًا وحميميًا وتنبعث منه رائحة الأعشاب والخبز المصنوع في البيت والبن المطحون والدم الطازج.

وعندما أحاط بهما المراقبون حذروهما من أنه كان هجومًا جنونيًا وأن يستعدا. أوضحت الأمر كثيرًا حقيقة أنهما ذُكّرا بخدمات الاستشارة المُتاحة لهما. كان هذا أمرًا يأتي عامةً بعد الحادث لا قبله.

«يا ربّاه! هذا يعطي الجنون معنى جديدًا تمامًا»،

قال الرقيب بينما لم يؤثر عمق صوته على رئيسه.

«فقط حاول أن تنظر إلى المشهد بأكمله يا بني، لا الضحية فحسب. نريد أن نعرف مَن فعلها ولماذا، ونريد ذلك بسرعة. لا يمكن أن نسمح لأيٍ من فعل هذا بأن يبقى طليقًا لوقتٍ طويل». نظَر حوله ورأى ضابطًا مصفرّ الوجه يرتدي بزّة الشرطة يقف عند المدخل، فسأله: «هل أنت الشرطي المحلي؟»

- نعم، سيدي. أنا من تلقى المكالمة.

توقف قم أضاف:

- لسوء حظي!

- هل تعرف هؤلاء القوم؟

- أعرفهم جيدًا. لقد زرعت عائلة جورج هاينز هذا الشريط من السهل لوقتٍ طويل. وليديا زوجته . ..

نظر إلى الأسفل إلى الجثة الدامية الممدّدة على الأرضية المبلّطة ببلاط المحجر وبلع ريقه بصعوبة.

- كانت امرأة ذات روحٍ اجتماعية حقيقية . .. كانت تشارك في كل الأمور المحلية، من جمعية المرأة إلى الإرشاد إلى زهور الكنيسة. تعرف هذا النوع يا سيدي، أصحاب الشعبية.

همس الرقيب: «وليست من النوع الذي يتعرض للقتل»، فقال المفتش ببطء: «أهناك نوع؟»

- أقصد أن هناك أناسًا يُحتمل أن يصبحوا ضحايا أكثر من آخرين يا سيدي . .. ولا أضع هذه المرأة ضمن تصنيف «الضحايا».

- أهذا لأنها ليست بعاهرة؟ أو مدمنة؟

أطلق زفرة وأضاف:

- ما أراه الآن أنها أكثر ضحية مثالية رأيتها، وهناك من هو بالخارج يتفق معي. لأن أحدهم سنح له أن يقضي وقتًا معتبرًا في تقطيعها أجزاءً. هناك من كرهها حقًا!

استدار للضابط المحلي وسأله:

- هل كانا يعيشان وحدهما؟

- لا يا سيدي، ولكن نشكر الله أن طفليهما أخذهما عمتهما وعمهما لمشاهدة الأفلام المتحركة الليلة. فُسحة حفل حيل ميلاد لابن عمهما. ذهب حوالي عشرة أطفال، منهم ابنا هاينز.

همس المفتش: «هل كان أمرًا مخططًا له أم مجرد صدفة؟» . .. «هل عاش هنا أحدٌ آخر؟».

- اثنان آخران يا سيدي. كان لرئيس المزرعة كوخٌ صغيرٌ عبر الباحة، وامرأةٌ تساعد في تربية الأطفال والأعمال المنزلية، كمربية كما أعتقد.

لديها شقة صغيرة مستقلة بنفسها في حظيرةٍ مُحوّلة بجوار المرأب. كلاهما ليسا بالبيت حاليًا، ولكننا أطلقنا بحثًا عنهما.

- أسماء؟

- «آيان فارو» هو الرئيس، رجلٌ مطلّق ويرى العمّال في المزرعة أنه ينأى بنفسه لنفسه. أما المربية فامرأة فرنسية اسمها «فرانسواز ثابيه». جاءت إلى هنا منذ شهرين، وهي الأخرى لا تختلط بالعمّال كثيرًا.

- هل بينهما علاقة؟

- سألنا الناس، ولكن إذا كانا مرتبطين فهو أمرٌ غير معروف.

- حسنًا، أحدهما القاتل، أو ربما كلاهما.

قالها المفتش بنبرةٍ قاطعة.

نظر الرقيب إلى رئيسه بريبة، ولكنه كان يعرفه جيدًا فاختار ألا يجادل.

لم يتكلّم المفتش فورًا، ولكن نظر في أرجاء الغرفة بعينين مفتوحتين. كان المطبخ ذا طرازٍ ريفي نموذجي به لمسةُ عصرانية ذوقية محافظًا على كل السمات القديمة كحوض من طراز باتلر ومجال تسخين يُوقد بالفحم، ولكن يُضاف إليه كل الأجهزة المعاونة الضرورية.

- لم يُسرق شيء، ولذا فإن هذا ليس بسطوٍ فاشل. وكلاهما كان يعرف المعتدي عليهما. رضى «جورج» بأن يعطيه ظهره ويهبط من كابينة جرّاره، بينما كانت ليديا تصبّ القهوة.

أشار أولًا إلى إبريق القهوة المكسور الراقد بالقرب من جثّتها الممزّقة ثم إلى كوبي قهوة صغيرين ما زالا على طاولةٍ من خشب الصنوبر.

- بحسب الطبيب فإن ليديا ماتت أولًا، ولذا فإن «جورج» لم يكن قد دخل البيت بعد. وبما أن الجميع كانوا بالخارج، فإنها كانت تعد كوب قهوةٍ للقاتل. كل شيء يقول إنها كانت مرتاحة تمامًا، تمامًا مثلما كان زوجها عندما رجع.

توقف ثم أردف:

- ولكن الحيوانات والبشر لهما حدسٌ غير تجاه تلك الأمور. يشعرون بأن هناك خطبًا ما، ولكن «جورج» و«ليديا» لم يشعرا بتهديد. إنه أحد المستأجرين، أراهن بتقاعدي على هذا.

ألقى المفتش نظرة أخيرة على ليديا هاينز قبل أن يغادر.

- لندع ضباط مسرح الجريمة يؤدون عملهم يا بني. لدينا قاتل لنقبض عليه، وأضمن لك أننا عندما نفعلها ستجد أنها أسوأ قضية تقابلها في حياتك.

* * *

الفصل الأول

سبتمبر 2015 ، مقر شرطة ساحل لينكولنشاير، قرية سالترن لوفين.

علمت الرقيب المحقق «ماري إيفانز» أنه ينبغي عليها أن تذهب إلى البيت، ولكن الأدرينالين لا يزال ساريًا داخل جسمها وأبقاها على مكتبها دون فرار. لم يكن الأمر وكأنه من السهل عليها أن تشحذ عقلها، حيث قرّر عقلها أن يعيد عرض مسرح الجريمة في حلقةٍ مستمرة. فإذا أغلقت عينيها حتى لدقيقةٍ واحدة ترى دماءً سوداء تتجمّع في جروحٍ عميقة متسعة في جثةٍ مُنتهكةٍ لامرأة. كان الأمر وكأن الصورة محفورة داخل جفونها، فغمزةٌ واحدة كافية لإعادتها.

كانت «ماري» قد عملت في الشرطة لمدةٍ طويلة كفاية لتشهد الكثير من الأمور السيئة بالفعل، ولكن ما رأته ذلك الصباح، في البيت النائي المُسمّى «بيريلاندز» على حافة المستنقعات، كان شديد القسوة للغاية.

كان رئيسها، مفتش المباحث «روان جاكمان»، لا يزال داخل مسرح الجريمة. ابتسمت ماري «إنه هناك، أليس كذلك؟». فـ«جاكمان» لا يغادر مسرح جريمةٍ أبدًا قبل أن يتأكد من أنه ليس هناك ما لم يُكشف. ليس وكأنه لا يثق في الطب الشرعي،

ولكنه كان كإسفنجٍ بشري؛ لا يغادر قبل أن يمتص آخر قطرة معلومات من المكان.

والآن تتخيّل «ماري» صورته؛ طويل القامة مستقيم الظهر، في وسط فوضى ولكنه ما زال قادرًا على البحث وكأنه ينحني فوق إحدى صفحات مجلة «كانتري لايف». رأت عينيه الزرقاوين تضيقان، تحدّقان في تركيز بينما يحاول انتزاع قطعة أخرى من المعلومات غير المرئية من المذبحة التي وقعت في مطبخ بيريلاندن. تمنّت أن لو كانت معه هناك، ولكن أحدهم كان عليه أن يضع برنامج العمل للفريق وقد تطوّعت لهذا بدون تردد.

ألقت «ماري» نظرة سريعة إلى الساعة، الحادية عشرة تقريبًا. تثاءبت وأغلقت حاسوبها. عملت كل ما بمقدورها الليلة. مشكلتها الآن هل تذهب إلى البيت أم تقود عبر الساحل المقمر وتنضم إلى «جاكمان» في بيت الرعب.

الأكيد أنها تعرف أنه لا يزال هناك.

صدمته جريمة القتل الوحشيّة تلك أكثر من المعتاد، في الغالب لأنه كان يعرف الضحية. لم تكن معرفة وثيقة، بالتأكيد ليست وثيقة بالقدر الذي يجعل رئاسته للتحقيق مشكلة، ولكنها لا تزال تجعل من الأمر شخصيًا. ليس من الجيد إطلاقًا أن ترى وجهًا تتعرّف عليه عندما تتابع موتًا مفاجئًا أو مريبًا. كان الأمر وكأن القاتل

يتعرض إليك ولكن على نحوٍ غير مباشر. لم ينبس «جاكمان» ببنت شفة، ولكن «ماري» رأت هذا في عينيه.

جلست «ماري» في مقعدها وحملقت في كومة الورق الضخمة التي أنتجتها في الساعات القليلة الماضية. تقوم في الأساس على امرأةٍ قتيلة، «أليسون فليت»، وزوجها رجل الأعمال القتيل، «بروس». الزوجة داعية خيرية شهيرة والزوج يملك ويدير مصنع جعّة محلي في سالترن. بديا كثنائي مثالي يتمتعان بحياةٍ مثالية لا أعداء لهما في العالم. ولكن « ماري » كانت قد تعلّمت منذ وقتٍ طويل أن ما تراه من الخارج نادرًا ما يكون حقيقيًا. وحتى في هذه المرحلة المبكّرة من التحقيق كانت تكشف وفرةً من التفاصيل الغريبة الدقيقة في حياتهما «المثالية».

نظرت « ماري » بإمعان إلى الشخص الآخر الوحيد في المكتب وهزّت رأسها « اذهب إلى البيت يا ماكس، فحالتك يُرثى لها».

« شكرًا سيادة الرقيب، أحبك أيضًا! » ، ابتسم الشرطي المحقق ماكس كوهين ومرّر يده عبر شعره الكثيف المجعّد. تمدّد وتثاءب وأضاف: « فحص آخر وسأذهب، حسنًا؟ »

أومأت « ماري » « بالمناسبة، هل وجدت شيئًا يجب أن أعرفه؟ »

- لا شيء يثير الاهتمام، بخلاف حقيقة أن السيدة «فليت» الأنقى من ماء المطر امرأة هادئة أيُّما هدوء كما ظنّنّا أولًا.

خلط «ماكس» كومة من المطبوعات وهزّ رأسه.

- أتمنى أن أكون مخطئًا، ولكنني أعتقد أنكِ إذا محّصتي الأعمال الخيرية وجمع الأموال ستجدين أن القديسة «أليسون» كان لها ماضٍ سري. كلي يقين أن هناك المزيد عنها وعن زوجها أكثر مما يعتقد الناس.

أبعد ناظريه عن شاشته وقال: « ماذا عنكِ، سيادة الرقيب؟ »

- الشيء نفسه، كما يحدث. غموض يليه غموض!

لوت « ماري » قسمات وجهها ناحيته وأضافت:

- كل شيء على السطح في حديقتها يبدو زهريًا في العشر سنين الأخيرة، ولكن كلّما حفرت أعمق قليلًا أجد رائحة روث!

- أوه، يا للعجب!

كشّر «ماكس» في وجه « ماري » متفقًا معها.

أحبت « ماري » الشاب القادم من شرق لندن، هي بالفعل الآن. أحبت الفريق بأكمله. كانوا قريبين من بعضهم، كأنهم نسيجٌ متماسك. كان هذا ضروريًا نظرًا لطبيعة العمل الذي يؤدونه،

ولكنها في البداية كانت ترى مشكلةً حيال «ماكس»، ولكن ليس هذا بسبب كونه حديث العهد بالعمل. فقد رحّبت بكل من جاءوا من خارج المقاطعة، حالها حال سكّانها الحقيقيين، علمًا منها بأن بعض القرى السبخة الصغيرة كانت ستموت بدون إدخال حياةٍ جديدة. لا، السبب بكل بساطة أن «ماكس» جاء متفاخرًا بعض الشيء، ولم يتجنّب إبداء آرائه، وخصوصًا عندما يتعلق الأمر بإثارة إعجاب زميله الأصغر منه الشرطي المحقق «تشارلي باتون». وبرغم ذلك، لم تأخذ وقتًا طويلًا لتتفهّم أن المتبجّح هو آخر عنقود أشقاء كثيرين من أقصى شرق لندن وكان ينبغي عليه أن يثبت نفسه منذ نعومة أظافره. أضف إلى هذا أن أبويه تطلّقا عندما كان في الثالثة عشرة، الأمر الذي لم يتماشَ إطلاقًا مع سلوكه. وقد لاحظت « ماري » سريعًا أنه حتى لو اختار «ماكس» التقرّب من «تشارلي» فكان الله في عون من يحاول معه.

والآن، وبعد مرور خمس سنين، تعلّمت « ماري » أنك إذا أردت شخصًا ما يغطّي عليك، فليكن «ماكس كوهين». فهو على ولاءٍ كبير.

فتحت « ماري » درجها وأخذت مفاتيحها، فقد كان نداء مسرح الجريمة أكثر إغراءً من لحافها الناعم. وبينما كانت ترتّب مكتبها فكّرت فيما اكتشفوه في قرية ثاتشر هيرن الريفية الناعسة.

دخلت هي و«جاكمان»، يرتديان بزتين واقيتين، بحذر إلى البيت القديم البهيج، وحاولا استيعاب كل شيء شاهداه. سارا ببطءٍ وبدون كلام. كانت « الساعة الذهبية » بعد اكتشاف الجريمة فترة حرجة. فهي الوقت الوحيد التي يكون فيها الدليل حيًا، ولم تفسد أو تتلوث سلامة مسرح الجريمة، ويكون ما حدث ما زال عالقًا بشدة في عقول الشهود. وبالنسبة لـ«ماري»، فإنه الوقت الذي يكون فيه شيءٌ ما مرتبطٌ بالمسرح، شيءٌ تبقّى من أفعال الجاني. كان بالنسبة لها ذاكرة تخبو ببطء، حيث في تلك الدقائق الباكرة تتعلّق الأحاسيس والمشاعر والظلال شبه المادية في الهواء في مسرح الجريمة قبل أن تختفي من وطأة أعمال تحليل الطب الشرعي المكثّفة. لم يكن أمرًا مرعبًا، بل ببساطة قدرة على قراءة ما تراه واستيعاب ما يخبره حدسها به. وكان مفتش المباحث «جاكمان» نفس الشيء، على الرغم من أنه ينظر للأمور من زاويةٍ مختلفةٍ تمامًا. فهو أصغر منها بثلاثة عشر عامًا تقريبًا، وقد صعد السلم الأكاديمي بحصوله على درجةٍ في علم الاجتماع من جامعة كامبريدج، ما منحه فهمًا واضحًا للمجتمع والسلوك الإنساني أكثر من أغلبهم، ولكن أفكاره قائمة على النظرية، بينما أفكارها حيوية ببساطة، حدسٌ شرطي جعل منها رقيبًا محققًا.

حدّقت « ماري » في أنحاء المكتب. مشاعرها

الحدسية الحيوية تصرخ فيها الآن بأن هناك خطبًا ما حيال طريقة موت «أليسون فليت» في المطبخ في بيريلاندز. غمر «أليسون» انطباعٌ بأن الأمر كله جاء على مراحل. ومهما كان الذي حدث هنا فإنه لا ينفع مع أي نظريةٍ اعتيادية. ولكن ما الأمر؟ قطبت حاجبيها. كان هذا سببًا معقولًا لتعود إلى هناك وتتحدث مع «جاكمان». قالت لـ«ماكس»:

- سأعود إلى ثاتشر هيرن . .. اذهب أنت إلى البيت واحصل على قسطٍ من النوم.

رفع «ماكس» يده موافقًا.

- سأفعل، فخط التحقيق هذا لم ينبئ بشيء على أي حال. ليلة سعيدة، سيادة الرقيب.

- عذرًا، رقيب «إيفانز»!

كان هناك سكرتير مدني تعيق طريق خروج « ماري » بينما همّت بالرحيل.

- رقيب المكتب يريد مفتش المباحث «جاكمان»، ولكن لا يمكنني إيجاده في أي مكان، كما أن هاتفه يحيلني إلى البريد الصوتي.

- إنه بالخارج في مسرح الجريمة، أي مساعدة؟

تمنّت « ماري » أن تكون الإجابة بالنفي، غير أن المرأة أومأت سريعًا وقالت: « بالتأكيد، هل يمكنك النزول بالأسفل الآن؟ »

ضاقت عينا « ماري » وذهب تعبها بسرعةٍ سحرية، « ماذا حدث؟ »

- الرقيب معه شخص في غرفة التحقيق يعتقد أنه مفيد لمفتش المباحث «جاكمان».

أشارت « ماري » لماكس « انس ما قلته، تعال معي رجاءً».

***

بدا الرقيب في بزته الرسمية مستغرقًا في أفكاره بينما أسرعت « ماري » ومعها «ماكس» إلى المكتب الأمامي. ارتسم على وجهه الخشن كتلةٌ من الشقوق المرتبكة على نحوٍ أعمق.

- قد أكون مضيّعًا لوقتك، رقيب «إيفانز»، ولكن مجددًا . ..

توقف وحكّ ذقنه بقوة وأردف:

- قد يكون مريضًا نفسيًا آخر . .. يعلم الله أننا لدينا الكثير منهم!

- أشعر كأنك ستقول « ولكن » .

- نعم، حسنًا . .. هذا الرجل حيّرني.

أطلق زفرةً عالية.

- فقط عندما تعتقدين أنه يمكنك فهم الأمر بسرعة يظهر لكِ شخص كهذا.

قطب حاجبيه مجددًا وقال: « أظن أنه من الأفضل أن تحكمي بنفسك » .

مشى تجاه صفٍ من غرف التحقيق وقال: « إنه بالداخل هنا، حظ سعيد! »

دفع الرقيب الباب لهم ثم سار عائدًا إلى المكتب، هزّ رأسه وغادر.

كان الرجل في ربيعه الخامس والعشرين تقريبًا. شعره كثيف متموّج رمادي داكن، وعيناه شاحبتان محدقتان، وملابسه غير ملائمة تمامًا للطقس ووقت الليل، مبتلّة عن آخرها.

نظرت « ماري » إليه باهتمام. الأكيد أنه لم يبد كصورتك المعتادة عن مروّجي المخدرات أو الجناة الحقيرين. رأت « ماري » ذكاءً خلف تلك الحملقة المزعجة على نحوٍ غريب.

- أنا الرقيب المحقق « ماري إيفانز»، وهذا الشرطي الرقيب «ماكس كوهين» .. كيف يمكننا مساعدتك؟

أطلق الشاب ضحكة صغيرة غريبة حامت في الهواء الساكن للغرفة الصغيرة المثيرة لرهاب الأماكن الضيّقة وأثارت القشعريرة في جسد «ماري».

ظنّت للحظة أنه لن يتكلم، ثم بصوتٍ واضحٍ قوي قال: « اسمي دانيل كيندر .. قتلت أليسون

فليت » .

* * *

الفصل الثـاني

- ماذا فعلتي معه؟

كان صوت « جاكمان » يتكسّر بينما تقود « ماري » السيارة عبر الساحل عودةً إلى المحطة. غالبًا ما تكون الإشارة ضعيفة في تلك المنطقة النائية.

- لم أفهم شيئًا بكل أماني يا سيدي.

- لا أصدق هذا ولو لوهلة . ..

ضج صدى صوته عبر الخط، وأردف:

- لا بد أنه ترك انطباعًا عليكِ.

- نعم، حدث بالفعل.

أحسّت « ماري » مجددًا بقشعريرة الخوف التي جرّبتها عندما سمعت «دانيل كيندر» يمنحها تلك الابتسامة الغريبة.

- المسألة فقط أنني لا أعرف ما إذا كان مخبولًا، أو مضيعًا للوقت، أو . ..

- أو قاتلًا؟

- اممم، أو قاتلًا.

كرهت ذلك الشعور، ولكن لا مفر.

- قرّرت أن أنتظرك قبل أن أتحدث معه مجددًا.

- هل قبضتِ عليه؟

- نعم يا سيدي، وهو معترفٌ بجريمة القتل. وقد قمت بالإجراءات الأولية. فتّشته وأخذت ملابسه وطلبت من الطبيب أن يحضر ليتأكد من جاهزيته للتحقيق.

توقفت برهة ثم أكملت:

- رفض أن يدلي بمعلومات، حتى إنني طلبت منه أن يتحدث. ولذا أحتاجك هنا حقًا قبل أن أتحدث معه مجددًا.

- حسنًا، سأكون عندكِ في غضون عشر دقائق.

أغلق الخط وانفردت « ماري » بأفكارها المشوّشة.

* * *

- قبل أن ندخل، ماذا نعرف عن هذا الرجل؟

ضبط « جاكمان » رابطة عنقه رغم أنها كانت تتوسّط ياقة قميصه المكويّ تمامًا.

حدّقت « ماري » في دفترها وقالت: « اسمه دانيل كيندر و... »

- كيندر؟

سأل « جاكمان » وعيناه مفتوحتان.

- هل هو أحد السكان المحليين؟

- نعم، يسكن مع أمه في أحد البيوت المضيئة في . . .

- أعرف، في ريفرسايد كريسنت.

أنهى الجملة متجهمًا.

- هل لك علاقة به يا سيدي؟

- لا، ولكني أعرف والده، سام كيندر. كان لديه شراكة تجارية ما مع عائلتي قبل بضع سنين. مات منذ زمن جراء مرضٍ استوائي لعين . . . البلهارسيا على ما أعتقد.

- كنت أعتقد أن رجلنا مهذبٌ بشدة لا مدمن مُغيّب.

- لا يمكنني الحديث عن «دانيل» بالطبع، ولكن عائلته كانت ذات سمعةٍ جيدة للغاية. فـ«سام كيندر» كان رجلًا غنيًا جلب وحده تقريبًا الماء لمئات القرى الأفريقية. عمل مع مؤسسة خيرية للمعونة المائية هناك، وهناك تعرّض للمرض.

قطب « جاكمان » حاجبيه وأردف:

- كانت سخريةٌ قاسية أنه مات بسبب مرضٍ

ينتقل عبر المياه.

توقف برهة وقال:

- لم أقابل «روبي» أبدًا، هذه زوجته، ولكنني أتذكّر بعض الشيء أنهما رُزقا بولدٍ واحد، برغم أني لا أعتقد أنني عرفت الاسم قط.

- حسنًا، يبدو أن الأم في رحلةٍ بعيدةٍ عبر آسيا، تحاول التعايش مع حزنها، وأنت على وشك مقابلة الابن الوحيد. وأتمنى يا سيدي أن تحتار في أمره مثلي تمامًا.

قطبت حاجبيها وأردفت:

- لأنني أكره أن أعتقد أنني أخسر موهبتي في قراءة الناس.

- دعينا نذهب ونرى، هلا فعلنا؟

استدار « جاكمان » ليدخل الغرفة، ثم توقّف نصف خطوة وقال:

- دانيل كيندر؟ الاسم مألوف . .. هل هو صحفي؟

- لم أصل إلى هذا الحد يا سيدي.

- حسنًا، إذا كان نفس الرجل، فإنه بارع تمامًا.

توقف برهةً وأكمل:

- ولكن لا يمكن، أليس كذلك؟ إنه أحد « الأصوات » الشابة الواعدة في العالم الحديث.

هزّت « ماري » كتفيها ثم تحرّكت ناحية الباب.

- حسنًا، ولكن إذا كان الحال كذلك فإن « صوته » الآن يقول إنه قتل أحدهم لتوّه.

فتحت « ماري » الباب.

- من بعدك يا سيدي.

دخلا غرفة التحقيق، وعلى الفور صدمت « جاكمان » موجاتٌ من الطاقة العصبية الصادرة عن الشاب في بزته الورقية. انتظر حتى فتحت شريط تسجيل جديد ووضعته داخل جهاز التسجيل. بدآ المقدمات الرسمية وأعادا مقترحهما بوجود محامٍ. نظرت بأمل إلى «كيندر»، ولكنه هزّ رأسه ورفض التمثيل القانوني رفضًا مطلقًا.

جلس « جاكمان » في هدوء في البداية وحاول تقييم «دانيل كيندر». قال الطبيب إنه مستعد للتحقيق وليس هناك حاجة لبالغٍ ملائم في رأيه. حدّق « جاكمان » في «كيندر» وقرّر أنه ليس متأكدًا تمامًا. كان هناك خطبٌ ما بالشاب جعلت صدمات بسيطة تسري في جسمه وكأنها علامات توضع في مقياس.

شعر على هذا النحو ذات مرةٍ من قبل، حينما كان تحت التدريب يصطحب سجينًا إلى وحدةٍ نفسية شديدة الحراسة، حينها كان هناك خطأ إداري أدى إلى تأخيرٍ ما، وقضى « جاكمان »

وقتًا أطول مما تمنّى مع « المريض » . لم يعلم كيف يتواصل مع الرجل أو كيف يتعامل معه. ورغم أنه لم يعترف بالأمر لأحدهم، إلا أن المرض العقلي أخافه.

والآن يعتريه شعورٌ مماثل، يجلس في غرفة التحقيق وينظر إلى «كيندر». ليس وكأن الرجل كان مصدر تهديد، ولكنه بدا هادئًا ظاهريًا حتى، وكأنه يولّد كهرباء ثابتة أكثر من كابل عالي التوتر. كانت عيناه هي التي وتّرت «جاكمان». عيناه تحكي قصة مختلفة تمامًا، قصة فيها كل شيء إلا الهدوء.

- تقول إنك قتلت «أليسون فليت»؟ ربما توضّح كيف ولماذا؟

مال « جاكمان » ناحية الأمام وأضاف:

- ربما نبدأ بأين . .. هلا بدأنا؟

غمز الرجل سريعًا ثم حدّق بعينيه، وكأنه يحاول تذكر ما حدث بالضبط.

- في بيتها في ثاتشر هيرن . .. بيت يُسمّى بيريلاندز.

لم يكن شيء يصعب عليه معرفة، هكذا ظنّ «جاكمان». فالقرية جاءت في نشرة أخبار الخامسة، ولم يُحفظ اسم البيت سرًا.

- وأين قتلتها داخل البيت؟

- المطبخ.

نظر «دانيل كيندر» إليه مباشرة بتحدٍ غير مُعلن في نبرته الواضحة.

حافظ « جاكمان » على تعبيراته المتجمدة، ولكنه شعر بـ«ماري» الجالسة بالقرب منه تتشدّد بعض الشيء. فمكان الجريمة لم يُعلن للإعلام. ولذا فكّر في لقطات التلفاز. بإمكان أي شخصٍ يمتلك حتى أدنى معرفة ببيت بيريلاندز أن يعرف هذا من خلال مكان وضع الخيام الوقائية التي نصّبها المحققون لإبقاء الموقع بعيدًا عن عيون المتطفلين.

- حسنًا، دانيل . .. كيف قتلتها إذًا؟

- طعنتها.

- لماذا؟

سأله « جاكمان » سريعًا.

تلعثم الشاب لأول مرة، بدت منه رعشة صغيرة غريبة، حرّك رقبته ورأسه بتشنّج، ثم همس برفق شديد:

- لأنها غريزة بداخلي.

لم يكن « جاكمان » يتوقع تلك الإجابة بالذات. كان يجب أن تكون « لأنني كرهتها » أو « لأنني أحببتها وخانتني » أو « لأنني شعرت بالغيرة

» . فهناك سببٌ دائمًا، شيءٌ يثير العنف والمشاعر الجامحة.

قالت « ماري » بهدوء:

- كلنا لدينا تلك الغريزة بداخلنا . .. نظرًا لظروفٍ بعينها. ولكن قليلٌ جدًا من يقتلون. هناك سببٌ دائمًا يا «دانيل»، أو دافع . .. ما دافعك؟ ماذا فعلت «أليسون» لتقتلها؟

سحب نفسًا طويلًا وقال:

- الأمر ليس متعلقًا بها . .. كان بالإمكان أن يكون أي شخص. لقد قُدّر لي أن أقتل في نقطةٍ ما في حياتي. وبالصدفة كانت «أليسون فليت».

- بماذا طعنتها؟

قذف « جاكمان » السؤال محاولًا حرمان الشاب من أي وقتٍ للتفكير.

- سكين مطبخ.

ظلّا يحققان مع «كيندر» طوال نصف ساعةٍ تقريبًا. كان يرد مباشرةً أحيانًا، وفي أحيانٍ أخرى كان غامضًا أو يبدو عليه الارتباك، وكانت هناك أسئلة لم يجب عنها إطلاقًا.

جلس « جاكمان » وحدّق بحدّة في «كيندر» والارتباك يعتريه.

- هلا سمحت لنا دقيقة من فضلك يا سيد

«كيندر»؟

دفع مقعده إلى الخلف وأعلن في شريط التسجيل أن التحقيق متوقف مؤقتًا وأشار إلى «ماري».

في الخارج، وبعيدًا قليلًا عن الغرفة، مال على جدار الرواق وزفر بصوتٍ مرتفع.

- حسنًا، لديه بعض التفاصيل . .. ولكن ليس كفاية حتى الآن.

- حتى لو لم نعرف ما نوع السكين المستخدم بعد، إلا أنها طُعنت.

- نعم، ولكن كم طريقة هناك للقتل؟ وأعني موتةٌ دموية عنيفة، لا خطة خفية متعمّدة تنطوي على سم الشوكران أو الزرنيخ. فإما تطلق النار على القتيل، أو تضربه حتى الموت، أو تغرقه، أو تخنقه، أو تطعنه. وما هي طريقة القتل الأكثر احتمالًا في هذه القرية؟ الطعن.

- بالضبط.

هزّ رأسه وأضاف: « إنه يخمّن . .. لم يفعلها»!

- ولكنه أبعد ما يكون عن تضييع الوقت حسبما تعتقد، أليس كذلك؟ كما أنه ليس بالمجنون الاعتيادي الذي تقابله، إن كان هناك شيءٌ كهذا.

تنهّد «جاكمان»:

- أتفق معكِ كليةً . .. ولكنني لا أصدق قصته حقيقةً . .. ولا أعرف بالضبط كيف أتعامل مع هذا الموقف.

- دعنا نتحدث معه أكثر يا سيدي. فاجئه بأنك كنت تعرف والده. دعنا نرى ما إذا كنّا سنرى «دانيل» الحقيقي ونحاول فهم ما يرمي إليه.

توقفت « ماري » برهة وأردفت:

- إنه يشعّ طاقةً كافية لإيقاف نمرٍ شرس، وأريد أن أعرف ما الذي يدفع صحفيًا لامعًا شابًا نشيطًا للغاية مثله ليقرّر فجأة أنه قاتل.

- معكِ حق كالعادة.

ضحك « جاكمان » ببرود، ثم سارا معًا إلى الغرفة.

- أنت ابن دانيل كيندر، أليس كذلك؟

سأله « جاكمان » محاولًا الحفاظ على نبرته الودّية.

- إنه زميل والدي . .. حزنت كثيرًا لخبر وفاته.

قطب «دانيل» حاجبيه ثم استرخى وقال:

- أنا ابنه بالتبني، حضرة المحقق!

تحرّك الكلمات بثقل وكأنها يُقصد بها أن تشير إلى شيءٍ ما مهم للغاية.

- لقد أثّرت وفاته على أمي بالتبني وعليّ كثيرًا.

أومأ «جاكمان»:

- خسارة كبيرة . .. خصوصًا لكم كأسرته، وللكثيرين أيضًا. كان رجلًا عظيمًا بحق.

كان من المتوقع أن يومئ «دانيل»، ومن ثم دفع رأسه إلى الأعلى وفكّه إلى الأمام بغضبٍ تقريبًا.

- وما علاقة هذا بقتلي لتلك المرأة؟ أنتم تفهمون ماذا أقول لكم، أليس كذلك؟

- أعتقد أنك لم تقتل أحدًا يا «دانيل».

قالها « جاكمان » بوجهٍ متجمّد.

اشتعل الغضب في عيني «دانيل».

- بلى، فعلت! لماذا لا تصدقوني؟

قرّر « جاكمان » أن يستفزّه قليلًا.

- لأنك لم تخبرنا شيئًا لا يمكنك معرفته بسهولة. وخصوصًا شخص في مجال عملك. فأنت صحفي بحق النعيم! لديك أصدقاء مطّلعين. كما أنك تسمع همسات، ولديك معارف، وتدفع مقابل الحصول على بعض المعلومات.

هزّ « جاكمان » رأسه ببطء.

- لا يا «دانيل» . .. لا أعرف لماذا تفعل هذا،

ولكنك لست بقاتل.

قفز «دانيل كيندر» بدون سابق إنذار وامتد عبر الطاولة جاذبًا تلابيب بزّة «جاكمان»:

- عليك أن تصدقني! ألا تفهم؟ عليك أن تصدقني!

مالت « ماري » بهدوء وثبّتت يدي «دانيل» بقبضةٍ حديدية، وبينما تحرك « جاكمان » سريعًا بعيدًا عن قبضته كان «دانيل» مُلقى على المكتب ينتحب: « عليكم أن تصدقوني! »

- حسنًا يا صديقي، هذا يكفي!

استدارت « ماري » على مهل ناحية « جاكمان » وتمتمت: « أعتقد أنه خدع طبيبنا. نحتاج إلى تقييمٍ طبي شامل قبل أن نكمل » .

أومأ « جاكمان » وراقب «كيندر» وهو يؤخذ خارج الغرفة على يد ضابطين بزي رسمي.

- أحضر الضابط الطبيب ليراه!

نادت « ماري » على أحد الرجال بصوتٍ أعلى من صوت دانيل.

- وأخبرنا بحالته أولًا بأول.

راقب « جاكمان » الشاب يُحمل ويُجرّ عبر الرواق.

- لا يمكننا القيام بشيءٍ آخر الليلة. سيعطيه

الطبيب مهدئًا بالتأكيد وسينام حتى الصباح.
وحينها سنرى ما يحمله لنا الغد.

- هل هناك شخصٌ يجب علينا إخطاره؟ أخبرني في البداية أن له صديقة حميمية، ولكنه لم يخبرني باسمها. أعتقد أنها قلقة جدًا عليه.

- سنرسل ضابطًا إلى بيته إذا كانا يعيشان معًا. غير أننا لا يمكننا فعل الكثير بدون إذنه.

أدرك « جاكمان » أن كتفيه يؤلمانه، فتمدّد وقال:

- اذهبي إلى بيتك يا «ماري». ارتاحي قليلًا . .. فهذه القضية لن تكون سهلة أبدًا.

- هكذا أعتقد تمامًا . .. أراك في الصباح يا سيدي.

شاهدها « جاكمان » وهي ذاهبة، كما يفعل عادةً، شاكرًا الأقدار التي حملت له الرقيب الذي تمكّن من التفاهم معها. فـ«ماري إيفانز» فريدة من نوعها، في نفس طوله تقريبًا، ذات شعرٍ كستنائي كثيف يثق في أنه طبيعي، وبنيانٍ متين وذراعين ورجلين مفتولي العضلات. علم أنها قضت وقتًا طويلًا في صالة الألعاب الرياضية لتحافظ على لياقتها أكثر من رجلٍ في الخامسة والأربعين. شعرها وتقاسيمها الواضحة المتناسبة تذكّره دائمًا بصورة المرأة في مرحلة ما بعد الرفائيلية([1]) في بزتها الجلدية. كما أن «

ماري » سائقة دراجة نارية ماهرة للغاية.

ابتسم وهو يتابع هيئتها تبتعد عنه، ثم ارتعش وأطلق تنهيدة قلقة. انتابه شعورٌ مرهق وعلم فجأة بأنهما في مطلع شيءٍ هائل. فتلك ليست جريمة قتل امرأة، رغم أن هذا كان سيئًا بما يكفي. كان هذا أقرب ما وصل إليه من هاجس، ولم يكن شعورًا حسنًا.

وبينما سار عبر الرواق الصامت فكّر في أن تلك القضية تتمتع بكل إرهاصات السوء. قضيةٌ يتعقّد فيها التفكير ويكفهرّ.

طلب أمام مكتبه إرسال ضابطٍ إلى بيت «كيندر»، ودعا أن يكون بقدر ما ستلقي عليه تلك القضية أيًا كان. لم يكن بنفس خبرة «ماري»، ورغم علمه بأنه يملك الدعم الكامل من فريقه إلا أنه كان لديه كثير ليثبته. لا يهم مدى إخلاصه لعمله، وهو بالفعل مخلصٌ أيّما إخلاص، فما زال مترقيًا سريعًا يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عامًا ذا خلفيةٍ مميزة. هذا حسنٌ إذا كنت تسعى وراء ترقياتٍ توضع على كتفيك، غير أن « جاكمان » كان يطمح لشيءٍ مختلفٍ تمامًا. أراد فقط أن يصبح شرطيًا حاذقًا، وإذا تمكّن من نيل احترام قوّاته على طول الطريق فسيكون ذلك مثاليًا.

ابتسم متجهمًا وهو عائدٌ إلى مكتبه. تخيّل كيف سيفكّر فريقه إذا علموا بأن تسليته المفضلة كانت التفكير في أماكن جديدة مثيرة ليعلّق عليها

نياشينهم.

***

الفصل الثالث

- عذرًا على إزعاجك في وقتٍ متأخر يا آنسة، ولكن هل تعرفين «دانيل كيندر»؟

كان الشرطي كبير السن بدينًا ذا وجهٍ حسن ظنّت «سكاي وينيارد» أنه يبدو تمامًا كما يبدو الشرطي الإنجليزي في الستينيات.

ثم انتابها قلقٌ عندما أدركت أن شرطيًا يقف عند عتبتها بعد منتصف الليل يسأل عن «دان».

- نعم . .. نعم.

تلعثمت وأردفت:

- هل تعرف أين هو؟ هل تعرّض لأذى؟ هل هو بخير؟

- إنه في أمانٍ تام يا آنسة. هل تسمحين لي بالدخول والحديث معكِ قليلًا؟ أنا الشرطي «راي هالويس».

تراجعت «سكاي».

- نعم، بالطبع، تفضل بالدخول.

تلعثمت مجددًا وأردفت:

- أنا «سكاي وينيارد»، صديقة «دانيل» الحميمة. وأنا مقيمة هنا معه ريثما تعود أمه من الخارج. ماذا حدث له؟ ماذا حدث؟

كان السؤال يحرق حلقها.

- إنه في قسم الشرطة يا آنسة، وسيظل لدينا لبعض الوقت.

- هل هو ثمل؟

سألته متشككةً وأضافت:

- أعني أنه لا يشرب كثيرًا جدًا، وإذا فعل فإن ذلك قد يؤثر عليه كثيرًا و . ..

- إنه ليس بثمل يا آنسة «وينيارد»، ولكن مفتشنا يشك في أنه ليس بحالٍ جيد.

صمتت «سكاي»، فهي تتفق معه في تلك الملاحظة. فـ«دانيل» كان بعيدًا عن حالته الطبيعية لأسابيع. ولكن ماذا فعل أساسًا؟ عبست ونظرت إلى الشرطي:

- هل حقًا ألقي القبض عليه لشيءٍ ما؟

- نعم يا آنسة، ولكن تقرر أن يُعرض على طبيبنا. إنه ليس . .. كيف أصف لكِ؟ إنه لا يتصرف بعقلانية في الوقت الحالي.

- لماذا ألقي القبض عليه؟

تثاقلت كلماتها. وبرغم أنها طرحت السؤال، إلا أنها لم ترد أن تعرف الإجابة حقًا.

- لقد قام بعض الادعاءات يا آنسة. ونريد أن نتحدث معكِ حيال هذا الأمر. ربما تكوني قادرة على توضيح بعض الأسئلة بالنسبة لنا.

أشارت «سكاي» إلى مقعد ثم جلست على الأريكة.

- وما تلك الادعاءات؟

جلس الشرطي «هالويس» على المقعد ذي الذراعين ونظر إليها.

- يقول إنه قتل أحدهم.

وضعت « سكاي » يدها على فمها سريعًا. ظنّت أولًا أنه ربما تورّط في حادث سيارة، غير أن سيّارته ما زالت في المرأب. وعندما اختفى «دانيل» مبكرًا كان قد ترك هاتفه المحمول ومحفظته ومفاتيح سيارته وحتى معطفه.

- لا أفهم، هل تقصد حادثًا من نوعٍ ما؟

- لا يا آنسة «وينيارد»، إنه اعترف بجريمة قتل، ولكن كما قلتِ لك مسبقًا ضباطنا ليسوا مقتنعين بأنه في حالته الطبيعية، إذا صح التعبير.

- قتل؟

شعرت « سكاي » بضجةٍ في رأسها ودوخة.

- ماذا؟ «دانيل»؟

- عذرًا لمضايقتك. هل أحضر لكِ كوب مياه؟

- لا، ولكنه أمرٌ سخيف.

هزّت رأسها وأردفت:

- إنك لا تعرف «دانيل»، إنه أكثر شخصٍ حنون وطيب.

هزّت رأسها أكثر:

- لا يمكن أن يؤذي أحدًا.

- إذًا، لم تسمعيه يدّعي شيئًا كهذا من قبل؟ أحيانًا يحدث أمرٌ كهذا كما تعلمين. يأتينا أشخاصٌ كثيرون يعترفون عندما تقع جريمة . . ستُفاجئين!

- إذًا، هل وقعت جريمة قتل؟

حاولت « سكاي » التفكير. نعم، بالطبع وقعت جريمة. لقد عُرضت في نشرة الأخبار، امرأة عُثر عليها قتيلة في قريةٍ ساحليةٍ بعيدة. ولكن ما علاقة «دانيل» بها؟

نظرت إلى الشرطي وقطبت حاجبيها:

- «دانيل» ليس أحد هؤلاء الناس . .. أعدك! ولا أعرف لماذا قال شيئًا مثل هذا. الأمر غير مفهوم.

أرادت أنت تتحدث مع «دانيل»، فسألت:

- هل يمكنني رؤيته؟

- يسرنا ذلك إذا جئتِ إلى قسم الشرطة غدًا للحديث مع المحققين المسؤولين عن القضية يا آنسة «وينيارد». من الأكيد أنهم سيسمحون لكِ برؤيته حينها.

- أريد أن أراه الليلة لا غدًا! لا بد أن أتكلم معه.

- يمكنك، ولكن ليس الليلة.

هدأ صوت الشرطي «هالويس» وبدا غير متضايقٍ من فورتها.

- يمكنك رؤيته صباحًا. لقد أعطوه شيئًا يساعده على النوم. وزيارتي هذه لأزيح عنكِ أي مخاوف قد تنتابك عن مكانه وللحصول على مساعدتك غدًا.

ابتسم لها. ذكّرها الشرطي بابا نويل البدين اللطيف مع طفلٍ عنيد، وأرادت أن تضربه.

تفقّدت « سكاي » الأبواب والنوافذ بعدما غادر الشرطي وأشعلت الإنذار. فهي تعلم الآن على الأقل أن «دانيل» لن يعود إلى البيت، ولذا بدا من البديهي أن تؤمّنه، خصوصًا أن المكان يعود إلى والدة دانيل.

نظرت حولها إلى الغرف الكبيرة المزيّنة بجمال

وشعرت بعدم راحة.

كان بيتًا كبيرًا، والبيوت الكبيرة تجذب اللصوص. تمنّت « سكاي » أن لو ركضت عائدةً إلى شقتها الضيّقة الصغيرة، ولكن هناك قطة دانيل التي يجب أن تعتني بها. أحبتها كثيرًا، ولم تقدر على تركها هكذا، وعلى أي حال هذا يعني أنها مضطرة للعودة في الصباح لإطعامها قبل أن تذهب إلى قسم الشرطة. ونظرًا لأن أغراضها هنا فمن المنطقي أن تبقى.

أضف إلى ذلك أنها كانت منهكة. كان من الواجب أن تشعر بالراحة لأنه في أمان، ولكنها كانت في ذهولٍ تام من معرفة ما فعله «دانيل». اعترف بجريمة قتل؟ كيف كان يفكّر؟

تجمّدت « سكاي » وحقيقةٌ ما تمرّ ببالها. كان «دانيل» لسنين يحاول – بدون جدوى – تتبع أثر أمه بالولادة، وعلى مرّ الوقت تحوّل البحث إلى حملة. والآن بمرور شهورٍ بدون جدوى، أصبح مهووسًا ومضغوطًا أكثر. لا بد أن هناك صلةً ما.

أطلقت « سكاي » تنهيدةً مؤلمة وانسحبت الطاقة منها. شعرت أن رجليها تتخليان عنها، وكل ما أرادته هو النوم. جذبت نفسها بجهدٍ عظيم وصعدت السلّم العريض إلى غرفتهما.

وبينما كانت تصعد إلى فراشها الذي تشاركاه

فكّرت فيما إذا كانت الشرطة ستفتّش البيت. سيكون لزامًا عليهم إذا تعاملوا مع اعترافه بجدّية.

سحبت اللحاف حولها وبدأت تقلق. هناك أغراضٌ هنا لا يريد دانيل أن يشاركها مع أحد، وخصوصًا الشرطة. أراحت الوسادة الرقيقة السميكة تحت رقبتها وأغلقت عينيها بإحكام. ولكن ماذا بيدها أن تفعل؟

بينما كانت « سكاي » تقاوم دموعها شعرت بضغطٍ خفيف على لحافها. إنها آستي، قطّة دانيل من نوع تورتواس شيل، تسلّقت الفراش برويّة وآوت إلى صدرها في وضعٍ كرويٍ صغير. وضعت « سكاي » حول القطة حتى إن دفئها جعلها تفتقد دانيل أكثر. لم تقدر على مقاومة دموعها، واحتضنت القطة حتى راحت في نومٍ متعب.

* * *

استيقظ «دانيل» في حوالي الثالثة صباحًا ووجد نفسه معقوصًا على فراشٍ في زنزانة. هكذا شعر بالضبط، وكأنه يقف بعيدًا بعيدًا يراقب جسمه النائم.

جعلته العقاقير، أو أيًا كانت، يشعر بغرابة وانفصال. ولكنه كان في حالةٍ سلميّة بغرابة بعض الشيء . .. حتى رأى الدماء.

في الوقت الذي كان «دانيل» نائمًا فيه كان المراقب الصامت في زاوية الزنزانة يحدّق في الدماء المتقطّرة من أصابعه والمتجمّعة حول قدميه. كان يحمل سكينًا في إحدى يديه، سكينًا مؤذيًا طويل الشفرة. وفي اليد الأخرى صورة، رغم أن الوجه المرتسم فيها الآن عبارة عن فوضى حمراء لا يمكن تمييزها.

تعمّقت البقعة الداكنة المنتشرة عبر الأرضية. بدأت تغطّي أصابع قدميه وتتسحّب حتى كاحليه. بإمكانه الشعور بالسائل اللزج يتشبّث ببشرته.

كان سيغرق في دمائها!

ألقى السكين صارخًا وراه يغرق تحت سطح الدماء السوداء تقريبًا.

ثم صرخ مجددًا، ثم مجددًا، ثم مجددًا.

الفصل الرابع

أضاء ضوء شمس الصباح المنتشر عبر الساحل الحقول بوهجٍ ذهبي أخضر حتى شعرت « ماري » بأنه يعود إلى اللحظات الساحرة البسيطة قبل شروق الشمس. كان وقتها المفضّل من اليوم، اعتادت في أثناء قيادتها للسيارة أن تبطئ وتغلق مذياعها لتسمح للصمت المتألّق بأن يحيط بها. لم تكن حياتها تتمتع بسلامٍ كثير،

ولذا فإن القليل منه التي تتمكن من الحصول عليه سيكون موضع ترحيبٍ بالتأكيد.

واليوم كانت تقود دراجتها النارية ماركة كاواساكي نينجا الليمية السوداء اللامعة، وشعرت بتحسنٍ حتى. إذا كنت هناك كنت ستلمس شعورًا إضافيًا لتكمل التجربة، وستحتاج إلى أن تكون قائد دراجةٍ نارية لتفهم حاسة الشم القوية.

كانت ستقول لها عن مكانها بالضبط، حتى ولو كانت معصوبة العينين. والآن يغطي الامتداد الذي كانت فيه الحقول الحيوية التي لم يطأها أحدهم لموسمٍ ما، والرائحة التي طفت عليها مزيجٌ قوي من النفل والحزنبل. كان هناك شيءٌ ما حيال القيادة في الهواء المنعش الذي يجعلك تتنفّس جو الأرض . .. أن تكون جزءًا منها.

سيكون من الأسرع كثيرًا أن تقود مباشرةً عبر المدينة إلى العمل، ولكن « ماري » دائمًا ما تأخذ جولتها الدائرية الشخصية، رحلة تبحر حول قرية سالترن لوفين وتحملها إلى قسم الشرطة عبر أزقّة الساحل الملتوية. كم أحبت الأزقة! أحبت المناظر الطبيعية الخلّابة الشاسعة، وعزلة الأهوار الطاغية أحيانًا. كان مكانًا يسمح لك بأن تفكر بصفاء. جماله المنعزل بالكامل يضع كل شيءٍ في لوحةٍ فنيّة. وعندما يكون الشيء الوحيد الذي تسمعه صرخة أكّال المحار، والشيء

الوحيد الذي يتحرّك بين غيوم السحب ومياه المستنقع القصبيّة طائر مالك الحزين الرمادي طويل الساقين، فإنك ستشعر بسلامٍ نادر.

بينما اقتربت « ماري » من المدينة تخيّلت ما سيحمل لها اليوم. لم يكن هناك ثمة سبيل لمعرفة ذلك في مجال عملها. كانت قد قضت ليلةً سيئة، ونوبات نومها المتقطّعة أقلقتها أفكارٌ عن «دانيل كيندر» والشعور الملازم أبدًا بأن شيئًا ما سيئًا للغاية حياله.

حتى وإن كان الأمر كذلك، فإنها كانت تتطلّع لرؤيته مجددًا. كان مختلفًا جدًا عن الوضيعين المعتادين الذين انتهى بهم الأمر في غرف التحقيق، فغرابته كانت منعشة تقريبًا.

بينما انفتحت بوابات قسم الشرطة الحديدية شعرت « ماري » بقشعريرة إثارةٍ بسيطة. كانت جريمة قتل أليسون فليت، التي أصبحت الآن تحمل اسم « صقر الليل » العملياتي العشوائي، تحمل ستارًا شريرًا من الغموض. لم تكن مباشرةً صريحة. لم تكن صافية جليّة. لا شيء يأخذ نمطًا حتى الآن، وبينما أوقفت « ماري » دراجتها النارية بجوار سيارة « جاكمان » ذات الدفع الرباعي تخيّلت ماذا سيجدان عندما يتعمقا في القضية أكثر.

كان قسم شرطة سالتن يقع في مبنى فيكتوري قديمٍ متعرّش كان في أحد الأيام مدرسة قواعد

لغوية فخمة وقبلها كان أكاديمة للفنون. ورغم أن مجده السابق تلطّخ كثيراً الآن ولم يعد يقدّره مضي الحياة الوضيعة الذي يمر خلاله على نحوٍ رتيب، إلا أنه ما زال يتمتع بهيكلٍ رائع. بقيت عواميد درابزينه المصقولة في بعض البقاع مع نوافذ زجاجيةٍ ملطّخة وممرّات وأروقة ذات ألواحٍ خشبيةٍ ثقيلة. الأفضل على الإطلاق ذلك البهو المرتفع الهائل بصالته الشاعرية المزخرفة بالنقوش المتباهية بأرضيةٍ رخامية تشكّلت بنمطٍ مختلفٌ ألوانه من البلاط الأبيض والبني المائل إلى السواد لحسن حظ الشرطة. كان البلاط يلمع هذا الصباح من أثر تنظيفه طوال الليل حتى إن « ماري » شعرت بألفة المبنى القديم تلف نفسها حولها. لم يكن هذا المكان بمنزلة بيتٍ لها مقارنةً ببيتها الصغير الأنيق على حافة المدينة. فكّرت بأسف في وقتٍ طويل للغاية قضتها هنا.

رأت « جاكمان » يسرع ناحيتها عبر البهو.

- صباح الخير يا سيدي، كيف حال قاتلنا المعترف على نفسه هذا الصباح؟ هل هدأ بعد نوبته في غرفة التحقيق؟

وضع « جاكمان » يديه بعمق في جيبيه وقال:

- إنه في المستشفى!

بدأت بداية « ماري » اليومية المشرقة تخبو.

- لماذا؟

سألت وهي تقطب حاجبيها.

- أبقى طاقم الحراسة يقظين طوال الليل تقريبًا . .. أفزع النوباتجية المسائية . .. أطلق صراخًا يليق بـ . ..

توقّف « جاكمان » واكفهرّ وجهه.

- قاتل . .. مسموح لنا استخدام هذه الكلمة، حتى في الإشارة إلى القتلة أو القتلة المزعومين.

سارا معًا وتوجها إلى المصاعد.

- إذًا، ماذا حدث؟

- يرى رقيب الحراسة أنه كان كابوسًا، غير أن «كيندر» انتابته حالة اضطروا على أثرها إلى استدعاء الضابط الطبيب.

ضغط « جاكمان » على زر الطابق وأردف:

- من الواضح أن ضغط دمه ارتفع للغاية، ونظرًا للظروف وحالته المتقلّبة قرّر الضابط الطبيب أن ينقله إلى مستشفى سالترن العام لتقييم حالته لمصلحته.

- إذًا لا يمكننا التحقيق معه . .. اللعنة!

- حسنًا، انتهى الوقت المسموح لنا باحتجازه خلاله، كما أن مرافقيه حُذّروا من الحديث معه

عن أي شيءٍ متعلق بالقضية، ولذا أقترح في الوقت الحالي أن نعرفً المزيد عنه، أليس كذلك؟

- من خلال صديقته الحميمية، « سكاي وينيارد»؟

- بالطبع، بغض النظر عن اسمها. وهي بالفعل هنا منذ . ..

نظر « جاكمان » سريعًا إلى ساعة يده بينما تنفتح أبواب المصعد وقال:

- عشرين دقيقة.

رجع إلى الخلف وسمح لـ«ماري» بدخول المصعد.

- سأذهب فقط لأخلع معطفي الجلدي وسأقابلك في إدارة التحقيقات الجنائية يا سيدي.

عندما وضع « جاكمان » عينيه أول مرة على « سكاي » أقرّ بأنه كان مخطئًا في افتراضه أن والديها بذلا مجهودًا كبيرًا في إعطاء ابنتهما اسمًا « أصيلًا » .

فاسم « سكاي » يليق بها . .. بتلك البساطة.

راقبها عن كثب فيما شكرتها « ماري » على قدومها. « سكاي وينيارد» ذات عينين زرقاوين وشعر مجعّد بلون الرمال المبلّلة. وبدا عليها أنها قلقة كثيراً حيال صديقها.

وفيما كانت « ماري » تشرح بإيجاز ما حدث

خلال الليل، اتسعت عينا الفتاة الزرقاوان على نحوٍ غريب أكثر وأكثر.

- مستشفى؟ أوه لا! هل يمكنني رؤيته؟

- عذرًا، ولكن هذا ليس ممكنًا . .. فهو ما زال محتجزًا.

- ولكن . ..

حرّكت سوارها السميك بقلق، فأصدرت رقائقها الأرجوانية الصغيرة الكثيرة رنينًا مزعجًا.

ارتسمت على وجه « جاكمان » ابتسامة ظنّ أنها مريحة. قالت الرقيب «إيفانز»:

- لا يمكنكِ رؤيته، ولكن سنرتب زيارة فور علمنا بما يحدث.

اعتلى القلق تقاسيمها، وعلم « جاكمان » أن توترها لا علاقة له بشعورها بالذنب بل بوقوعها في موقفٍ لا تفهمه. احتارت الفتاة، وقامت وجلست على مقعدها.

تابع « جاكمان » مراقبتها، كم أحب متابعة ما يخبره به حدسه المهني ثم يقارن ملاحظاته مع « ماري » بعد ذلك! كانا يتفقان أحيانًا، ولكن في أغلب الأحيان كان يجد نفسه متراجعًا يلوم بشدة حدسه العلمي ويعتنق ملاحظات رقيبه الأكثر حدسًا.

قرأ « جاكمان » الصدق والقلق والإصرار – في رأيه – في وجه سكاي. تمنّى أن يكون إصرارًا على فهم الأمور حيال «كيندر».

- هل تعتقدين أن «دانيل» قادر على القتل؟

سألت « ماري » بصراحة . .. رفعت « سكاي » رأسها إلى الأمام وقالت:

- مستحيل! إنه عطوفٌ رؤوفٌ ذكي، وأبعد ما يكون عن القتل.

- منذ متى وأنتِ تعرفيه؟

- حوالي أربع سنين، وقد بدأنا نتواعد فعليًا منذ عامين.

- وأين قابلتيه؟

سأل «جاكمان».

- حضر إلى المستشفى حيث أعمل كمعالجٍ وظيفي في مستشفى سالترن العام.

قطبت حاجبيها وقالت: « وهو هناك الآن على ما أعتقد » .

انفرج حاجباها وأردفت:

- «دانيل» صحفي استقصائي، وكان هناك أخبار سيئة في المستشفى، حيث تفشّت بكتيريا تُعرف بالعنقوديات الذهبية وانتشرت أحاديث عن سوء

الإدارة، تعرف أخبار الصحة الوطنية، ولكن «دانيل» كتب مقالًا عن رجال الظل. أخذ مسلكًا آخر تمامًا بخصوص ما يحدث في المستشفيات العامة وعرض الأمر من وجهة نظر الممرضات والعاملين.

نظرت إليهما بخجلٍ تقريبًا:

- عندما قرأت المقال في الجريدة حرّكتني حساسيته، ولكن كتابته كان لها قوة حقيقية. لم يأبه بأنه يعطّل مصالح الإدارة وأنه ربما يتعرَض لحملةٍ كبيرة. جاء المقال وكأنه يعني كل كلمة، وعندما عرفته أكثر علمت أنه كان يعني كل كلمة بالفعل.

ارتسمت على تقاسيمها ابتسامة متعبة:

- كان أمرًا مرحًا، ولكن في اليوم الذي حاورني فيه أول مرة عرفت فورًا أننا سنصبح صديقين.

حوّلت ناظريها إلى « ماري » وأكملت:

- لحظة من تلك اللحظات، أتدركين مقصدي؟

أومأت « ماري » وقرأ « جاكمان » الفهم والحزن العميق في عيني الرقيب. أحسّ بأنها جرّبت الشعور نفسه مع زوجها المتوفى «بيل»، وللحظةٍ ما سمح لعقله بأن يتأمل متى وقعت تلك اللحظة الساحرة. وبغض النظر، كان « جاكمان » متأكدًا من أن الدراجة النارية لها صلة بالأمر، حيث كان

«بيل إيفانز» أحد أفضل شرطيي الدراجات النارية، وكان عشقه للسباق سببًا في وفاته المبكرة. استنشق « جاكمان » وعاد بعقله من الماضي إلى التحقيق.

سألت ماري:

- إذًا، لماذا في رأيك اعترف ذلك الرجل الحنون فجأة بجريمة قتلٍ بشعة؟

أخذت « سكاي » نفسًا عميقًا طويلًا: « لا أعرف، ولكن . .. » .

حدّقت في المكتب قبل أن تكمل:

- إنه يتقن عمله بشدة، وربما تغلّبت عليه الأمور . .. كان عقله يعجّ بالكثير مؤخرًا.

رأى « جاكمان » التبرير سخيفًا للغاية، وكان متأكدًا من أن المرأة تعلم أكثر مما أعلنت عنه بكثير. ولكنه سيأخذ الأمور على مهل، فقد تكون ذات نفعٍ كبير، ولذا لا فائدة تُرتجى من تنفيرها في أول لقاءٍ بينهما.

- أمور شخصية؟ أمور متعلقة بالعمل؟ مشكلات صحية؟

تردّدت « سكاي وينيارد» مجددًا، فمالت « ماري » إلى الأمام واقترب وجهها من الفتاة.

- أرى كم تكترثين لأمره يا «سكاي»، ولكن إذا

أردتِ مساعدته حقًا فعليكِ أن تخبرينا بكل ما تعرفيه . .. إنه في ورطة حقيقية.

تدخّل « جاكمان » بدون انتظار رد: « ربما أكثر مما تتخيلين. فبعيدًا عن إضاعته لوقتنا، حتى وإن لم يكن متورطًا في وفاة «أليسون فليت» فإنه ربما يعرّض نفسه للحبس لعرقلته الشرطة عن أداء مهامها. تضليل العدالة ربما؟ فبينما نتعامل مع «دانيل» يا « سكاي » ربما يكون القاتل الحقيقي يهرب بفعلته.

بلعت الفتاة ريقها بصوتٍ واضح، وكأن خطورة موقف «دانيل» أصابت الهدف. ثم تحوّلت من « ماري » إلى « جاكمان » وقالت أخيرًا: « هلا عدتما إلى بيت دانيل معي؟ هناك شيءٌ أعتقد أنه يتوجب عليكما أن ترياه » .

* * *

كان « جاكمان » و«ماري» يقفان أسفل سلمٍ ضيقٍ بعد نصف ساعة. كانت « سكاي وينيارد» تحدّقُ في بابٍ يبدو متينًا في حين تقبض على مفتاحٍ في يدها بإحكام. كان من الواضح أن لديها شكوكًا خطيرة حيال دعوتهما إلى بيت دانيل. قالت « ماري » برفق:

- لا تثريب عليكِ يا «سكاي»، فكنا سنأتي إلى هنا على أي حال. فاعتراف «دانيل» خطيرٌ بما يكفي ليجعلنا نأتي لنفتش بيته. الأمر أفضل

كثيرًا هكذا بأمانة.

- إنه يثق بي، والآن أشعر بأنني أخونه. أرجو أن تفهما أن دانيل . ..

سكت صوتها، ومع إدراكها أنه لا مجال للعودة أخذت نفسًا عميقًا وأقبضت على المفتاح بإحكامٍ أكثر وتوجهت ناحية السلم المنحدر وقالت:

- من الأفضل أن تريان بنفسيكما.

دلف « جاكمان » داخل الغرفة الطويلة العليّة ونظر حوله.

كانت غرفة خفيّة تحت سقفٍ يأخذ شكل زاويةٍ حادة، ذات نوافذ صندوقية صغيرة بارزة. أخبرته البقع الداكنة على الجدران أسفل النوافذ البارزة أن الأخيرة تسرّب عندما تمطر السماء من ناحية الشرق. استدار لينظر إلى بقية الغرفة ولم يتمكن من إخفاء لهثة الصدمة التي هربت من بين شفتيه. أحسّ بأمرٍ ما يفوق إحساسه بتوتر « ماري » من خلفه.

خلت الغرفة من الأثاث غير مكتبٍ ومقعد. كان المكتب من خشبٍ بالٍ معيب تغطيه حلقات باهتة من أثر أكواب القهوة الرطبة، وبدا غير ملائمٍ إذا رأيت الحاسوب المتطوّر ذا شاشة اللمس فوقه. تكوّمت عشرات صناديق أوراق النسخ، جديدة ومستعملة، على نحوٍ غير منظّم في كوماتٍ كثيرة عبر الأرضية، تزاحم المستندات والملفات

والحقائب المليئة بالأوراق.

ولكن لم يقلق أيٌّ من ذلك «جاكمان». كان ذلك الجدار الطويل الذي يحيط بطول الغرفة العليّة الذي صدمه. كان مغطى من الأرضية إلى السقف بقصاصات أخبار وصور ومطبوعات ومسودات مكتوبة. ولم يكن مجرد حجم بحث دانيل عن أصله الذي تسبب في قشعريرة «جاكمان»، بل طريقة عرضه.

في المنتصف، في قلب عمله الجداري الغريب، كان هناك صورة مضخمة على نحوٍ هائل لامرأة. تعرّف عليها فورًا كأي بالغٍ في بريطانيا العظمى.

كانت صورة مقرّبة لـ«فرانسواز ثابيه»، التي قتلت رباها، «جورج وليديا هاينز»، بوحشيةٍ وقسوة منذ عشرين عامًا. إنها «فرانسواز ثايبة» التي لقّبها الإعلام بـ«السفّاحة الشقراء» . وبنفس سهولة التعرف على صورة الشرطة الرمزية لـ«ميرا هيندلي»، كان من السهل التعرّف على صورة «فرانسواز ثايبه» . .. وبقدر السهولة كان الخوف. كانت عينا هيندلي كعيني القرش؛ ساكنتين وميتتين، بينما حافظت ثايبه على تلك اللمحة من المتعة المظلمة، وجد « جاكمان » هذا الأمر أكثر إزعاجًا.

تشعّبت كل الصور والأوراق الأخرى من ابتسامة المرأة الشريرة ومن أسفلها، على بعدٍ بسيط،

صورة «دانيل كيندر». ومن أسفل منها عبارة « ابن القاتلة » بحروف سوداء مسنّنة هائلة مخربشة على الجدار نفسه.

- أخشى أن يكون هذا ما يعتقده.

ارتعدت « سكاي » ثم نظرت متوسلة إلى «جاكمان».

أخرج هاتفه من جيبه:

- عذرًا يا «سكاي»، ولكننا نحتاج إلى الطب الشرعي هنا . .. وخصوصًا مصوّر.

- لا! أرجوك، هذا ليس بيتي. إنه بيت والدة دانيل وهي مسافرة.

بإمكان « جاكمان » أن يرى دموعها تتساقط، ولكن قبل أن ينطق صرخت:

- أوه يا إلهي! ليس لدي الحق لأجلبكما إلى هنا! لا حق على الإطلاق.

تحرّكت « ماري » سريعًا ولفّت ذراعها حول كتف الفتاة المرتعش وقالت بصوتٍ ناعم:

- مهلًا، لا تقلقي. إنه جزء من التحريّات، وقد قمتِ بالشيء الصواب بإظهارك كل هذا.

أضاف «جاكمان»:

- صدقيني . .. كما قالت الرقيب «إيفانز»، من

الأفضل كثيرًا أنكِ دعوتينا إلى هنا. والآن، دعينا ننزل.

أغلق الهاتف وأكمل:

- نريد منكِ أن توضحي معنى هذا بالضبط حتى نحاول الفهم.

ابتسم لها محاولًا تشجيعها، ثم أضاف:

- هيا بنا ننزل ونجلس ويمكنك أن تخبرينا عن «دانيل».

* * *

بدا الأمر كله مدهشًا. جلسوا في الردهة وشعرت « سكاي » بأنه من الواجب أن تقدم مشروبًا منعشًا وأن تتبادل أطراف الحديث مع الضيوف. أرادت أن تشحذ عقلها لتفهمهم أنها تعرف «دانيل» الحقيقي ورغبته المستميتة في أن يعرف حقيقة مولده.

أخذ الأمر أكثر من نصف ساعة، ولكنها علمت في النهاية أن لا شيء في يدها أكثر من ذلك. دعت في صمت للملائكة من حولها – أيًا كانوا – وحاولت أن يكون كلامها موجزة وأن تكون قصتها واقعية. ربما نجحت في ذلك بما أن كلا الشرطيين بديا في حالة تفكيرٍ عميق.

- هل هناك أدنى احتمال أن يكون محقًا؟

نظر إليها المفتّش بتلك العينين الصادقتين.

- هل هو بالفعل ابن فرانسواز ثابيه؟

- لقد ساعدت دان في بحثه ودرست تلك المرأة لشهور ولم أجد أدنى دليل، ورغم ذلك . ..

كرهت « سكاي » نفسها لما قالته بعد ذلك:

- إن تاريخ مولده يتوافق مع نفس التاريخ الذي كان لـ«ثابيه» ابنًا فيه . .. ولكنني لم أجد له سجلًا رسميًا.

- وقد ماتت «ثابيه»، أليس كذلك؟

أومأت «سكاي»:

- ماتت في السجن بعد عامٍ من حبسها.

- قُتلت . .. كما أتذكر.

أضافت الرقيب «إيفانز».

قالت «سكاي»: « يقولون إن استمرارها في السجن لعامٍ كامل كان معجزة . .. حتى نزلاء السجن يعتقدون أنها شيطانٌ تمثّل في صورة إنسان. لم يُتهم أحد بقتلها».

- حسنًا، هناك مفاجأة.

ابتسمت الرقيب للمفتّش بسخرية ورفع كلاهما حاجبه.

شعرت « سكاي » بما يبدو وكأنه راحة غمرتها. ولأول مرة منذ قدومهم تعتقد أنها فعلت الأمر الصواب رغم كل شيء. لم يكن الضابطان ما توقعته بالتأكيد. فقد استمعا إليها فعلًا في البداية، ويبدو أن هناك نوعًا من التعاطف بينهما. تساءلت عمّا إذا كانا مرتبطين. ربما تكون المرأة أكبر قليلًا من المفتّش، ولكن هذا لا يعني شيئًا هذه الأيام. كما أن الشرطة معروفة بعلاقاتها الداخلية. كان «دانيل» قد كتب مقالًا عن الوظائف المعرّضة لأعمال الخيانة الزوجية. وكان قد اكتشف أن الكثير من أقسام الشرطة تشهد علاقات جنسية غير شرعية كثيفة. ليس وكأن الأمر يبدو دقيقًا بعض الشيء بالنسبة لـ«جاكمان» و«إيفانز»، رغم أن الرجل وسيم على نحوٍ كبير. قرّرت « سكاي » أنهما ربما يكونان زوجًا من زملاء العمل المقربين والمتآلفين.

سأل المفتّش:

- ماذا تعرفين عن والدة دانيل؟

- إنها في آسيا في معتزلٍ ما، ولكنني لا أعرف أين بالضبط. ولا حتى «دانيل».

قالت «ماري»:

- ربما يمكننا تقفّي أثرها عبر السفارات أو عملياتها البنكية.

- يمكنني أن أخبركِ بآخر مكانٍ معروفٍ لها،

ولكنه غير واضح هو الآخر.

- ماذا عن هاتفها المحمول؟

هزّت « سكاي » رأسها:

- أخشى أنها تعاملت مع وفاة زوجها على نحوٍ سيئ للغاية. ذهبت فيما أسمته برحلةٍ روحانيةٍ استشفائية. لم يكن هاتفها المحمول ضمن ما أخذته معها. آخر ما سمعته أنها تركت حتى حذاءها.

همست «إيفانز»: « خطير . .. ألا توجد ثعابين هناك؟ »

بدأت « سكاي » تطمئن للمرأة الأكبر منها، فردّت: « أوه نعم، وثعابين سامة . .. حيّات وكوبرا وأفاعي . .. »

- لذا دعينا نأمل بأن تحرسها الملائكة.

نظرت « سكاي » إلى الشرطية باهتمام. لم تسمع شرطيًا يتحدث مثلها من قبل. ولم يكن كلامها من قبيل السخرية. فقد كانت « سكاي » تؤمن بالملائكة، وبدون تفكير تحسّست القلادة الفضيّة التي ترتديها دائمًا. كان «دانيل» قد جلبها من أجلها، وكان محفور عليها « تحميها الملائكة ».

- نعم، فلنأمل ذلك! هل سترين «دانيل»؟ هل ستقولين له أن . ..

تعثّرت . .. ماذا ستقول له؟ تساءلت.

- لن نراه يا «سكاي». ليس قبل أن يخبرنا الأطباء أنه مستعد للتحقيق.

جاء صوت المحقق ناعمًا ومتفهمًا.

- إنه القانون، حيث يمكننا التحفّظ عليه لوقتٍ محددٍ من الزمن بدون اتهام، وقد توقّفت الساعة عندما دخل المستشفى. إذا تحدث أي منا عن القضية أو عن أي شيء متعلق بها، ستعود الساعة ولن نتمكن من إيقافها.

أومأت « سكاي » وكان جزءٌ منها سعيدًا، حيث لم ترد محاولة التفكير فيما يحدث داخل رأسه حتى تلقاه مرة أخرى.

- وماذا سيحدث هنا؟ أنا قلقة حيال أن هذا البيت لا يعود لي وأن رجال الشرطة سوف يمرغونه مجيئة وذهابًا.

- مصوّر الطب الشرعي سيصوّر العليّة، ثم سيتم تعبئة كل شيء ويؤخذ كدليل. ونظرًا لخطورة الجريمة التي اعترف «دانيل» بها فسيتم تفتيش البيت كله، ولكننا سنبذل قصارى جهدنا لضمان عدم تلف أي شيء وأن يبقى كل شيءٍ في مكانه، ولكن . ..

قطب المفتّش حاجبيه.

قالت «سكاي»:

- فهمت.

تساءلت ما إذا كان لدى دانيل فكرة عن الفوضى التي خلّفها فعله السخيف.

سألت « ماري إيفانز»:

- أخبريني يا «سكاي». بخصوص عمله في الصحافة، هل يعمل «دانيل» من البيت؟ فلم أرَ مكتبًا.

- لا، يقول إنه يتشتّت عندما يعمل هنا. إنه يستأجر مكتبًا في وحدةٍ لصديق في المنطقة الصناعية. الشركة اسمها « إيميرالد إكزوتكس » وصديقه اسمه «مارك دوناند». يستورد أوراق الشجر الغريبة من كل أنحاء العالم. أعتقد أنكما ستبحثان في هذا أيضًا، أليس كذلك؟

وقف الشرطيان:

- سنقدّر تمامًا إذا أعطيتينا العنوان يا آنسة «وينيارد» . .. سنحتاج إلى الذهاب إلى هناك.

ذهبت « سكاي » إلى المطبخ وقطعت قطعة ورق من مذكرة وكتبت عليها عنوان «مارك دوناند» ورقم هاتفه. ثم بادرت فجأة:

- أريد أن أساعد «دانيل»، حقيقةً أريد ذلك. إنه لم يقتل تلك المرأة، أعرف ذلك . .. أعتقد أن ألمه

حيال خلفيته سبّب هذه الفوضى.

نظرت إليهما بالتماسٍ شديد وأردفت:

- عندما تتحدثان إليه مجددًا أرجو أن تحاولا نقض ما يقوله. انظرا إلى الأدلة. ربما يمكنكما إقناعه بأنه مخطئ تمامًا في اعتقاده بأنه ابن قاتلة.

مدّ المفتّش يده وقال:

- الأمر الذي نقوم به على نحوٍ حسنٍ تمامًا هو الاهتمام بالأدلة يا آنسة «وينيارد». صديقيني، سنربط الخيوط ببعضها، الخيط تلو الخيط حتى نصل إلى الحقيقة.

أومأت مجددًا ومدّت يدها إليه. كانت قبضته صلبة ومطمئنة.

- الحقيقة هي كل ما نريده يا سيادة المفتّش «جاكمان». ورغم أنه من الصعب أن تصدّق ذلك، إلا أن هذا ما يريده «دانيل» أيضًا.

* * *

الفصل الخامس

حدّقت ممرضتان في جسد «دانيل كيندر» النائم، ثم نظرت إحداهما بغضبٍ إلى الشرطي صاحب البزة الرسمية الواقف بالقرب من الفراش:

- إنه بطل، تعلم ذلك. هل من الضروري أن تراقبه هكذا؟

فضّل الضابط «روجر لوكاس» ألا يدخل في جدال وقال ببساطة:

- عذرًا يا آنسة، هكذا الأوامر .. وهذا الرجل قيد الاعتقال.

- لا بد أن هناك خطأ ما.

قالت الممرضة الأخرى الممتلئة ذات الشعر الرمادي والماكياج الزائد حول عينيها، ثم أردفت:

- لقد مجّد هذا الرجل مهنتنا منذ فترة، وقضى الكثير من الوقت معنا. إنه لطيفٌ حقًا و . ..

أضافت بنبرةٍ أكثر عدائية:

- لا يمكن أن يؤذي أحدًا في رأينا.

- لذا أنا متيقّن بأنه لا يوجد شيء يقلقه، ولكن في اللحظة الراهنة يبقى الوضع كما هو عليه.

جلس «روجر» على المقعد المجاور للفراش ولوى قسمات وجهه. بدا الأمر غريبًا رغم كل شيء، فمن المعتاد أن يُعامل السجين بريبة لا الشرطي.

حينما غادرت الممرضتان نظر الشرطي إلى النافذة الزجاجية التي تفصله عن رفيقه، ثم أظلم وجهه.

خارج الغرفة كان الشرطي «زين برويت» يسترخي غير مكترثٍ على الجدار بينما يتحدث إلى إحدى الممرضات الأخرى. تساءل «روجر» كم من الوقت قد تصمد الفتاة أمام كلمات «زين» المعسولة. تذمّر مشمئزًا وأشاح بوجهه. كره العمل مع «برويت»، ولكن لا خيار أمامه اليوم. فزميله في إجازة، كما حصل الشرطي «كيفن ستونر»، زميل «زين برويت» الذي لطالما عانى كثيراً، على إجازةٍ مرضية. لم يكن «روجر» يلومه، ذلك الأبله الغلبان. فلا بد أن العمل مع ذلك الحقير مزعجٌ أيّما إزعاج. لطالما أحب «روجر» «كيفن»، فقد كان رجلًا صالحًا، ولطالما تعجّب من عدم طلبه الابتعاد عن «زين برويت». فالأخير كان مفسدة بيّنة، سواء كان شرطيًا أم لا.

دخلت الغرفة الصغيرة ممرضةٌ أخرى وفحصت ضغط دم السجين.

- عذرًا يا آنسة، ولكن متى سيفحص الطبيب السيد «كيندر» مجددًا؟

سألها بأدب متوقعًا ردًا سخيفًا.

الغريب أن هذه المرأة ابتسمت له ثم هزّت كتفيها وقالت:

- نحن تحت ضغطٍ كبير، ولذا سيبقى كما هو . .. ولكن على أمل أن يفحصه الطبيب في القريب

العاجل.

ابتسمت مجددًا وأضافت:

- هل أحضر لك قهوة؟ أعرف أنه غير مسموح لك أن تتركه ويبدو أن زميلك منشغل بأمور أخرى في الوقت الحالي.

- سيكون هذا عظيمًا، إن لم يكن في ذلك تعبٌ لكِ.

توقفت عند الباب وقالت:

- دعني أخمن، حليب وقطعتان من السكر.

ابتسم «روجر»، ورغم أنه كان عادةً ما يشرب قهوته داكنة بقطعة سكر واحدة، قال: « ممتاز! »

تقول شارتها إنها ضمن طاقم الممرضات وإن اسمها «كيلي كينج»، ورغم أن «روجر» لم يكن زير نساء – على النقيض من «زين برويت» – إلا أنه لم يكن ليتجاهل حقيقة أنها جذّابة حقًا، بشعرها الفاتح الطويل المربوط إلى الخلف في ضفيرةٍ أنيقة.

راقبها وهي تذهب وأطلق تنهيدةً قصيرة. فتاة كتلك لن تكون غير مرتبطة. إن لم تكن متزوجة فبالتأكيد لديها الكثير من المعجبين، بينما لم يكن هو «دافيد بيكهام».

عاد يحملق في سجينه الذي بدأ يتحرك بلا راحةٍ

في فراشه.

والآن هذه حركة غريبة بالفعل.

قطب «روجر» حاجبيه متعجبًا. فقد قرأ بعض مقالات « دانيل كيندر » عن أمورٍ محلية وكان مقالٌ أو اثنان منها مثيرًا للتفكير. كانت مقالات قائمة على بحثٍ مستفيض ولكن ذات طبيعة مثيرة. لطالما شعر بأن «دانيل» كان يجب أن يحصل على منصبٍ دائم في إحدى الصحف الكبرى . .. عمود منتظم ربما. لذا، لماذا يتحوّل صحفي قدير إلى قاتلٍ سادي فجأة؟

تصدّرت المخدرات أفكار «روجر»، فهي وراء كل الجرائم غير العقلانية التي مرّ بها تقريبًا. بإمكانها تضليل أنبغ العقول وتحويلها إلى هريسة. كان في رأيه أن أي شخص بإمكانه أن يقتل إذا تعاطى خليطًا ملائمًا من المخدرات.

ولكنه حينها سمع أن «دانيل» كان نظيفًا. وإذا كان هذا صحيحًا، فماذا إذًا؟

نظر «روجر» إلى الشاب الوسيم المهمهم على نحوٍ متنافر في نومه، وبدأ يفكّر ما إذا كان الأمر كله خديعة. هل كان احتيالًا؟ هل أعطته إحدى الصحف الكبرى فرصة الحصول على سبقٍ صحفي لا يأتي في العمر مرتين؟ هل كانً « دانيل كيندر » مراسل خفي يتقفّى أثر الشرطة؟

كان ممكنًا، فهناك شعورٌ سيئ تجاه الشرطة الآن. حيث تحتل قضيتا فساد شرطة كبيرتان العناوين الرئيسية يوميًا. ضاقت عيناه. وإذا كان هناك من يمكنه أن يتخفّى ويحرّك الأمور فإنه هذا الرجل هنا. ربما ينبغي عليه أن يشارك رئيسه مخاوفه. عضّ «روجر» شفتيه ولم يكد يلاحظ ابتسامة «كيلي كينج» المغرية عندما ناولته قهوته.

* * *

جلس « جاكمان » في مقعد الركّاب ونظر تجاه « ماري إيفانز» وقال:

- إنكِ هادئة على نحوٍ يثير الأعصاب.

- أفكّر بشأن الغرفة العليّة يا سيدي.

نظرت سريعًا ناحية المرآة الخلفية ثم تحوّلت إلى الحارة السريعة وأردفت:

- شعرت بيأسٍ حقيقي في ذلك المكان، ألم تشعر به؟

تساءل « جاكمان » ما إذا كان ما شعر به يأسًا أو مجرد هوس.

- حتى عندما تقرأين مقالاته تعرفين أن «دانيل» لديه هوس بالوصول إلى الحقيقة وسوف يصل إليها مهما كان الثمن. ربما لم تسمح له طبيعته بالتراجع عندما أصرّ على شيءٍ ما. وربما غلبه إصراره عندما بدأ يخوض في شجرة عائلته الأصلية.

زوّدت « ماري » السرعة على الطريق المباشر إلى قسم الشرطة.

- أظن أن عدم قدرته على إيجاد أجوبة يدفعه إلى الجنون.

- جنون يؤدي إلى القتل؟

- لم أقل ذلك.

قالت « ماري » بجد وأضافت:

- ولكني أقول إنه قد يؤدي إلى جنون الارتياب، ألا تتفق؟ تلك الأشياء على جدار العليّة غريبة للغاية.

توقفت برهة وأكملت:

- أعرف أن الأمر قديم، ولكن هل تابعت محاكمة «تيرينس ماركوس أوستن» قبل أن تنضم إلى الشرطة؟

- نوعًا ما.

قال « جاكمان » محاولًا تذكر ما يعرفه.

- كان شابًا من شيفيلد قتل أسرته بأكملها، أليس كذلك؟

- وآخرين كثيرين. كان مهووسًا بأفكارٍ استحواذية، وللأسف لم يرصد أحد أمارات التحذير حتى قتل سبعة أشخاص؛ ثلاثة أطفال وأربعة بالغين. لو كان أحدهم نظر إليه في وقتٍ مبكر لرصد كل أمارات الفصام المعتادة.

أشارت « ماري » وعادت بالسيارة برفق إلى الحارة الداخلية.

- انهار سريعًا . .. تحوّل في ظرف ثمانية عشر شهرًا من خريج جامعي إلى سفّاح.

- هل تقترحين أن « دانيل كيندر » يعاني من الفصام؟

- لا أعلم، فأنا لست بطبيبٍ نفسي. ولكن «تيرينس أوستن» احتفظ بيوميات، مذكرة مليئة بأفكاره، وقد شاهدتها.

ارتعدت « ماري » عن قصد.

- تبدين وكأنك تتمنين لو لم تفعلي.

- أمورٌ كابوسية.

ضغطت على زر النافذة وانحنت إلى الخارج ووضعت بطاقة هويتها أمام كاميرا الأمن على بوابة الدخول المؤدية إلى موقف سيّارات قسم الشرطة.

- أسوأ شيء كيف تحوّل الأمر من تعليقات عادية تمامًا ورسمات صبيانية تقريبًا إلى صور بشعة وخربشات فظيعة عن معتقداته الجنونية التي لا حد لها.

أخذت نفسًا وأردفت:

- لا أعرف السبب، ولكن عندما رأيت جدار العليّة تذكّرت مذكرة تيرينس أوستن.

خلع « جاكمان » حزام مقعده وخرج من السيارة.

- ولكن، إذا حذفت الصورتين الأساسيتين ربما يكون أحد أساليب العصف الذهني التي تساعد على حل المشكلات تقريبًا.

ضربت « ماري » الباب وأغلقت القفل.

- أو أحد لوحاتنا البيضاء. أعرف أنني ربما أبدو قلقة، ولكن هذا هو الانطباع الذي انتابني . .. أن هناك أمرًا ما يتجلّى.

قال « جاكمان » وهما يسيران إلى المبنى الرئيس:

- لا أشكك في صحة ما تقولين. سنعيد تشكيل ذلك الجدار كما كان بالضبط فور أن يتم تسجيل كل شيء ونرى ماذا سيقول الجميع عنه.

- هل تعتقد أنه بالإمكان إحضار طبيبٍ نفسي ليعطينا رأيًا مهنيًا؟

- سأتحدث مع الرؤساء في هذا الشأن.

لم يكن « جاكمان » يتطلّع إلى هذا الاجتماع.

- نحتاج إلى كل مساعدةٍ يمكننا الحصول عليها، سواء وفق الميزانية أو لا.

فور أن دخل الاثنان اقترب منهما مدني وقال إن رقيب المكتب يريد كلمة.

همهم «جاكمان»: « ماذا الآن؟ » .

كان الرقيب ذو البزة الرسمية ممتلئ الجسم بشعرٍ كثٍ أبيضّ قبل الأوان وبشرةٍ محمرّة، دعاهما إلى المكتب الخلفي وأغلق الباب.

- لا شيء ربما، ولكنني رأيت أنه من الضروري أن تعرفا أن شبابنا في المستشفى انتابهم شعورٌ سيئ.

مرّر يده السمينة عبر شعره الثلجي وهز كتفيه.

- اتصل الشرطي «لويس روجر» للتو وقال إن الآخرين يطلقون عليهم لقب « الأشرار » نظرًا لسمعة « دانيل كيندر » النظيفة. مقاله الصحفي ذلك الذي حوّلهم من حفنةٍ غير مسؤولة من الموظفين المهملين إلى ملائكةٍ لامعين خلق له الكثير من المعجبين في ذلك المحيط.

- أمر متوقع، أليس كذلك؟

قال « جاكمان » غير مبالٍ.

- أتفق معك، ولكن الشرطي «لويس» اتصل بي من دورة مياه الرجال. هناك احتمال كبير أن أحدهم وضع مسهلًا في قهوته.

كان الضحك أول ما جال ببال «جاكمان»، كما لاحظ « ماري » تحاول كبت قهقهتها، ثم فكّر في الأمر. قد يكون « دانيل كيندر » قاتلًا ساديًا بالفعل، وقد خاطرت ممرضاته العاشقات بأمنهم لمجرد أنه دعم موقفهم.

انتظر الرقيب «جيم ماسترز» حتى انقشع الغموض:

- حسنًا، طلبت من رئيسي أن يوجه كلمة شديدة

اللهجة للمسؤولين في المستشفى، كما ضاعفت عدد الشرطيين الحاضرين هناك. أعلم أن موظفي المستشفى لا يعلمون تمامًا ما يُفترض أن «كيندر» فعله، ولكن هذا السلوك ليس حسنًا بما يكفي.

توقف لبرهة وأردف:

- ولكن ليس هذا ما أردت أن أقوله لكما، فهناك نظرية لدى الشرطي «لويس».

ثم عرض فكرة الشرطي عن أن «كيندر» ربما يحاول « التسلل » إلى الداخل للحصول على خبرٍ حصري.

قالت «ماري»:

- وهل توصّل إلى هذه الفكرة النيّرة وهو في دورة المياه؟ خيرًا فعل، في ظل تلك الظروف. أنا منبهرة!

نظر « جاكمان » سريعًا إلى رقيبته وقرأ الشك وراء ابتسامتها. كانت يساورها نفس السؤال الذي يساوره. هل يدّعي «كيندر» الأمر؟ ولو كان الأمر كذلك، عمّا كان يبحث في قسم شرطة سالترن بحق الجحيم؟ عن ماذا أو من كان يبحث؟

شكر الرقيب وسارا معًا ببطء ناحية السلم الواسع المؤدي إلى الطابق الثاني. لم يتحدث

أحدهما. وبينما وصلا إلى العتبة الأولى توقّفت « ماري » وأمسكت بالدرابزين الخشبي المصقول وقالت ببطء:

- «روجر لويس» شرطي ماهر صلب . .. ستكون هناك مشكلة بالنسبة لنا إذا كان محقًا.

- أتفق معكِ، فهناك فارقٌ بسيط جدًا بين الاختلال والمكر. وإذا كانت تلك خدعة ذكية للحصول على خبر، فما الأمر المهم للغاية الذي يدفعه إلى المخاطرة بالتعرض لفضيحةٍ كبيرة؟

هزّت « ماري » رأسها:

- لا يمكنني التفكير. مشواره المهني وسمعته وكل شيء سينتهي، و . .. كذلك علاقته بـ«سكاي وينيارد» لأنني متأكدة تمامًا من أن تلك الفتاة قلقة أيّما قلق على «دانيل كيندر».

قطب « جاكمان » حاجبيه:

- ربما تبقى قلقة عندما تعرف أنه كان يبحث عن سبقٍ صحفي وكان مستعدًا لخسارة كل شيء، حتى هي . .. هذا إن ساءت الأمور.

سارا معًا بقية الطريق إلى غرفة التحقيقات الجنائية في صمت.

* * *

رأى « دانيل كيندر » البزة السوداء بجوار فراشه

وشعر براحةٍ كبيرة. كان سيشعر براحةٍ أكبر لو كان هناك قبضة حديدية تلتف حول معصمه. كان هذا سيعني أنهم يأخذونه على محمل الجد. هامَ عقلُه وتذكّر أنه سمع أن قانون الشرطة والأدلة الجنائية لعام 1984 جعل كل شيء في صالح الجاني، ولذا ربما لم يعد مسموحًا لهم أن يقيدوا مشتبهًا به.

حاول أن يفكّر في الشرطي، غير أنه شعر وكأن جفنيه من الإسمنت. أومض وتغيّر كل شيءٍ في الغرفة. وقف الشرطي بالقرب من الباب فيما كانت الممرضة تقوم بأمرٍ ما باستخدام حقنةٍ وكانيولا. كم تمنى لو كانت تلك الممرضة «سكاي»! كانت كل ما يريده في تلك اللحظة. لا عقاقير ولا جدال ولا شيء على الإطلاق . . « سكاي » ولا شيء آخر. أومض ثانيةً فوجد الرجل بجوار فراشه مجددًا. ماذا أعطوه بحق الجحيم؟ كان ينام بين الومضة والأخرى!

تأوّه ثم وجد نفسه يروح مرة أخرى.

* * *

أخذ الصغير «دانيل» ينظر في أنحاء الغرفة غير المألوفة. كانت مصمتة ذات جدرانٍ شديدة البياض لا أثاث فيها إلا مقعدين. ولكن أي مقاعد! كان يجلس في مقعدٍ ذي ذراعين جلدي ناعم ضخم يتساءل كم يكلّف مقعد مثله . . مئات الجنيهات بالتأكيد، هكذا خمّن.

بإمكانه سماع والديه يتحدثان بصوتٍ رقيق إلى الرجل الذي أقبل على الانضمام إليه.

كان يقفان خارج الغرفة بالضبط، ولكنه بإمكانه سماع بعض ما يقولانه، وقد سمع كلمات مثل « غضب » و«غير عقلاني » و«مصدر الخوف » .

لم تكن لديه فكرة عن سبب تواجده هنا. هناك أمور تبدو أنها تحدث لك وأنت صغير ولا يفسر أحد سببها. شاهد ناظر مدرسته ووالده يتحدثان ويحدثان ما قد تسميه والدته « بلبلة ». .. حديثٌ سري وجاد. ولكن لم يكن هذا بجديد. المضحك في الأمر أنه كان نادرًا ما يرى أولياء أمور آخرين مع ناظر المدرسة. أحيانًا ما كان «دانيل» يشعر بأنه مُراقب ومُتابع ويخضع للتقييم. وعندما ذكر الأمر لوالدته ضحكت وأخبرته ألا يكون سخيفًا. فكل طفل يخضع لمتابعة دقيقة في مدرسةٍ باهظةٍ كمدرسته. كان هذا جزءًا من الخدمة.

سمع صوت غلق الباب في حين انتابه شعورٌ عصبي مرضي . .. لماذا يحدث هذا؟

- أهلًا، دان! أنا «كونراد يونج» . .. والداك يردان مني أن أتحدث معك قليلًا. هل تمانع ذلك؟

قام رجلٌ طويل ذو شعر بني كثيف ونظارة سوداء وجلس على المقعد الآخر فجأة.

كان صوته عميقًا ومهدئًا، ذهبت مخاوف «دان» بعيدًا.

- بالطبع لا، ولكنني لا أعرف سبب تواجدي هنا.

تمنى أن يبدو بالغًا رغم أنه لم يبلغ التاسعة بعد.

- سنرى ذلك أثناء حديثنا بالتأكيد، أليس كذلك؟

مدّ يده إلى صندوقٍ في جانب مقعده وخلع سمّاعة . .. ثم سألً برفق:

- هل رأيت مثل هذه من قبل؟

نظر «دان» إلى الأعلى فوجد الإضاءة تعتم والجدار المقابل له لم يعد أبيض بل أصفر ذهبيًا، ثم تحوّل إلى برتقالي ثم إلى أحمر وهو ينظر إليه. شاهد ألوان الطيف وقال: « هذا رائعٌ حقًا! »

- إنه صندوق إضاءة سيساعدك على الاسترخاء . .. سيساعدك على أمورٍ كثيرة في الواقع.

تنفّس «دان» وغاص أكثر في المقعد المريح المغطّى بالجلد. أراد غرفة كتلك، ولكن والده هل . ... ؟ بدأ يفكّر في طرقٍ يتقرب بها إلى والده، ولكن الرجل عاد يتحدّث مرة أخرى.

- حسنًا، أخبرني لمَ ضربت صديقك؟

لم يعد «دان» يشعر براحة . .. إذًا هذا هو الغرض في النهاية! لوكاس ريكارد ودمية باور رينجرز الغبية خاصته.

- لقد آذيته يا «دان» . .. هل قصدت ذلك؟

كان أمرًا سخيفًا ليصدقه أحد، حيث كان مجرد شجار على دمية تعرضت للكسر. نظر إلى يديه وجدهما مطويتين في حضنه، ثم رأى نفسه يدق مساميره في راحة يديه بعنفٍ كافٍ لعمل فجوات.

- قال إنني كسرت دمية باور رينجرز خاصته، ولكنه هو من كسرها. ولقد ضربني أولًا، لم يكن إلا شجارًا غبيًا.

- لقد كسرت ذراعه.

- بل سقط! لقد دفعته فقط بعض الشيء لأبعده عني. كان يصرخ ويصرخ وأردته أن يتوقف.

بلع ريقه وهمس:

- دفعته فقط.

- حسنًا يا «دانيل».

ابتسم الرجل ثم نظر بعيدًا وحدّق ناحية الجدار حتى تغيّر من الأرجواني الناعم إلى الوردي.

- معك حق، فالأطفال يتشاجرون طوال الوقت.

- لا أفعل.

- ولكنك فعلت هذه المرة، فما الفرق؟

شعر «دان» ببؤسٍ شديد. لطالما شاهد شجارًا عنيفًا في المدرسة. والأطفال المتورطون فيه يتلقّون توبيخًا شديدًا، وإذا كان الأمر جادًا بحق يتم فصلهم لفترةٍ ما، ولكن لا يُرسلون إلى عيادةٍ غريبة. تجاهل السؤال وطرح سؤالًا بدلًا منه:

- هل أنت طبيب؟

- نعم، نوعًا ما.

- هل تجري عمليات جراحية للناس؟ هل تفتح أعضاءهم؟

ابتسم الرجل:

- لست جراحًا، ومن ثم لا أفتح أعضاءً . .. لا أقوم بالأمور الدموية.

كانت ابتسامته مطمئنة وبدأ الشعور بالأمان يعود لدان من جديد.

- أعمل على عقول الناس، وخصوصًا الأطفال منهم.

مال «دان» للأمام وفتح عينيه:

- أنت طبيب نفسي؟

- أدرس السلوك . .. ما يجعل الناس يتصرفون كما يتصرفون.

عاد «دان» إلى الخلف وقال:

- إذاً أنت تتحدث إلى الشخص الخطأ. «لوكاس ريكارد» هو من يجب أن يكون هنا. سلوكه يحتاج اهتمامًا جادًا.

- أخبرني عن «لوكاس».

- إنه بلطجي وكاذب، كما أنه ليس صديقي.

حدّق «دان» في الجدار الأخضر الناعم وهو يتحوّل على مهل إلى لون البحر حينما كانوا في إجازة.

- لعبت معه أحيانًا بسبب شيء يسميه والدي « العلاقات » .

قطب حاجبيه وأردف:

- والده دائمًا ما ينسلّ حول والدي، يحاول أن يدعو والدي إلى أماكن مثل أندية الجولف وما إلى ذلك. أعرف أن والدي لا يطيقه، ولكنه يُدعى مستثمراً ومن الواضح أن هذا يعني أن أتصرف على نحوٍ حسن مع «لوكاس».

- ولكن هل يغضبك «لوكاس»؟

قال «دان» على نحوٍ قاطع بنبرة جادة كالبالغين:

- الظلم هو ما يغضبني. لقد كسر دميتي ولامني لأنه يخشى والده. والآن أنا جالسٌ هنا وهو لديه دمية باور رينجرز جديدة . .. هذا ليس بعدل، أليس كذلك؟

- لا، ليس بعدل.

نظر إليه الرجل باهتمام:

- هل يمكنك أن تخبرني كيف انكسر ذراع «لوكاس»؟

- قلت لك، لقد سقط.

- صف ما حدث.

فتح «دانيل» فمه ليبدأ الحديث ثم أغلقه لأنه لم يستطع وصف ما حدث. ولم يتسنَ له الكذب أيضًا، فهذا لن يجعله أفضل من «لوكاس». قال أخيراً:

- لا أتذكر.

كان هناك فجوة . .. فجوة صغيرة ولكنها كانت موجودة. منذ دقيقة كان «لوكاس» يضربه وينهره، ثم كان « صديقه » يجلس على الأرض يزمجر ليقتل ويتسبب في كسر ذراعه.

- لا أتذكر.

* * *

سمع «دانيل» نفسه ينطق بالكلمات، ورأى رأس الشرطي تهتز.

- آه، لقد عدت مجددًا.

أومــض «دانيــل» وجــال بنظـره عبـر غرفـة المستشفى، وفي هذه المرة كان كل شيء كما كان.

- أعتقد هذا.

شعر بأن فمه جاف كالقش ورأسه يخفق كأنه يعاني من صداع ثمالة شديد. على الأقل لم يكونوا يحققون معه. كان يعرف إجراءات الشرطة جيدًا. كل ما كان يحتاج إليه أن يقنع الطبيب بأنه بخير، وأن رحلته إلى الاحتجاز الشرطي قد غمرته ببساطة، ثم سيُعاد إلى قسم الشرطة ليُحتجز مجددًا . .. حمدًا لله!

أطلق دانيل تنهيدة مرتاحة طويلة، ثم أغلق عينيه مجددًا.

الفصل السادس

- مجرد نوبة هلع.

حدّق « جاكمان » متشكّكًا في المراقب «كروك».

- ولا داعي للنظر إليّ هكذا. قال الطبيب إن ضغط دمه أصبح طبيعيًا الآن وأعلن أنه مستعد للتحقيق. سيعود إلينا بعد بعض ساعات ويبدأ العد التنازلي مجددًا.

بحلقت في «جاكمان»:

- لذا يجب أن تبتعدوا عنه يا سادة، فنحن لا نريد أن يلازمنا كابوس عملية صقر الليل. إنه أحد احتمالين يا «جاكمان»؛ إما مضيّع للوقت وإما قاتل، وقد حان وقت أن تعملوا تفكيركم، وبسرعة.

كانت المراقب «روث كروك» امرأة نحيفة ذات تقاسيم بارزة وشعر خفيف وطلّة غير راضية. كان لديها أسلوب غريب في لوي شفتيها الضيقتين عندما تفكّر، مما جعلها تبدو وكأنها تحاول بلع شيء شديد المرارة. ظنّت « ماري » أن اسمها ربما هو ما أعطاها ذلك التعبير اللاذع. ليس من السهل أن تكون شرطيًا مبتدئًا باسمٍ مثل « كروك » .

- وهل خضع لتقييم نفسي؟

- أطباء قسم الحوادث والطوارئ جعلوا قسم الأمراض النفسية يلقون نظرة عليه، ولكن لا تبدو عليه أي أمارات اضطرابٍ نفسي.

تنهّدت «كروك» بصوتٍ مرتفع ثم نظرت بحدة إلى ساعتها:

- حسنًا، سيكون تحت تصرفك بعد وقتٍ قصيرٍ جدًا. أقترح عليكِ بأن تجهزي فريقك وتنهي هذا الأمر.

- كنت آمل بأن نحصل على رأي طبيب نفسي حيال ترتيب الصور المريب في جدار عليّة «كيندر» يا سيدتي. هل تسمح الميزانية بذلك؟

رسم « جاكمان » ابتسامة عريضة وأضاف:

- سيكون من المفيد أن نسرع العملية.

ضاقت شفتا المرأة حتى كادتا تختفيان.

- سيدي المفتش، الميزانية تكفي ورق دورة المياه بالكاد، كما أن إحضار شخصٍ من خارج سلك الشرطة يكلّف الكثير الكثير.

- ألم نحضر أحدهم من عندنا؟

- لا يوجد من أثق فيه بخصوص أمرٍ كهذا، وبما أن قسم الشرطة لا يوفّر خبيرٍ نفسي فإن هذا سيكون صعبًا.

نظرت إليه في حين امتدت خيوطٌ قلقة عبر بشرتها المضطربة:

- سأرى ما بوسعي، ولكني لا أعدك.

تذكّر « جاكمان » من وراء الخطوط والطلّة العبوس ذلك الشرطي الشجاع الذي لم يحب شيئًا يومًا إلا الإقدام مهما كان الموقف عصيبًا. و«كروك» شرطيةٌ مقدامة فريدة من نوعها صعدت السلّم بدون مساعدةٍ من أحد، حتى حلّقت عاليًا على نحوٍ زائد ووجدت نفسها خارج الإطار.

تحوّل وصفها الوظيفي بين ليلةٍ وضحاها من شرطي جنائي بارز إلى إداري مكتب. لم تعد تواجه المجرمين، الشيء الوحيد الذي تواجهه الآن الأهداف الدورية والميزانيات والبروتوكول وجداول أعمال جلسات فريق الإدارة العليا. علم « جاكمان » أنها تكره كل هذا. كان من بين القلائل الذين يقرأون الحزن والألم مختفيًا خلف تلك الشفاه المضمومة.

- أقدر لكِ هذا كثيرًا يا سيدتي . .. شكرًا.

* * *

هناك في إدارة التحقيقات الجنائية وجد أعضاء فريقه الثلاثة يعملون بحرص على اللوحة البيضاء الجديدة. كانوا قد وضعوها بجوار اللوحة الموجودة بالفعل التي تحمل صورة مبتسمة واسم الضحية . .. «أليسون فليت».

- جعلت المصوّر يحصل سريعًا على نسخ من الصور على جدار العليّة يا سيدي. حيث لن نتمكن من الحصول على الصور الأصلية فاستخدمنا هذه. فصلنا كل عنصر عن الآخر وكبرناه وطبعناه.

نظر «ماكس» متفاخرًا.

- ممتاز، سيوفر هذا كثيرًا من الوقت . .. وكيف تمضي الأمور؟

نظرت « ماري » إلى صنع أيديهم ورفع حاجبًا:

- حسنًا، ما كنت لأستأجره ليصلح ديكور شقتي . .. أعتقد أنه إما كان سكرانًا أو متضايقًا أو . ..

- يدّعي الجنون.

أكمل الشرطي «تنشارلي باتون» جملتها.

ابتسم «جاكمان»، فـ«تشارلي» كان أصغر أعضاء الفريق سنًا، شابٌ مهلهل في الثانية والعشرين من عمره ذو شعرٍ غير مهندم وبشرة مرقّطة. بدا كطالبٍ مدرسي شقيٍ أكثر من كونه ضابط شرطةٍ، ولكن الشاب كان مستعدًا، مستعدًا وحريصًا، وكان يظهر أمارات ذكاء أحيانًا تتضمن عادةً ملاحظة نقطةٍ واضحة تمامًا غاب عنها الجميع كليةً.

تحوّل « جاكمان » لدراسة إعادة تكوين رؤية كيندر، ذلك العمل الفني الفصامي، وشعر برعشة. ورغم أن الصور فقدت الشعور المضطرب الشديد للغرفة العليّة، إلا أن رؤية الترتيب في هذا الوضع التشريحي أصابه بقشعريرة.

وقف هناك غارقًا في فكره، ثم سمع صوت «تنشارلي باتون» يخترق عقله.

- هل يمكن للقتل أن يورث يا سيدي؟ أعني أنه حتى لو كان ابن تلك السفّاحة بالولادة، فليس

من الضروري أن يصبح قاتلًا هو الآخر، أليس كذلك؟

حاول « جاكمان » أن يتذكّر محاضرات كليته:

- هذا أمرٌ نتركه للخبراء يا «تشارلي»، رغم أنني سأفاجأ في حالة «كيندر» لو كان الأمر كذلك. فقد حصل «كيندر» على طفولةٍ رائعة كطفلٍ مُتبنى وتربيةٍ مميزة. سيكون اقتراحك صحيحًا في حالة ما إذا عانى الشخص بنفسه على يد أبٍ أو أمٍ قاسيين. أعتقد أن الأمر متعلق أكثر بالظروف وقلة الحساسية في سن حسّاسة أكثر من الاستعداد للقتل كأمرٍ فطري.

- وماذا لو كان يعتقد أن الأمر ممكن؟

سألت « ماري » وأردفت:

- بعيدًا عن كل التفكير المنطقي والحقائق الطبية، إذا كان يؤمن بأن هذا الأمر حقيقي فإنه سيقتل، أليس كذلك؟

قال «ماكس»:

- نعم، ولكن لا تشغلي بالك . .. فإذا غسل ذلك التافه عقله ليؤمن بأن الأمر بداخله فالأمر سهل، أليس كذلك؟

استمع « جاكمان » إليهما وأومأ:

- محتمل جدًا، ولكن من الممكن أيضًا أنه ذكي

وماكرٌ للغاية تمكّن من إيجاد طريقةٍ استثنائية للوصول إلى قلب قسم الشرطة هذا.

سأل «تشارلي»:

- ولكن لماذا؟

- لأنه صحفي لعين!

زمجر «ماكس» وتحوّل إلى «جاكمان»:

- هل تعتقد أن هناك أمرًا خبيثًا يجري بين هذه الجدران يا سيدي؟

- لو كان الأمر كذلك فإني لا أعلم بشأنه بالتأكيد، ولكنني أعتقد أنه من الواجب أن نتقدم بحذرٍ مع «دانيل كيندر». نسير كما يقول الكتاب، وفي نفس الوقت نبقي أعيننا وآذاننا مفتوحين. إذا شعر «كيندر» بأن أمرًا ما غير حسنٍ يجري في سالترن لوفين فيجب أن نحصل على مصدره قبل أن يفعل هو، حسنًا؟

- جميل!

دمدم «ماكس» وأضاف:

- ليس فقط مجنونًا لعينًا وقتيلة غلبانة، فعلينا الآن أن نتعامل مع عدوٍ بالداخل.

- عدوٌ مُحتمل بالداخل يا «ماكس». لا نعرف، ولكن من الواجب أن نحذر.

أخذ نفسًا وأضاف:

- والآن، هل حصلنا على حاسوب «كيندر» من العليّة؟

- مع الفنيين بالفعل يا سيدي . .. وتأكدت من أن «أوراك» تتعامل مع الموقف بنفسها.

- هذا ليس اسمها الحقيقي، أليس كذلك؟ أرجوك أخبرني أنه ليس اسمها الحقيقي.

استحضر « جاكمان » صورة رئيس قسم تكنولوجيا المعلومات الطويلة عريضة الكتفين ذات الشعر الأشقر المبيض، وكأنها في فيلم « موهيكان » مخيف، وأغرب عيونٍ رآها في حياته.

- وماذا عن هاتين العينين؟

ابتسم «ماكس» بخفة:

- الاسم؟ حسنًا، يبدو أنك لا تحب مهووسي الخيال العلمي، أليس كذلك؟ والعينان . .. يا إلهي!

أصبحت ابتسامته شيطانية:

- قيل لي عن ثقة إنهما عدستان شفافتان تجعلان التهاب القزحية يبدو كمعدنٍ ما . .. كفضةٍ مصقولة.

شعر « جاكمان » بارتباكٍ شديد، أراد أن يسأل

عن السبب ولكنه قرّر أن يحافظ على المسافة بينه وبين «ماكس»، فهز كتفيه بعض الشيء غير مكترث.

- حسنًا، أعلم أنها ترتدي عدستين. إنه الاسم فقط يبدو بلا معنى.

- اسم « أوراك » كان لشخصيةٍ مهووسة بالحاسوب في برنامج « بلاك 7» التلفزيوني.

نظر إليه ماكس آملًا في أن يحصل على رد، ولكن لمّا لم يجئه الرد أردف:

- برنامج تلفزيوني خيال علمي يعود إلى عام 1978 . وشخصية «أوراك» كانت غامضة سريعة الغضب تحقّر من البشر، وقد أعطاها مخترعها غرورًا كبيرًا. هل بدأت تتذكر أي شيء؟

- لم أسمع عنه قط، ولكن الوصف يبدو مألوفًا على نحوٍ غامض.

- أضف إلى ذلك أن «أوراك» كانت ذات قيمةٍ هائلة، وبإمكانها الوصول إلى كم لا نهائي من المعلومات الحسّاسة، ويمكنها اختراق أي حاسوب استراتيجي.

- آه، حسنًا . .. الآن أرى الصلة.

- حسنًا، لأنها تود أن تراك لاحقًا اليوم. إنها تجهّز نظامها الأساسي وستكشف كل شيء مثير له علاقة بالقضية.

- رائع، لا أطيق الانتظار.

في الواقع، وجد « جاكمان » أن تلك العينين ساحرتان ومشتتتان لدرجة أنه في أي نقاشٍ مع خبيرة تكنولوجيا المعلومات تلك كان يجد نفسه في وضعٍ دفاعي. كان هناك القليل فقط ممن يمكنهم أن يجعلوه يشعر بأنه غير مؤهل، و«أوراك» واحدة من هؤلاء، وقد فعلت ذلك ببراعة. ربما يرسل « ماري » للحصول على أي معلوماتٍ مع ذلك الجهاز البائس.

نظر إلى الساعة:

- حسنًا، «تشارلي» . .. أريد منك أن تجهّز بعض البزّات الرسمية وتذهب إلى ذلك المكان حيث مكتب كيندر. يقع في حديقة فينذايك إنديفور التجارية، شركة استيراد أوراق شجر تُدعى « إيميرالد إكزوتكس » يملكها صديق لـ«كيندر» اسمه «مارك دونالد». اجمع كل شيءٍ ذي صلة، أمور كان يعمل عليها أو بيانات اتصال، ومن الأكيد أن هناك حاسوبًا آخر، سنحتاج إليه أيضًا. سيعود «كيندر» إلينا في غضون ساعةٍ تقريبًا، لذا أريد منك أن تجمع كل ما لدينا عنه. اجمع كل شيءٍ لدينا، وسأطّلع أنا والرقيب عليه قبل أن نكمل تحقيقاتنا. نحن بحث في الأساس عن صلة – مهما كانت ضعيفة – بينه وبين «أليسون فليت». بأسرع ما يمكنكم يا شباب، فقد عدنا إلى العد التنازلي شئتم أم أبيتم.

عاد « جاكمان » إلى مكتبه وأغلق الباب واستمتع للحظة بالصمت الذي يعتريه. كان المبنى القديم قد وفّر له مكتبًا أكبر بكثير من منصبه كمحقق، ولكن كل الغرف كانت كبيرة ذات أسقفٍ مرتفعة ونوافذ بابية طويلة. كانت طريقة تجهيزه لمكتبه هي الفرق.

أحب « جاكمان » أن يتأنّق في ملبسه، ففضّل البذلات مضبوطة المقاس، ولكن مكتبه كان شيئًا مختلفًا كليةً. بدا وكأنه يعود إلى العصر الديكنزي. كان مثل مكتبة أستاذ جامعي كبير أكثر من كونه مقر عمل مفتش تحقيق شاب حديث.

كان هناك جدارٌ كامل مليء بالأرفف ينتصب من الأرضية إلى السقف، وبين كل بوصةٍ وأخرى كتاب. كان قد استبدل المكتب الرخيص ذا الأرجل المعدنية المكسوة بالخشب الذي توفره الشرطة بمكتبٍ من البلّوط المتين جلبه من مزادٍ لأغراضٍ منزلية. كان يليق بالمكتب تمامًا بفضل سطحه المُرصّع بالجلد الكستنائي. جلس على زاوية المكتب مصباحٌ ذو ظلٍ أخضر، وبدلًا من اللوحة الشرطية الذي عفا عليها الزمن كانت الصورة الوحيدة المؤطّرة لفرس سباق أنجلوعربي رمادي قوي.

مدّ « جاكمان » يده بذهول ولمس الصورة وهمس: « أهلا يا صديقي » . كان هذا شغفه

الحقيقي بعيدًا عن عمل الشرطة. حمله فرسه الأثير « جلوري » في شبابه للفوز بكثير من الكؤوس والجوائز والشارات. وعندما مات جلوري غرق في حزنه لشهور، وما زال يشعر بغصة في حلقة عندما يشاهد الفيديو الذي صورته والدته مع جلوري في سباق.

كانت الجدران في بيته في قرية كارتوفت الصغيرة مغطاة بصور من طفولته، وفي كل واحدةٍ منها تقريبًا كان هناك حيوان مختلف، وخصوصًا خيوله المفضلة. ربما كان أمرًا حسنًا أنه لم يتزوج قط، فلن يكون هناك مكان لصور الزفاف. ابتسم آسفًا لأن والدته كانت لتعارضه، وبشدة. كانت تذكّره في كل خطابٍ ترسله إليه – خطابات أصيلة مكتوبة بقلمٍ حبر – بحياة عزوبيته وكيف يجب أن يغيّر هذا الوضع بأسرع ما يمكن.

لم يكن الزواج في قائمة أولويات « جاكمان » بكل تأكيد. كان يحب الأمور كما هي عليه، فلديه بيتٌ جميل ورفيقان من أهل القرية يعتنيان بالبيت - لحسن حظه - عندما يقضي ساعات طويلة في العمل. كانت طاحونة كورنر تعمل في بداية القرن التاسع عشر. والآن رغم أن الزمن قد عفا عنها إلا أن البرج ظل كما هو وتحوّلت المباني المرفقة إلى بيتٍ مريح للغاية. خطّط لأن يستخدم المباني الخارجية كإسطبلات، وعندما يتقاعد أخيرًا سيعود إلى رفقة الخيل.

شتّت طرقة على الباب استغراقه الخيالي:

- المراقب تريد مقابلتك يا سيدي، قالت أن أقول لك إن الأمر عاجل.

شكر « جاكمان » المدنية وأطلق تنهيدة متعبة، ثم تبعها إلى الخارج. استدعى شخصٌ آخر « جاكمان » إلى مكتب المراقب قبل أن يُنفذ الاستدعاء الأول.

* * *

- «روان»، تعال واجلس.

خفق قلبه. يبدو أنها مشكلة كبيرة. لطالما كان استخدام «روث كروك» لاسمه الأول علامة سوء. لم تكن وحدها عرينها، فكان هناك رئيس مراقبي التفتيش «ويلسون نورث» الواقف مستقيمًا متخشّب الوجه.

- لدينا مشكلة، أحاول بقدر الإمكان إخفاء الأمر، ولكن . ..

زفرت ونظرت إلى الرئيس بقلق.

- تم العثور على جثة أخرى لامرأة.

- ماذا؟ أين؟

كانت صدمة حقيقية لـ«جاكمان». تجمّعت أفكارٌ متناقضة كثيرة في عقله. امرأة قتيلة أخرى. ولا

يمكن أن يكون « دانيل كيندر » الفاعل لأنه محبوس.

حاول الحفاظ على مستوى صوته:

- أفترض أننا نشك في وقع جريمة يا سيدتي أليس كذلك؟

- نعم، إلا إذا تمكنت المرأة من نحر رقبتها بعد أن طعنت نفسها في مؤخرة رأسها.

صُدم « جاكمان » تمامًا، لم يكن في حاجةٍ لهذا الآن، ليس في ظل عودة «كيندر» الوشيكة والقيود الزمنية المفروضة على التحقيقات.

- تقولين إن رقبتها نُحرت؟ هل بنفس طريقة نحر «أليسون فليت»؟

- يبدو كذلك، ولكن نريد منك أن تذهب مع فريق الطب الشرعي إلى هناك وتلقوا نظرة.

- حسنًا، على الأقل نعلم أن « دانيل كيندر » ليس الفاعل.

- لا تكن جازمًا هكذا، سيدي المفتش.

نزلت كلماتها كالمقصلة على رأس جاكمان.

- نريد أخصائي أمراض للتعرف على الحقيقة كاملة، ولكن يبدو أنها كانت ميتة منذ فترة.

- فترة؟

فكّر « جاكمان » في الطقس الرطب الدافئ وأصبح بإمكانه تقريبًا شم مسرح الجريمة من مكانه.

- فترة.

وبما أنه لا يوجد مفر من هذا قرّر « جاكمان » أن يشمّر عن ذراعيه:

- حسنًا، هل تعلمين من هي؟ هل عُثر عليها في بيتها؟

- الشرطي الذي عثر عليها لم يجد شيئًا يساعد في كشف هويتها بدون إفساد مسرح الجريمة. وقد عُثر عليها ملقاة في بناءٍ مهجور ينتظر الإزالة.

رفعت «روث كروك» حاجبها:

- هكذا تمكّنا من الحفاظ على أن يبقى الأمر سرًا . .. حتى الآن.

- حسنًا، أين هي؟

- في الطريق إلى قرية براكن هولم قبل ميلٍ تقريبًا من شاطئ فرامبتون. هناك سكن عام قديم على بعد نصف ميل من طريق لندن القديم. ظل محميًا بالأخشاب لشعور. خسر المبنى تجارته كلها عندما تم مد طريق النقل المزدوج. كان من المفترض أن يُهدم باستخدام كرة الهدم في الأسبوع القادم.

وقف «جاكمان»:

- سآخذ الشرطي «كوهين» معي حتى يتسنّى للشرطيين «إيفانز» و«باتون» البدء في التحقيقات مع «كيندر». هل أخطرتم أخصائي الأمراض؟.

- إنه في الطريق قادم من قضيةٍ في المحكمة في لينكولن. سيقابلك هناك. اذهب الآن!

* * *

الفصل السابع

حدّق « جاكمان » فيما تبقّى من حانة دروفرز آرمز التي من الواضح أنها لم تكن مجانًا جيدًا أبدًا. مجرد حانة قديمة لعمّال مزرعة، من النوع الذي لا يمانع أن يرتدي زبائنه أحذية ويلينجتون حتى وإن كان نصف عمّال المزرعة الآخرين يرتدون نعالًا.

تلقوا تعليمات بأن يقودوا إلى منطقةٍ خشنة خلف البناء المهجور. كان هناك سيارتا شرطة بالفعل تقفان متخفيتان خلف مخزنٍ قديم بحيث لا تظهران للطريق. بدا في البداية أن هناك التزامًا بتعليمات العمل بسرية.

هرعت ناحيتهم شرطيةٌ وتوقفت، ثم قادتهم إلى بابٍ مفتوح يؤدي إلى خلف السكن العام المهلهل.

- إنها في هذا المكان يا سيدي.

سمع « جاكمان » عدم ثباتٍ في صوتها، ورغم أن المرأة لم تبد الصدمة عليها إلا أنه عرف أنها كانت ترتعد بداخلها، فسألها برفق:

- هل أنتِ من عثر عليها؟

أومأت الشرطية:

- سمعت صيحة موجّهة لأطفالٍ يحملون صفيحة بنزين على مقاود دراجة. شاهدهم أحد سكان القرية يتسحبون حول الأبنية هنا، فجئت مع شريكي لنرى ما يحدث.

هزّت رأسها وأردفت:

- كنت أتمنى أن يكون هذا الأمر كله، مجرد أطفال يلعبون.

نظر « جاكمان » حوله، وجد زهورًا بلاستيكية شاحبة تتدلى على نحوٍ هزيل من سلةٍ معلّقة عفنة بسلسلةٍ صدئة. إعلانات معلّقة على الجدران لخمر المزر، ممزّقة وغير مقروءة تقريبًا. تناثرت القمامة عند المدخل، وحتى من الخارج تفوح رائحة شيءٍ ما خضري رطب ومتعفّن.

- لا أظن أن هذا المكان كان مسجلًا في دليل ميشلان السياحي يا سيدي.

تمتم «ماكس» وهو يركل حقيبة برتقالية شبكية بداخلها ثمار جزر مسودّة ومتقيحة.

- ربما لا.

- هذه حانة من النوع الذي يجب أن تنظف قدميك قبل الخروج منها، حتى في ذروة تألقها.

أضافت الشرطية على نحوٍ صارم:

- كنت أذهب لأرى كل تلك المشكلات التي كانت تقع هنا على مر السنين . .. وكم فرحت برؤية المكان يُغلق! ظننت أن الأمر سينتهي عند هذا الحد.

قطبت حاجبيها:

- ولكن ها نحن هنا مجددًا.

دلفت إلى الداخل:

- احذر، فهناك نفايات وقاذورات في كل مكان.

هكذا ظن « جاكمان » أيضًا وهو يتجنّب كومة من فضلات كلب.

وفي نهاية المدخل الطويل الضيق شاهدوا شرطيًا آخر ببزةٍ رسمية.

- عذرًا يا سيدي، ولكنني خرجت لأستنشق بعض الهواء، فالرائحة هناك بشعة.

كان وجه الشرطي الشاب شاحبًا مائلًا إلى الصفرة. تأكد « جاكمان » من أنه سيعيد النظر في مسألة غذائه.

- أين هي؟

- في قبو الجعة، سأريكم.

- فقط قل لنا، لا داعي لأن تشعر بغثيانٍ آخر.

ابتسم الشرطي شاكرًا:

- اهبطوا السلم واتجهوا يسارًا يا سيدي. غرفة البراميل في الأمام مباشرة، والضحية ملقاة على الأرض خلف كومة من الصناديق البلاستيكية.

أومأ « جاكمان » لـ«ماكس»، وبدأوا يهبطون درج السلم الحجري المنحدر.

- عادةً ما يكون قبو الجعة رطبًا . .. ربما لا تكون الجثة بهذا السوء.

قالها ماكس آملًا.

كان « جاكمان » متقدمًا بعض الشيء، وبالطبع كانت رائحة العفن التي لا يخطؤها أحد تملأ أنفه.

- عذرًا على ما سأقوله لك يا صديق اللندني الصغير، ولكنك مخطئ أيّما خطأ.

سكت «ماكس» عندما صدمته الرائحة ثم قال:

- وأنا كذلك . .. اللعنة! كم أكره هذه الرائحة!

- كنت سأقلق بشأنك إن لم تكن كذلك.

لم يكن القبو رطبًا إطلاقًا، بل دبقًا بدون تهوية. وقبل أن يرحل المُلّاك ألقوا كل شيءٍ غير ذي قيمة في القبو وأغلقوا الباب عليه. رأى « جاكمان » مقاعد وطاولات وصورًا مكسورة، ووسائد مبقّعة ومناشف سفرة قذرة وصناديق أوراق لعب تملأ الأرض. أزيلت كل البراميل، لا شك أنهم صنّاع الجعة، ولكن من السقف تدلّت خيوطٌ وأخاديد كانت تحمل الصناديق إلى الأعلى حيث الحانة. ثم رأى كومة من صناديق بلاستيكية زرقاء عملت كحدٍ فاصل بينهم وبين ما سيرونه لاحقًا، غير أن « جاكمان » عرف أنه لا مجال هناك للتردد.

- حسنًا، دعنا نرى ما لدينا.

اقتربوا معًا من جدار الصناديق ونظروا حولهم بتردّد.

شحذ « جاكمان » زمام فكره، ولكن من قطع القماش الملتصقة بجسدها، قطع قماش كانت يومًا ما ملابس أنيقة، قدّر « جاكمان » أن المرأة تبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا تقريبًا. كانت ترقد على جنبها مما سمح له بأن يرى منظر الجرح الهائل في الرأس والحلق المنحور والأسنان المتناثرة. لم تكن تلك كل جروحها للأسف. بذل « جاكمان » مجهودًا أكبر في التفكير، ولكنه توصّل إلى بعض الملاحظات العقلية. فالسكين الذين نحر رقبتها ترك أيضًا

عشرات الجروح الأخرى، وكما رأى من قبل في حالة أليسون فليت، فإن ملابسها مقطّعة ويظهر من تحتها بعضٌ من لحمها. تذكّر أليسون ورسم في عقله مجددًا بشرتها الداكنة بعض الشيء من تحت بلوزتها وتنورتها. هنا لا شيء إلا لحم داكن فاسد متحلّل. كانت قدماها عاريتين، قضمت القوارض أصابعها المسودّة. لم يكن « جاكمان » لأخصائي أمراض ليخبره بأن هذه الروح الغلبانة ماتت منذ عدة أسابيع. وهذا، فكّر بغموض، يضع « دانيل كيندر » في الصورة مجددًا.

لن ينطق « جاكمان » ببنت شفة، وعندما استدار « جاكمان » ليرى ما إذا كان بخير وجد المحقق الشاب يكتب ملاحظات في مذكرته بحرص. نظر «ماكس» عندما أدرك أن هناك من يراقبه وسأل:

- هل هو نفس القاتل في رأيك يا سيدي؟

ابتعد « جاكمان » مسافة خطوة عن الجثة:

- نعم في رأيي. علينا أن ننتظر ونرى ما إذا كان أخصائي الأمراض يتفق أم لا.

- ولكن لن ننتظر كثيراً . .. لا قدّر الله يا سيدي!

استدار « جاكمان » مرة أخرى ورأى شخصًا آخر يهبط على السلم بحرص ويحمل حقيبة كبيرة.

- أرجو أن تكونا تحميان دليلي أنتما الاثنين!

ابتسم « جاكمان » بقدر الإمكان، ولكنه وجد أنه من المستحيل أن يستريح لهذا الرجل. لطالما شعر « جاكمان » بشيءٍ غريب تجاه الدكتور «أرثر جاكوبس» لم يرتح له. فأغلب خبراء الأمراض كانوا مريبين وفق خبرته. بعضهم كان غير مريح إطلاقًا، والبعض الآخر مخيفًا كثيرًا، ولكن «جاكوبس» كان يتمتع ببرودٍ حجري وكأنه أحد ساكني المشرحة. إذا سُئل « جاكمان » عن كلمةٍ واحدة يلخّص بها الرقم كان سيقول « كئيب » .

- لـم نلمـس شيئًا يا دكتـور «جـاكوبس»، ولـن نفعل.

حاول جاهدًا الحفاظ على ابتسامته:

- ولكنني سأطرح عليك سؤالين إذا سمحت لي.

توقف لثانيةٍ واحدة وقبل أن يفتح الأخصائي فمه ليرد عليه أضاف:

- ولا تقلق، فالسؤالان غير متعلقين بوقت الوفاة اللعين.

استقر حاجبا «جاكوبس» الرماديان الكثّان وقال:

- حسنًا فعلت.

- أريد أن أعرف إذا كان هنا أي صلة بينها وبين جثة «أليسون فليت» بما أنك عملت عليها يا سيدي. ينتابني قلق من أننا نتعامل مع ضحيةٍ أخرى للقاتل نفسه.

- هذا ليس بالأمر الصعب لنتيقّن منه، غير أنني لا أقول لك هذا رسميًا، هل تفهمني؟

- تمامًا.

انتظر « جاكمان » مع «ماكس» بصبر في حين تحرّك الرجل بحرص خلف الصناديق البلاستيكية. سمعوا عدة همهماتٍ وكلماتٍ يتمتم بها وهو يعمل، ثم وقف بعد ما بدا وكأنه دهر ونظر إليهما متجهمًا:

- أولًا، لا شيء في هذه الجثة يساعد في التعرف على هويتها، ولا تأملان في مساعدةٍ من سجلات الأسنان أيضًا. فقد أهلك قاتلنا فكّها وأسنانها بالكامل. وإجابةً عن سؤالك الثاني، ففي الواقع لا يمكنني أن أؤكد لك، ولكن هناك عدة تشابهات مع جريمة القتل الأخرى، وأمورٌ أخرى كثيرة يمكن تجاهلها.

أخذ نفسًا طويلًا بدا وكأنه منيعًا ضد رائحة الموت الفظيعة المتعلّقة بكل ركنٍ في القبو:

- أشك أن استنتاجاتي ستظهر أن القاتل هو الشخص نفسه الذي قتل السيدة فليت.

قطب حاجبيه الكثّان وأضاف:

- ولكن قبل أن تستلم تقريري الأولي فلا تفترض شيئًا، هل هذا واضح؟

- تمامًا، أشكرك وأتطلع لقراءته.

ردّ « جاكمان » عليه ببرود والتفّ برأسه ناحية السلم:

- هيا يا «ماكس»، لدينا الكثير لنفعله.

شكر الرجل مجددًا وصعد السلم سريعًا متسائلًا ما إذا كان يهرب من مسرح الجريمة أم الأخصائي.

- أنت لا تحبه يا سيدي، أليس كذلك؟

نظر «ماكس» إليه بدهاء وهما يخرجان إلى الهواء المنعش العليل.

- إنه يتقن عمله، وهذا ما يهم.

استنشق «ماكس» وقال:

- حسنًا، ولكن إذا ثبت أن ما أشعر به غير صحيح أرسلني إلى حدود الريف. لا أحبذ فكرة أن أكون فوق طاولة تشريحه.

- أستمحيك عذرًا؟

- أوه، لا أعني أنه منحرف! ولكنه . .. إنه . ..

تخشّب وجه «ماكس» في محاولة من الأخير لإيجاد الكلمات الصحيحة:

- أدرك أنه يقوم بفحص الجثة بعد الوفاة بإتقانٍ وحرصٍ وكأنها سمكة مخليّة من الشوك. إنه

شخص بارد، هذا كل ما في الأمر.

- ثلجي.

اتفق معه « جاكمان » وأضاف:

- ولكن ربما هكذا يعمل. إنه أحد القلائل الذين نعمل معهم ولا أعرف عنهم شيئًا إطلاقًا.

- لا أحد يعرف، ولكن هذا ليس من قلة المحاولة، فقد فكّرت أنا و«تشارلي» في أن نجري تحرّيًا بسيطًا، ولكننا لم نعثر على شيءٍ إلا اسمه.

فكّر «جاكمان»: « الغريب في الأمر أن والدي لا يعرف عنه شيئًا أيضًا » .

وكان هذا غريبًا حقًا، فوالده لديه دليل عناوين للأصدقاء والأسرة والزملاء وشركاء العمل وشخصيات إضافية مختلفة، بالإضافة إلى ملف مليء بتفاصيل وكأنه موقع « يلو بيدجز » . كان «هوجو جاكمان » في زمانه أستاذًا في « تجميع » الناس لأنك لا تعرف من ستحتاج إلى مساعدته منهم.

قال «ماكس» فجأة:

- ما رأيك في تلك المرأة الغلبانة يا سيدي؟ بعيدًا عن كونها مقطّعة إربًا إربًا.

نفخ « جاكمان » خدّيه ونفخ:

- أوه، من الصعب أن تقول والجثة في مثل تلك

الحالة. من الصعب أن ترى ما وراء التفسّخ والجروح، ولكنني أقول إنها كانت في منتصف العشرينيات، بريطانية بنسبة كبيرة، وليست بفقيرة.

- اممم، أتفق معك، وخصوصًا في مسألة أنها غنيّة. إنها ترتدي قميصًا تحت بلوزتها، وأنا متأكد من أنها ماركة ما. أظن أنني لمحت شعارًا لماركة باهظة للغاية تحت الأوساخ الكثيرة.

ركل قطعة أسفلت مكسورة:

- هل لدينا سفّاح متسلسل هنا في سالترن يا سيدي؟

بلع « جاكمان » ريقه . .. لم يكن هذا أمرًا يريده أي شرطي في منطقته.

سيكون هناك قتلة دائمًا تمامًا مثلما سيكون هناك فنانون موهوبون وأطفال عبقريون وعازفو البيانو في الحفلات وعسراويون وأشخاص يمكنهم نطق عبارة « احكم بريطانيا! » عن طريق إطلاق الريح. إنها إحدى المواهب المتعددة التي طوّرتها البشرية. أحدهم لديه القدرة على الغطس من ارتفاع عشرة أمتار إلى المياه بدون أن يصدر خريرًا تقريبًا، وآخر قادر على إنهاء حياةٍ بأدنى مجهود. ولكن القاتل المتسلسل، ذلك الوحش الأكثر هيبة وشرًا، شيء آخر تمامًا.

- من المبكر جدًا أن نفكر على هذا النحو. كل ما

نعرفه أن القاتل ربما كان على عداءٍ شخصي قديم مع كلتا المرأتين. هناك سيناريوهات كثيرة يمكن أن نرسمها لما حدث يا «ماكس» ولا يتضمن أي منها قتلًا متسلسلًا.

حاول أن يبدو صارمًا، ولكن بداخله كان يتخيّل الشيء ذاته تمامًا.

بعد بضع كلماتٍ مع الضباط ذوي البزّات الرسمية عادا سريعًا إلى السيارة. كان المراقب يأمل في أن يحصل على أخبارٍ جديدة، بينما كانا بحاجةٍ للتعامل مع عملٍ هائل ألقاه عليهما ذلك الاكتشاف الجديد.

قاد «ماكس» السيارة، وبعد ميلٍ أو ما شابه أدرك « جاكمان » أن الحديث غير المتوقف الذي لطالما كان سمة رحلاتهما معًا غير مُتاح. لمح «ماكس» وفوجئ بدمعةٍ تنعصر من جانب عينه.

لمس ذراع «ماكس» وقال:

- أتريدني أن أقود؟

- أنا بخير يا سيدي.

فرك طرف كُم سترته في عينيه بقوة:

- ولكن من يمكنه أن يقوم بشيءٍ مثل هذا؟

بلع ريقه بصعوبة:

- أعني، الأمر غير إنساني! أن تأخذ شابةً جميلة،

فتاةً ما، كانت أكبر من كونها طفلة بشيء بسيط، وتفعل بها هذا.

هزّ رأسه وكأنه يريد أن يخلّص نفسه من شيءٍ علقه بها.

- إنه أمرٌ بشع! كيف يقدر شخص على شيءٍ كهذا؟ لماذا يفعلون هذا يا سيدي؟

- لو كنت أعرف السبب لأصبحت غنيًا.

زفر «جاكمان»:

- لا توجد إجابة مباشرة للأسف. بناءً على ما تخبرنا به ملفات قضيتنا يمكنني فقط أن أخمّن أن بعضهم يعيش في عالمٍ خيالي منفصل عن الواقع، حيث الجريمة العنيفة جزء من لعبةٍ جنسيةٍ مريضة بشعة يريدون أن يلعبوها. البعض يبدون وكأنهم يحبون إلحاق الأذى بالآخرين ببساطة. والآخرون يعتقدون أنهم مُبرّرٌ لهم القتل لأي سببٍ خلقته أدمغتهم المريضة.

تمتم «ماكس» موافقًا وعاد إلى التركيز في الطريق أمامه. وبعد وهلةٍ تنهّد:

- لا يسعني النظر إلى وجوههم!

تذكّر « جاكمان » المحقق الذي كان يحملق بتركيز في مذكرته مسجلًا تفاصيل ملابس السيدة:

- أفهم ذلك.

- هل هناك خطبٌ بي يا سيدي؟ الآخرون جميعًا يبدون معتادين على الأمر . .. حتى إن بعضهم لديه القدرة على السخرية حياله.

هزّ « جاكمان » رأسه:

- كما قلنا عن «جاكوبس» يا «ماكس». كل شخص يجد طريقة تأقلمه مع الظروف السيئة.
والسخرية المُرّة تحتل ترتيبًا متقدمًا في هذه القائمة. ولكن هناك آخرون يرون أن هذا أمرٌ غير إنساني . .. وعدواني حتى. الأمر يعتمد على شخصيتك.

- لن تخبر الآخرين يا سيدي؟ عن انتحابي؟

- هذا آخر شيء أفعله.

صدق «جاكمان»، رغم أنه يعرف أن لا أحد في فريقه قد يظن أن «ماكس» قد يزرف دمعةً من أجل فتاةٍ ميتة. في الواقع كان متأكدًا تمامًا من أن « ماري » ستجد الأمر محببًا.

- أوه، وهذه ليست علامة ضعف يا «ماكس» . .. إنه تعاطف مع الآخرين. بدون ذلك ستكون شرطيًا سيئًا.

*
* * *

تحدّث « جاكمان » إلى أخصائي الأمراض.

جلست « ماري » على طرف الطاولة المقابل لـ«دانيل كيندر» مع «تشارلي باتون».

كان «كيندر» هادئًا تمامًا، ربما زيادة عن اللزوم. تساءلت « ماري » ما إذا كان لا يزال يعاني من آثار المهدئ.

كما هو المعتاد في الحالات السابقة أوصت « ماري » بأن يلجأ لموكّل، ولكنه رفض مجددًا، فأكملت:

- لقد استلمنا نتائج البصمات التي حصلنا عليها من مسرح الجريمة التي اعترفت بارتكابها.

توقّفت « ماري » محدّقة في الوجه المتجمّد أمامها:

- لا شيء في التقرير يشير إلى وجودك في مسرح الجريمة يا «دانيل».

- كنت واضحًا معكم تمامًا.

صدر صوته بلا مشاعر.

فكّرت «ماري»: « أنت يا بني شخص مختلف تمامًا عن الذي قابلته هنا الليلة الماضية».

ضاقت عينا «ماري». كانا قد قرّرا ألا يذكرا لـ«دانيل» أنه تم العثور على امرأةٍ أخرى قبل أن يقيّم « جاكمان » الموقف في براكن هولم. كان « ماري » لا تزال متأكدة من أنه لم يقتل أحدًا وأن

خبر الجثة الأخرى سيفاجئه تمامًا. ولكن الآن ليس الوقت المناسب ليعرف تلك المعلومة بالذات. حتى الآن لا تزال « ماري » تسمع تحذير « جاكمان » بأن تكون حريصة، فربما كان «كيندر» يلعب لعبةً خطيرة.

- ماذا تقصد من كل هذا يا «كيندر»؟

بدت عيناه المحدقتان تائهتين، ثم سأل:

- ماذا تعنين؟

- حسنًا، لقد جئت إلينا ولعبت لعبتك . .. لا بد أن هناك خاتمة في عقلك.

- ليست لعبة!

- أليست كذلك؟

حدّقت «ماري»:

- غير مقتنعة.

لم يجب «دانيل». أخذ نفسًا عميقًا وحدّق في سطح الطاولة المُقشّر أمامه.

- أنت لم تقتل «أليسون فليت» يا «دانيل». ولكن لسببٍ ما أنت حريص تمامًا تمامًا على أن تجعلنا نصدِّق أنك فعلتها. لو لم تكن هذه لعبة فلا أعرف ما هي.

- قتلتها.

- وتتذكّر كل التفاصيل بحذافيرها، أليس كذلك؟ أين كانت؟ ماذا قالت لك عندما رأت السكين؟ بمَ شعرت والسكين يشقّ لحمها الطري؟

ارتفع صوتها مع كل جملة حتى سُمع صدى صوتها في أركان الغرفة الصغيرة.

- تتذكّر ماذا فعلت بذلك السكين، أليس كذلك؟ أين السكين يا «دانيل»؟ أين هو؟

- لا أعرف! لا أعرف!

ارتفع صوته . .. ثم سكت. وبعد وهلةٍ نظر إليها وقال:

- أعرف فقط أنني قتلتها. لا أتذكر شيئًا الآن. الأمر يحدث، وأنا أنسى أشياءً.

- مثل قتل أحدهم؟

بدا عليها الشك.

- مثل أي شيء! لديّ فجوات. أحيانًا لا أعرف أين كنت أو ماذا فعلت. عادةً ما يستغرق الأمر ثواني أو دقائق، ولكنه ازداد سوءًا مؤخرًا.

- وهل انتابتك واحدة من تلك « الفجوات » في الليلة التي ماتت «أليسون فليت» فيها؟

أومأ « دانيل كيندر » بائسًا.

قطبت « ماري » حاجبيها:

- حسنًا، وعندما عدت إلى « رشدك » مرة أخرى، هل كان هناك دمٌ على يديك؟

- لا، ولكنـي أعتقـد أننـي كنـت أرتدي ملابـس مختلفة عن التي كنت أرتديها ذلك الصباح.

قطبت « ماري » حاجبيها أكثر:

- وأين هي الآن؟

اهتز «كيندر» غير آملٍ:

- لا يمكنني العثور عليها.

فكّرت «ماري»: « كيف بحق الجحيم فوّت قسم الأمراض النفسية هذا؟ إن لم تكن نوبات فقدان الذاكرة الخطيرة مرتبطة بالخرف فهي عمومًا تكون نتيجة صدمة أو بسبب مرضٍ متوطّن كورمٍ ما، أو الضغط، بالطبع، فقد رأت أن « دانيل كيندر » بالإمكان أن يصل به الضغط إلى مرحلة اللاعودة في غمضة عين.

لسببٍ ما لم تفكّر في أنه ربما يزيّف الأمر. فقد سمعت وقرأت عنه كثيرًا سابقًا. عبارة « لا أتذكر » عفا عليها الزمن ولطالما رأت من خلالها الحقيقة، ولكن «كيندر» كان مختلفًا بعض الشيء.

أسندت ظهرها في مقعدها ونظرت إليه بتمعّن:

- أتعرف فيمَ أفكر؟

لم تغب عينا «كيندر» عن عينيها .. ولم ينطق

ببنت شفة.

- أعتقد أنك خائف من فقدانك للذاكرة. لقد أقنعت نفسك بأنك ابن قاتلة، وتحاول أن تحمي « سكاي وينيارد».

حدّقت أكثر:

- أنت تحميها مما تعتقد أنك قادر على إلحاقه بها.

تجمّد وجه «دانيل» كقناعٍ مجردٍ من المشاعر. بدا ميتًا تمامًا. استقام ظهره وبنبرةٍ باردة قادرة على تجميد حممٍ بركانية قال:

- لا تعليق.

* * *

انهارت « سكاي وينيارد» على أريكتها وتنهّدت لراحتها. غادر آخر ضباط الشرطة وأصبحت وحدها أخيراً. سيأخذ ترتيب الأشياء مجددًا ليلةً بأكملها، ولكن توجّب عليها أن تعترف بأن فريق البحث فعل ما بوسعه لكي لا يتسبب في فوضى كبيرة. كانوا يركزون في الأساس على الغرفة العليّة، وبصراحة كانت سعيدة أنهم أفرغوها. لم ترد الصعود إليها مجددًا. كان مجرد رؤية الباب المغلق أعلى السلم يسبب لها قشعريرة.

اتصلت بها الرقيب « ماري إيفانز» بعد وهلةٍ لتخبرها بأن السفارة التايلندية أكّدت أن السيدة

«روبي كيندر» أخذت طائرة إلى ولاية لوي في الشمال الشرقي بهدف الانضمام إلى مجموعة تأمل في جبال فو رويا. من الواضح أنها ذهبت إلى الغابة كملاذٍ هادئ في موقعٍ غير معروف. لم تكن هناك وسيلة للتواصل معها، ولكن الشرطة المحلّية علمت بالأمر وستبذل قصارى جهدها للوصول إليها.

كانت « سكاي » و«روبي» على علاقةٍ جيدة ببعضهما. فـ«روبي» كانت أشبه بصديقة من كونها والدة رفيقها. كما أن جزءًا من « سكاي » كان مرتاحًا من أن «روبي» لم تكن بالجوار لترى الفوضى التي سبّبها ابنها، ومن الجيد أنها لم تكن بالجوار لتشعر بحسرة القلب التي سبّبها لمن أحبّوه. قالت الرقيب «إيفانز» إن «دانيل» عاد إلى الاحتجاز وسترى بعد التحقيق معه ما إذا أمكن الترتيب لزيارة. لم تعد بشيء، ولكن « سكاي » أحسّت من كلماتها أن «دانيل» في موقفٍ سيئ للغاية.

استلقت على الأريكة وحاولت أن تسترخي. كانت مجهدة أيُّما إجهاد، ذهنيًا وبدنيًا، ولكن ما زال وراءها البيت لترتّبه. علمت أن «روبي» لن تلومها على الإطلاق، ولكنها ما زالت تشعر بمسؤولية، وتمنّت لو لم تلزم نفسها بمساعدة «دانيل» على تغذية اضطرابه العصبي.

وقفت « سكاي » وذهبت إلى المطبخ، حيث

وجدت المكنسة الكهربائية وخُرَق تنظيف الغبار والبرنيق وأدوات التنظيف المختلفة الأخرى. أخذت نفسًا عميقًا وقرّرت أن تعيد نظام البيت بعض الشيء.

وفي حين كانت توصّل المكنسة الكهربائية سمعت هاتفها يرن.

- «سكاي»؟ عذرًا على إزعاجك؟ ولكن، هل أنتِ بخير؟ أحد البوابين هنا قال إن هناك سيارات شرطة خارج البيت حيث تسكنين.

كان صوت رئيس قسمها القلق آخر ما توقعت سماعه.

- نعم، «ليزا». أنا بخير، إنه مجرد سوء تفاهم سخيف.

أرادت أن تحكي الأمر برمته، ولكنها تمكّنت من منع نفسها.

- هل هي تلك المشكلة الشخصية التي جعلتكِ تغادرين سريعًا؟

كان صوت «ليزا هيرلي» مليئًا بالقلق:

- ليس من عادتك أن تطلبي إجازة، قلقت كثيرًا عليكِ منذ ذلك الحين. إذا كان هناك شيءٌ يمكنني القيام به، أو إذا كنتِ تريدين الفضفضة، فأنا مستمعةٌ من الدرجة الأولى.

ابتسمت « سكاي » لأول مرةٍ منذ أيام.

- كم ستبقين مُتاحة؟

- طوال الليل لو تطلّب الأمر.

- حسنًا، الآن لديّ بيتٌ كبيرٌ جدًا لأنظفه. كان هناك اثنا عشر حذاء شرطة كبير يمرّغون المكان كله. ولكن ربما غدًا؟

هل سيضر حقًا إذا تحدثت إلى أحدهم؟ لم تظن ذلك. إذا كان هناك من يمكنه مساعدتها فلِمَ ترفض؟

- عندي فكرة أفضل. قولي لي أين أنتِ وسآتي إليكِ مع زجاجة فيتو ووجبة من ماركس آند سبنسر مطهوّة بالميكرويف وزجاجة بليدج وعبوة كبيرة من المناديل. ما رأيك؟

- كغريقٍ في البحر أُلقي إليه طوق نجاة.

- ممتاز! أعطيني عنوانك وسأكون عندكِ في خلال ساعة. بالمناسبة، هل علمت الصحافة؟ هل يطاردك المراسلون والكاميرات؟

- ليس بعد، ولكنني متأكدة من أنه سيحدث لا محالة . .. أراكِ لاحقًا.

أغلقت « سكاي » هاتفها وأطلقت زفرة. لم تكن بحاجة إلى أن تخبر «ليزا» بكل شيء، رغم كل شيء، والآن ستعرف رأيها. كان تخصص «ليزا»

التعامل مع الموظفين والمرضى المضغوطين نفسيًا، لذا قد تكون مفيدة لتتحدث إليها.

شعرت « سكاي » وكأن حملًا ثقيلًا زيح من فوق كاهلها. لم تكن ليزا «هيرلي ذكية» فحسب، بل عملية أيضًا، ومرحة في هذا الشأن. من بين كل الناس الذين تعرفهم لو كان بإمكان « سكاي » أن تختار أحدهم لتزيح الهموم من عليها سيقع اختيارها على ليزا، رغم أنها رئيستها فعليًا.

أمسكت « سكاي » بالمكنسة الكهربائية وشغّلتها. لم تعد تشعر بالوحدة.

* * *

الفصل الثامن

كان المساء قد حلّ عندما التقى « جاكمان » «ماري». أخبره وجهها المضطرب بأن التحقيق مع «كيندر» لم يكن مطمئنًا على الإطلاق.

جلسا في مكتبه وأخبرها عن المرأة المتوفاة.

- المراقب يحافظ على الأمر سرًا حتى نحصل على تقرير أخصائي الأمراض. حينها سنفهم ما الذي نتعامل معه.

- وكيف تقوم بذلك؟

بدت « ماري » مُتعبة وقلقة.

- لحسن الحظ كان هناك تمشيطٌ يقوم به العمّال الميدانيون في براكن هولم اليوم. حصل أحد الفرق الأخرى على إخبارية سرية مفادها أن زعيم عصابة ينتظر الحصول على دفعةٍ جديدةٍ من مهاجرين غير شرعيين. تستخدم هذا كتغطيةٍ لتواجد الشرطة هناك. يبدو أن الأمر يسير على ما يُرام حتى اللحظة، ولكن لا يمكنها الاستمرار في التغطية إلى الأبد.

مال « جاكمان » إلى الخلف في مقعده ورفع ذراعيه فوق رأسه ليريح كتفيه المتوجعتين.

- لأن المكان بعيدٌ جدًا والجثّة في القبو بالأسفل، لا توجد خيمة ولا سقيفة، ولذا يساعد هذا في أن يبقى الأمر سرًا.

- تعارض واضح للتعليمات الأخيرة بشأن الشفافية. والآن صارت الدبلوماسية هي الحل. هل تظن أن جريمة القتل الثانية قام بها القاتل نفسه؟

أومأ «جاكمان»:

- «جاكوبس» قال كذلك، سرًا. ورغم ذلك . ..

توقف صوته.

- أوه لا، أشعر بأن شيئًا كبيرًا على وشك أن ينهال علينا.

ابتسم لها منهكًا:

- لا، الأمر ليس كذلك. أنا متأكدٌ من أنه القاتل نفسه، ولكني لا أشعر بالمثل بما أن الجثّة لم تكن « مُنظّمة » بحرص كما رأينا في مسرح جريمة «أليسون فليت». ففتاة اليوم أُلقيت فحسب . .. وهذا كل ما في الأمر.

- لذا ألا تعتقد أنها قُتلت في نفس المكان؟

- أشك كذلك في ذلك. لا توجد علامة تدلّ على شجار، ولا بقع دماء. أقول إنها قُتلت في مكانٍ آخر ثم أُخذت إلى دروفرز آرمز لأن القاتل علم أن المكان مهجور.

- وقد وقع هذا على بعد أميالٍ من هنا.

- تمامًا. في اللحظة التي نحصل فيها على بعض المعلومات من «جاكوبس» سنتوجه إلى هناك ونبدأ في السؤال. ولا نريد أن ننشر الذعر. ففي اللحظة التي يقول فيها أحدهم « قاتل متسلسل » سنجد أنفسنا في وسط غضبٍ عارم. كما أن هناك احتمالية بعيدة بأن يكون القاتل لدينا بالفعل يقيم براحته في قسم الاحتجاز.

- هذا مستحيل!

- حسنًا، حسنًا. أعلم أنك تعتقدين أنه مجرد مهووس، ولكنني سمعت عمّتي العجوز تقول مرارًا: « إذا آمنت بأنك قادرٌ على فعل شيء، فأنت كذلك » .

- مع كامل احترامي لكلامها يا سيدي، ولكنني ما زلت أعتقد أنه منقادٌ وراء وهمه السخيف بأنه نسل فرانسواز تاييه الشيطاني وأنه إذا تُرك وحيدًا مع « سكاي وينيارد» فإنه سيذبحها ويقطعها.

تثاءبت « ماري » وأردفت:

- هل قالت المراقب أنه يمكننا الحصول على خبير؟

- بعيدًا عن أسلوبها الفظ، أعتقد أنها في صفنا في هذا الأمر. ولكن ميزانيتها تتطلّب منها أن تقوم ببعض التخفيضات في مكانٍ آخر لتغطية التكلفة.

ردّت « ماري » بكآبة:

- لست متأكدة ما إذا تبقى شيئًا ليتم تخفيضه. فنحن نخضع لخطة تقشّفٍ بالفعل. مستويات التوظيف لدينا متدنّية للغاية ومركباتنا تبدو وكأنها جاءت مباشرة من فناءٍ للمركبات الخردة. حتى إدارة الكلاب البوليسية العظيمة لدينا أصبحت مقتصرة على الشرطي «نوبي كلارك» وراعٍ ألماني شبه ضرير اسمه « إتشي » .

- ولكنه جيد رغم ذلك!

- عن أيهما تتحدث؟

- لا تكوني سخيفة.

ألقى « جاكمان » عليها نظرةً ذابلة:

- «نوبي كلارك» بالطبع.

ابتسمت « ماري » ثم نظرت إليه بقلق:

- هل أنت بخير يا سيدي؟ ليس من المفرح أبدًا أن تشاهد تلك الفتاة الميتة.

- أبدًا؟ ولكن لا، أنا بخير. لن تعتادي على هذا أبدًا، ولكنكِ تجدين طريقةً للتعامل، أليس كذلك؟

أومأت « ماري » حسب دورها:

- بالفعل، ولكن ربما حان وقت أن تذهب إلى البيت وتأخذ حمامًا طويلًا ساخنًا وتشرب زجاجة ويسكي ضخمة . .. بأي ترتيبٍ تراه مناسبًا.

- قريبًا، أعتقد أنني وضعت الأمور حيث يجب أن تكون قدر الإمكان. هناك من يبحث ضمن الأشخاص المفقودين عن أي أنثى أُبلغ عن اختفائها قبل أسبوعين أو ثلاثة. كما أن فريق الطب الشرعي وعد بأن يرسل إلينا تقارير فور الانتهاء منها، ولم يبق إلا القليل لأقوم به هذه الليلة.

فرك رأسه وأردف:

- باستثناء ربما كلمةً أخرى مع « دانيل كيندر».

- حسنًا، حظًا سعيدًا يا سيدي. لقد صمت تمامًا عندما أخبرته عن اعتقادي حيال سبب تواجده هنا.

وقفت وأكملت:

- إلا أن الأمر يستحق المحاولة مرة أخرى. سأنضم إليك إذا أحببت. لقد حصل على راحةٍ طويلة وقهوة قوية، لذا لا بد أنه مستعدٌ لجولةٍ جديدة.

* * *

غير أن « دانيل » لم يكن مستعدًا على الإطلاق.

راقبت « ماري » لغة جسده بينما حقّق « جاكمان » معه، ولكنه لم يكن سعيدًا قط.

- زميلتي هنا ربما أثارت توتّرتك سابقًا. هل تراها محقة بشأن مخاوفك حيال سلامة « سكاي وينيارد»؟

كان فك « دانيل » ممتدًا إلى الأمام وبقي صامتًا برهة، ثم قال:

- لا، الرقيب ليست محقة. بل تسخيفها من اعتقادي أن فرانسواز ثاييه أمي بالولادة هو ما يضايقني. لا أفهم ببساطة سبب عدم تقديركم للحقيقة.

ضاقت عيناه وأكمل:

- أقترح أن تلقيا نظرةً على قضية مقتل هاينز ومحاكمة فرانسواز ثابيه لأن هنا تشابهات قوية مع مقتل «أليسون فليت». وبما أنني أعلم هذا، فلا بد أنني كنت هناك، أليس كذلك؟

كان « جاكمان » صامتًا، ولكن عادت « ماري » مرة أخرى:

- ظننت أنك غير قادرٍ على تذكّر ما حدث . .. فقدانك للذاكرة.

- افحصا القضية القديم فحسب، وهذا كل ما سأقوله الليلة.

شبك «كيندر» يديه في حِجره وأنزل رأسه وحدّق بشدة في أصابعه الطويلة الشاحبة.

نظر « جاكمان » إلى الساعة ووقف فجأة:

- انتهى التحقيق في الثامنة والربع.

وفي الخارج تذمّر بشدة:

- أعرف كيف ننتهي من هذا الحقير تمامًا. بالغد نتصل بمرفق مخزن الأدلة ونحصل على كل شيءٍ له علاقة بفرانسواز ثابيه. ندخل إلى قاعدة البيانات ونقارن بين بصمتها الجينية ببصمة «كيندر» بحثًا عن أي توافق أمومي. ربما لا يكون قادرًا على إيجاد الأجوبة اللازمة ليحلّ عقدة رأسه . .. ولكنني متأكدٌ تمامًا أننا نقدر.

* * *

كان الشرطي «كيفن ستونر» في اليوم الثالث من إجازته المرضية ولم يغادر البيت حتى الآن. كان العمل مع «زين برويت» يدفعه إلى حدٍ شديد الوطأة حتى أصبح لا يعرف كيف يتصرف. لم يكن طلب الحصول على إجازةٍ مرضية الحل الأنسب، ولكن لم يكن هناك بدٌّ أمامه قبل أن يستعيد صوابه من جديد.

حتى لو لم يكن دوره قد جاء ليلتقط ابنة أخيه ذات التسعة أعوام من تمرين التايكوندو لكان عليه أن يخرج. ولقد تنامى بداخله خلال السنين القليلة الماضية نفورٌ شديدٌ تجاه الشخص الذي أصبح عليه. شهران من العمل مع برويت كانا كفيلين بأن يتحوّل من شرطي ماهر إلى فاشل ذي رتبة.

سار نحو ممر المشاة المؤدي إلى المجمع الرياضي وتساءل كيف يفكّر زملاؤه حياله. ربما يعدّونه ضعيفًا، ليس وكأن أحدًا يحب «برويت»، ولا حتى كبار الضباط. كان المحقق « جاكمان » قد أخذه على جنب قبل أسبوعٍ أو أكثر وحذره من العمل مع «زين برويت». دفع «كيفن» يديه بعمق أكثر في جيبيه وتنهّد. لا شيء في هذه الحياة سيجعله سعيدًا أكثر من الخروج من مقلب النفايات هذا . .. ولكن الأمر لم يكن بتلك السهولة.

عرف كيفن أمورًا عن «برويت» . .. أمورًا سيئة.

ولكن «برويت» جعل همّه أن يجد أمورًا عنه أيضًا، وهناك تكمن المشكلة. فمنذ يومه الأول كمتمرّن اعتنى «كيفن» كثيرًا بألا يتحدث عن حياته الشخصية، وخصوصًا عن مهنة والده. ولحسن حظه لم يسأله أحدهم ما إذا كان قريب نيافة الأنبا مايكل ستونر، أسقف أبرشية البلدة. ولكن الأمر لم يكن مفاجئًا حينها، فنصف زملائه لم يكونوا متدينين، والنصف الآخر دخل الكنيسة لحضور زفاف أو جنازة فقط.

مع اقتراب المبنى الإسمنتي القبيح قرّر «كيفن» أن يتحدث مع أخيه بعد أن يوصّل «صوفي» إلى البيت بأمان. لم يعد قادرًا على كبح هذا الأمر إلى الأبد، وإلا سينتهي به الأمر في غرفةٍ صغيرةٍ مقفولة يبول على نفسه ويغنّي لنفسه أيضًا. كان «رالف» على وشك أن يتم الثلاثين من عمره، وهو شخصٌ ذكي، ولذا فإن ما سيبوح به قد لا يفاجئ شقيقه الأكبر.

امتد ممر المشاة في طريقٍ طويل عابرًا صفًا من أسوار الحدائق الخلفية قبًل أن ينفتح على منطقة ميدان اللعب. كانت الصالة الرياضية والنادي الرياضي في الجانب البعيد من ملعب كرة القدم. وصل مبكرًا . .. مبكرًا كعادته. هناك مشربٌ ومقهى بداخل المجمع يصنع إسبريسو دوبل شهي، كما أن «صوفي» تعرف أن تجده.

- أهلًا يا «كيفن».

لم يكن متأكدًا ما الذي جاء أولًا . .. الكلمات أم اليد المسطّحة التي ضربت قفصه الصدري.

انحنى قابضًا على صدره مع تأوهٍ ونفسٍ منبعث.

- كلمة يا صديقي.

جُذب «كيفن»، الذي بالكاد كان يدري بما يحدث، ودُفع بقوة عبر بوابةٍ مفتوحة وصولًا إلى حديقةٍ معشوشبة.

- ماذا بحق الـ...

لهث ولكن قبضة من حديد ثبّتت نفسها حول معصميه، وفي حين سمع البوابة تُغلق وجد نفسه يُدفع إلى الأسفل نحو العشب والطين. عرفت ركبةٌ طريقها بدقّة فيما بين ألواح كتفه، وتركته ضربةٌ بكوعٍ يتلوّى من الصدمة والألم.

- والآن، بقدر ما أستمتع بقدرٍ من المتعة الخشنة، يجب أن نتحدث.

خفّ الضغط، ولكن «كيفن» وجد نفسه يختنق من الطين الرطب والأعشاب التي اقتحمت فمه وهو يرتطم بالأرض.

انتزعه المعتدي فجًا ليجلسه مع زفرة إجهاد ووضع إصبعًا في فمه ليزيل قاذورات الحديقة

التي استقرت هناك.

كحّ «كيفن» وبصق الطين.

- هنا . .. هذا المكان ظل شاغرًا لشهور . .. ولكن السقيفة ستكفي لحديثنا الصريح.

لم تكن سقيفة بمعنى الكلمة، بل منزل صيفي متعفّن مهلهل، ولكن به بعض مقاعد الحديقة البلاستيكية النافعة رغم ذلك. دُفع كيفن ناحية واحدٍ من تلك المقاعد.

- اجلس وابق هنا . .. أريدك أن تسمع.

وقف «زين برويت» فوقه بعينين باردتين قاسيتين.

- كنت أظن أن بيننا اتفاق يا كيف يا بني . .. اتفاق ودّي!

لم يكن «كيفن» يقدر على الحديث بعد، فقد غطّت التربة الرملية لسانه.

- انظر، أنت تسبب لي إحراجًا، والكل يعلم ما تفعل . .. وقريبًا جدًا ستجد بعض المتطفلين يوجّهون الأسئلة، فهمت؟

أومأ «كيفن» بدقّةٍ إلى حد بعيد.

- أريدك أن ترجع، أريد أن يبدو كل شيء على ما يُرام . .. وأريد أن أراك مبتسمًا.

جعلت ابتسامته «كيفن» يشعر بقرفٍ في معدته.

- أنا أعرف ما وصلت إليه مع زميلي الصغير، ولا أحب العمل مع الأفراد الذين يرسلوهم إليّ. إنهم يعطلونني . .. هل تفهم؟

فكّر «كيفن»:

- أوه، نعم. أعرف تمامًا ما تقصده. ربما اكتشف أحدهم إحدى صفقاته القذرة الضئيلة، تلك التي غضضت البصر عنها.

سحب «زين» مقعدًا آخر وثبّته أمامه، جلس عليه واقترب كثيرًا من «كيفن».

- من الواضح أنني يجب أن أفسّر الأمر أكثر لك . .. لا مشكلة، فنحن أمامنا . ..

نظر إلى ساعته الضخمة التي جعلت معصمه يبدو صغيرًا:

- أوه، خمس عشرة دقيقة أخرى قبل أن تلتقط صوفي الصغيرة الجميلة.

شعر «كيفن» بغضبٍ شديد يغلي بداخله، ولكنه يعرف أنه لا حول له ولا قوة أمام حجم زين وطريقة قتاله القذرة. جزّ أسنانه ولم يقل شيئًا.

- حسنًا، أرى أننا نفهم بعضنا، وكم أكره أن يحدث مكروه لتلك الطفلة الجميلة! لذا سنوقف هذا الجزء من حوارنا عند هذا الحد، أليس كذلك؟

أسند «زين» ظهره وحدّق:

- ولكن البقية قائمة يا صغيري «كيفن». فأنت ستظل الزميل المخلص، ورفيقي الدائم، وصاحبي الموثوق، كما أن والدك – فليبارك الرب روحه الطاهرة – لن يعرف من تضاجع، اتفقنا؟

كم تمنى كيفن الموت حينها! لم تكن أمنيته مجرد تمثيلٍ مسرحي، بل فكرة جيدة تمامًا.

- وفي حال ما إذا كان كل ذلك غير كاف . ..

وضع «زين» يده في جيبه وأخرج مظروفًا:

- لن أتعجب أبدًا مما قد يفعله الناس من أجل المال. وبعضهم سيفعلها حتى بدون مقابل إذا دخلت إليهم من المدخل الصحيح، كمساعدة ضابط شرطة مستقيم مثلي في أداء مهامه، وتخليص الشارع من الشرطيين القذرين . ..

ضحك «زين»:

- أوه، ستـرتفع الـروح المعنويـة العامـة وسيساعدون بكل سعادة.

أخرج رزمة من الصور المطبوعة عبر الحاسوب من المظروف الثخين وعرض الصورة الأولى على «كيفن».

إذا كان «كيفن» يتمنى اليوم من قبل، فإن ما شعر به حينها كان لا يُوصف.

شابان يتبادلان قبلة ساخنة. أحدهما يتكئ على جدارٍ داكن والآخر يتحسس بنطاله الجينز الضيق بشهوة.

أغلق «كيفن» عينيه، ثم انطلقت منه ثورة عارمة:

- يا ابن الحرام! أعطني هذه . ..

اندفع نحو الأمام ولكن «زين» كان واقفًا على قدميه.

- أوه، لا تقلق يا عزيزي . .. كل تلك الصور لك.

رمى الصور في الهواء فتساقطت على أرض المنزل الصيفي القذرة.

- الصور الأصلية في أمان تمامًا، أما النسخ فمعبئة بالفعل لتُرسل إلى نيافة الأنبا إذا . .. وسأعديها عليك . .. إذا لم تعد إلى عملك غدًا جاهزًا ومرحًا ومُعافى تمامًا.

ضاقت عيناه:

- هل فهمت؟ والآن خذ صور شذوذك واجمع شتاتك.

سار «زين» ناحية الباب، بينما ألقى «كيفن» نفسه على الأرض ليجمع الصور.

- لن يحدث شيء، حسنًا؟ لا لابنة أخيك الجميلة ولا لضغط دم أبيك المُبارك . .. هذا ما دمت تطيع رغباتي . .. أعني ليس حرفيًا بالطبع، فأنا

لست كذلك.

نظر إلى الأسفل ناحية الصور ورفع حاجبه ساخرًا:

- سنكون كجوادٍ فائز، أليس كذلك؟

انحنى عند إطار الباب الخشبي وابتسم ابتسامةً عريضة وألقى قبلة على «كيفن».

* * *

كانت الساعة تقارب العاشرة حينما نظرت «ليزا هيرلي» أخيرًا إلى ساعتها وزفرت:

- يا الله! يجب أن أذهب. لدي موعدٌ باكرٌ غدًا للحصول على دورةٍ تعريفية.

عرفت « سكاي » كم كان الوقت متأخرًا، ولكنها اختارت أن تتجاهل الحقيقة. كان من الرائع أن تحصل على صحبةٍ في البيت الكبير. اختلقت صدمةً من مرور الوقت سريعًا وذهبت متباطئة لتجلب معطف «ليزا».

- لا أستطيع شكركِ بما فيه الكفاية.

قالتها بصدق وأضافت:

- فمنذ اللحظة التي سمعت فيها الطرق على الباب ورأيت الشرطة هناك . ..

هزّت رأسها:

- كان أمرًا فظيعًا، ولكن الحديث معكِ ساعدني لأعود إلى حالتي الطبيعية. أعتقد بجد أنني أستطيع فهم الأمور مع « دانيل » الآن.

أخذت «ليزا» معطفها وتحسست ذراع « سكاي » برفق:

- أنا متأكدة من ذلك، وكم شعرت بأنك تثقين فيّ بخصوص حكايتك! أعلم كم كان الأمر صعبًا عليكِ.

ابتسمت بدفء:

- سأظل بالجوار إن احتجتِ إليّ يا «سكاي».

سارت نحو الباب:

- كما سأغطي على غيابك من القسم لأطول وقت ممكن.

فتحت الباب ففاجأهما ضوءٌ جعلهما يقفزان.

- اللعنة!

خطت «ليزا» إلى الخلف بالداخل وأغلقت الباب.

- أعتقد أن هذه أولى الكاميرات الكثيرة التي ستطارد وجهكِ خلال الأيام القليلة القادمة. عذرًا يا «سكاي»، ولكن السيرك الإعلامي قد بدأ للتو.

سحبت «ليزا» نفسًا طويلًا:

- أوه، حسنًا . .. ها نحن ذا. أغلقي الباب ولا

تجيبي على الجرس وضعي جرس إنذار بعد خروجي مباشرة.

توقفت برهة ثم أردفت:

- هل ستكونين بخير؟

- توقعت ذلك، سأكون بخير. وغدًا سأخرج من هذا القبر الكبير وأعود إلى شقتي.

- فتاة ذكية . .. اعتني بنفسك.

خرجت «ليزا» إلى هواء الليل الرطب. شاهدتها « سكاي » تسرع عبرهم مطأطئة الرأس. أغلقت الباب خلفها.

أغلقت « سكاي » جرس الباب الكهربائي، وتأكدت من أن كل النوافذ مغلقة، وفعّلت نظام الإنذار. لم تكن بحاجة لأن تخبرها «ليزا» بذلك. كانت قد قالت إنها بخير، ولكنها كانت العكس. كان عقلها أصفى وشعرت بتحسنٍ كبير بشأن « دانيل » ومغامرته المضلّلة، ولكنها ما زالت تكره البقاء وحدها في المنزل.

ذهبت « سكاي » إلى غرفتها وجلست على طرف الفراش. لم ترد خلع ملابسها حتى. كانت «ليزا» قد تحدثت إليها بسهولة وهما ينظفان المنزل، فوجدت « سكاي » نفسها تكشف المزيد والمزيد حتى عرفت «ليزا» كل شيءٍ تقريبًا.

ساعدها هذا بالفعل، فلم تسخّف «ليزا» منها ولو

مرة ولم تقلّل من جوانب « مغامرة » « دانيل » الغريبة، كما أنها أعطت « سكاي » بعض الأفكار الجادة بالنظر إلى الموقف من ناحيةٍ نفسية.
كانت «ليزا» قد قدّمت دورة تدريبية في التأثيرات الوراثية مع تركيزٍ خاص على دراسات التبني التي تتضمن بيئات مختلفة أبوية طبيعية وأخرى خاصة بالتبني. غطّت الدورة أيضًا الذكاء وكيف يتفاعل بعض الناس على نحوٍ مختلف مع معرفتهم بأنهم مُتبنون. فهمت « سكاي » جيدًا، غير أنها لم تعبّر عن ذلك. كانت قد تُبنيت أيضًا، ولكنها رأت الموضوع من منظورٍ مختلفٍ تمامًا عن «دانيل». كان مهووسًا بمعرفةً أبويه بالولادة، في حين لم تكترث هي. وبقدر ما كان مهتمًا، كانت هي أسعد فتاة حظًا. تمتّعت بأسرةٍ مُحبّة رائعة، ولم يكن سبب رفض أمها الطبيعية لها مرتبطًا بها. وأيًا كان السبب لكان يتضمن شيئًا ما مؤلمًا أو بائسًا. اللعنة على هذا!

تثاءبت « سكاي » وخلعت حذاءها، ولكنها ظلّت مرتدية ملابسها. لفّت اللحاف حولها وأغلقت عينيها وحاولت أن تغلق أذنيها عن الطرق المستمر على الباب. لم تقوَ على التحرك لإطفاء مصباحها على جانب السرير.

* * *

جلست «ليزا هيرلي» في سيارتها على الجانب المقابل من الشارع الذي يقوم فيه منزل كيندر.

هناك رجلان أو ثلاثة يطوفون حول الباب يحتشدون معًا ويتكلّمون بفظاظة. كل حينٍ وآخر يطرق أحدهم على الباب بعض الشيء حتى يستسلم ويدع أحدًا آخر يحاول.

أسندت «ليزا» ظهرها على المقعد وراقبتهم باهتمام. كانت متيقّنة من أنه بحلول الصباح الباكر سيعج المدخل المفروش بالحصى بعناية بالمراسلين وسيارات الإعلام.

ثم تحوّل تركيزها إلى غرف البيت العلوية. اتّبعت النمط الذي ترسمه أضواء البيت، حيث تحرّكت « سكاي » من غرفةٍ لأخرى تفحص النوافذ وتغلق الستائر وتطفئ المصابيح. والآن لم يتبق إلا مصدر ضوءٍ واحد في الواجهة المظلمة للبيت الباهظ.

راقبته «ليزا» لوقتٍ طويل قبل أن تشغّل سيارتها وترحل ببطء.

* * *

حلم « دانيل » بوالدته . .. لم يكن حلمًا جميلًا.

كان يسير بجانب أحد الممرات المائية الطويلة المستقيمة القريبة من البيت. كان يمسك بيد «سكاي»، يسيران نحو عرض دائري للأحصنة لامع مزيّن مثل تلك التي ما زالت في أنحاء باريس. يمكنه سماع صوت الماكينة القوي، بينما سألت ما إذا يمكنهما امتطاء الأحصنة الملونة.

وبينما قطرت « سكاي » يده وسحبته إلى العرض الدائري شعر بممانعةٍ فظيعة ورفضت قدماه التحرك إلى الأمام.

سمع من مكانٍ ما في الخلف أحدًا ينادي باسمه، ولكنه كان خائفًا جدًا ليلتفت. تحوّلت الموسيقى إلى صوت عويل رياح، وأيًا ما كان خلفه كان يجذبه إلى الخلف بقوةٍ كبيرة. صرخ في « سكاي » لتهرب، غير أن يديها كانتا قد أفلتتا من يديه وشاهدها وهي ترتفع أعلاه تمسك بمؤخرة الحصان الخشبي المُذهب ذي العينين اللامعتين الحمراوين.

ثم بدأت الأحصنة تتسابق، تعدو بألوانٍ ضبابية وتأخذ « سكاي » معها.

وبينما بدأ العرض الدائري يسير أسرع صار يرتفع ويبتعد عنه. صرخ مناديًا على « سكاي » ولكنها كانت مجرد شكل ضئيل على دمية حصان يختفي وسط السحب البيضاء الكثيفة التي هاجت وذهبت خلف الممر المائي.

- ولدي!

تسلّلت الكلمات عبر عويل الرياح فتحوّل قلب « دانيل » إلى ثلج. حاول الهرب، ولكنه سرعان ما ثُبّت ورُبط بذلك الجسم المرعب الذي كان يقف وراءه. أدرك أنك مُثبّت بحبلٍ سميك. تشجّع على الالتفاف ليرى ما إذا كان بالإمكان أن يحرّر

نفسه، ولكنه رأى أنه لم يكن حبلًا أبدًا، بل حبلٌ سرّي لزج نابض أزرقٌ يميل إلى اللون القرمزي.

- لا! سكاي!

- عليها أن تذهب.

- لا!

صرخ مجددًا، ولكنه سُحب ببطءٍ إلى الخلف.

دندنت:

- أوه يا ولدي!

زحفت الظلمة وشم رائحة النفس الكريهة القادمة عبر كتفه. وبينما كان يختفي داخل الهاوية السوداء المنفتحة من ورائه سمع « دانيل » عبارة « تعال إلى أمك! »

* * *

الفصل التاسع

صاحب « ماري » غيومٌ رمادية في رحلتها إلى العمل ذلك الصباح. لا مجال للحظاتٍ ساحرة تعيشها، وبصراحة كان ذلك جيدًا لأن السحب السوداء الكبيرة كانت تؤثر على مزاجها. كان أحد تلك الصباحات، التي قلّت الآن لحسن الحظ، التي تفتقد فيها بيل. افتقدته لدرجةٍ توجع القلب. قُتل زوجها قبل عشر سنين، وما زال الأمر يؤلم بشدة أحيانًا.

أدركت لحظة وصولها إلى قسم الشرطة أنها لم تكن الوحيدة التي تشعر بأن النهاية قريبة.

الله وحده يعلم متى وصل جاكمان، والغريب أن «ماكس» و«تشارلي» كانا على مكتبيهما أيضًا.

- لم يخبرني أحد بأن هناك حفل بيجاما.

فتحت معطفها الجلدي ونظرت إلى زملائها:

- كنت سأحضر الفشار.

- لم أستطع النوم.

تذمّر «ماكس» وهزّ رأسه:

- وأنا بطبيعتي أنام بسهولة .. تقول جدتي إنني قد أنام وسط معركة.

أضاف «تشارلي»:

- قضيت ليلة سيئة أنا الآخر.

- نعم، ولكنك قضيت ليلة سيئة بسبب تناولك لتلك الوجبة السمينة في منتصف الليل.

تنهّد «تشارلي» ونظر إلى «ماكس» متعبًا:

- بل كانت حوالي الحادية عشرة، كما أنها ليست غلطتي أن الوجبة المسائية المتأخرة الوحيدة في شارعي هندية بالصدفة.

علّقت « ماري » معطفها على ظهر مقعدها ونظرت حيث يحدّق « جاكمان » بتمعّنٍ في اللوحة البيضاء:

- وماذا عنك يا سيدي؟ كوابيس؟ توابل حارة؟ أم كلاهما؟

لوت قسمات وجهها لإضحاكه.

- لا هذا ولا ذاك.

التفت إليها بابتسامةٍ متعبة:

- تناولت أومليت على الطريقة الإسبانية وبطاطس مقلية، ثم قضيت أغلب الليلة بصحبة السفّاحة الشقراء.

- أعترف أنه لم يكن هناك شيءٌ يُعرض على التلفاز، ولكنني كنت لأفكر في أمورٍ أفضل لو كنت مكانك.

سحبت « ماري » مقعدها وجلست.

- إنها تضايقني.

- ليس بقدر ما ضايقت «جورج» و«ليديا هاينز».

أضاف «ماكس» متجهمًا، ثم سحب مقعده بعيدًا عن مكتبه والتفت إلى «جاكمان»:

- لماذا قتلتهم يا زعيم؟ كان ذلك قبل قدومي بكثير، ولا أتذكر إلا القليل.

- لو كنت سألتني أمس لما كنت أعرف.

تحرّك « جاكمان » وجلس على حافة مكتب «ماري»:

- ولكن بعد جلستي المسائية المتأخرة المكتظّة على الحاسوب أستطيع أن أخبرك بعض الشيء عن فرانسواز ثايبه المحترقة روحها.

قلّبت « ماري » في ذاكرتها ولم تخرج إلا بعناوين صحفية تتضمن كلمات مثل « شريرة » و«ملعونة » و«مجرمة » و«متوحّشة » و«كريهة » سواء كانت ضمن صحيفة شعبية أو كبيرة.

- دعنا نبدأ بأمرٍ ما ليس معروفًا للجميع، فقد كانت مُتهمة بقتلٍ خمسة آخرين على الأقل قبل آل هاينز. وبما أن تلك التُّهم لم تُثبت ووقعت في فرنسا فإنها لم تُدرج عبر النظام في ذلك الوقت.

سألت «ماري»:

- وتمكنت من الحصول على وظيفة مع زوجين

في ريف لينكولنشاير؟

- غيّرت اسمها قبل أن تأتي إلى إنجلترا. لم يكن هناك مجال لتخفي حقيقة أنها فرنسية، ولذا أخذت اسمًا فرنسيًا آخر واختفت من نظامنا.

- حكاية قديمة . ..

تذمّر «ماكس» وأضاف:

- ولكن كيف أصابها الجنون حيال صاحبي عملها؟

- بسبب انقطاع للكهرباء وشطيرة لحم خنزير . ..

ألقى على ماكس» ابتسامة غامضة وأكمل:

- عادةً ما تكون القشة التي تقسم ظهر البعير أمرًا تافهًا، أعرف ذلك، ولكن السبب هذه المرة سيئ للغاية.

- أخبرنا بالمزيد.

مالت « ماري » إلى الأمام وأراحت كوعيها على المكتب مبديةً اهتمامها الشديد المفاجئ.

- فرانسواز ثابيه كانت شخصية موسوسة. كانت غيورة وتهوى السيطرة وتشتهي مدير المزرعة؛ رجل اسمه «آيان فارو».

- كان أشبه بالمجرمين، أليس كذلك؟

سألت « ماري » بينما بدأت لقطات من القضية القديمة تعود إلى ذاكرتها.

- نعم، كان مُتهمًا بالاشتراك مع ثاييه، ولكنه كان أحد ضحاياها ولو لم تقتله حقًا.

- هـل شـعر بـالمثل تجاهـها؟ أقصـد هـل كـان يشتهيها؟

سأل «تشارلي».

- مطلقًا، ولكنه كان مهذبًا، ووحيدًا بعض الشيء، وقد أساءت فهم سلوكه اللطيف تجاهها، والذي لم يكن أكثر من مجرد تأدبٍ مع أحد العاملين لدى آل هاينز.

امتعض « جاكمان » وأردف:

- لقد أساءت فهم الكثير في الواقع. قيل إن الرجل مُطلّق، مما جعل منه صيدًا يسيرًا، ولكن الأمر الذي لم تعرفه أن زواجه فشل بسبب ميوله الجنسية الشاذة.

- أووووه!

حاول «ماكس» رسم بسمة.

- اشتعل الوضع عندما رأت ثاييه ليديا هاينز تسير عبر الباحة حيث كان لآيان فارو حظيرة صغيرة ثم دخلتها. كانت ثاييه في عملٍ ما في المدينة ولم تكن تعرف أن هناك انقطاعًا في

الكهرباء يؤثر على المزرعة بأسرها. وفي حين استخدمت «ليديا» موقدًا يعمل بالوقود الصلب، بما أن فارو كان في الحقل طوال اليوم، فقد صنعت له وللكثيرين شطائر من لحم الخنزير لتعينهم حتى تعود الكهرباء. اعتقدت «فرانسواز ثاييه» أن «ليديا» دخلت إلى غرفة معيشة «فارو» لتغازله فاشتعلت الغيرة بداخلها. رغم أنها كانت تعلم أن الكهرباء منقطعة إلا أنها قرّرت أن «ليديا» استغلت الأمر لتضاجع «فارو».

- ثم قتلت «ليديا» وزوجها؟

- بدون أن يرمش لها جفن تقريبًا، انهالت عليهما بالضرب حتى الموت.

وقف « جاكمان » وأردف:

- وأعتقد أنها كانت ستقتل «آيان فارو» أيضًا، إلا أنه كان قد غادر إلى المدينة تلك الليلة وثمل بشدة فلم يستطع القيادة إلى المنزل. قضى الليلة في سيارته التويوتا التي أوقفها بالقرب من حانة شريمب بوت.

- ويعتقد « دانيل » المضطرب أن ثاييه أمه؟

شهق «ماكس» غير مصدقٍ وأضاف:

- لو كنت مكانه لأخرست لساني وسكتّ تمامًا.

قالت « ماري » بصوتٍ أكثر جدية:

- « دانيل » مهووس بتلك الفكرة تمامًا، وينبغي علينا أن نقنعه بخطئها.

- إلا إذا كان محقًا!

قال «تشارلي» – هادم اللذات في سالترن.

أومأ «جاكمان»:

- بالضبط. لذا، علينا أن نعرف الحقيقة بشكلٍ أو بآخر. وبحلول موعد بدء عمل الإدارات المعنية أريد ثلاثتكم أن تجلبوا إليّ كل شيءٍ يمكنكم أن تجلبوه من محاكمة ثابيه؛ النسخ، وصناديق الأدلة، وكل تقارير الطب الشرعي، وخصوصًا تلك التي تذكر الحمض النووي.

ازداد صوته قوة:

- نريد أن نقدم لـ«كيندر» دليلًا دامغًا قبل أن نبدأ في التسلّل إلى عقله.

أومأ «ماكس» ثم قال:

- وماذا عن العد التنازلي لاحتجازه؟

- حتى لو اضطررنا إلى إخراجه بكفالة لن يذهب بعيدًا، فـ«كيندر» يرغب في أن يكون هنا، ربما بنفس مقدار رغبتنا في أن يكون نزيلنا.

- وماذا عن «أليسون فليت» وقتيلتنا المجهولة؟

بقدر ما كانت « ماري » تريد أن تعرف المزيد عن

أصل « دانيل » الشرير لم ترد لقضاياهم المفتوحة أن تتبعثر.

- سأكبح جماح عملية صقر الليل. الضباط الميدانيون يقدمون كل ما بوسعهم، وحتى نصل إلى المزيد من تقارير الطب الشرعي سنظل مستعدين على أي حال.

بدت في عين « جاكمان » نظرةٌ زائدة الحماس حتى آملت « ماري » بألا يغطي البحث في « دانيل كيندر » على الحكم السليم الذي لطالما تميّز به المحقق.

- لا تقلقوا يا شباب، فهذه محض تحريات عن التحقيقي في قضية أليسون فليت. وإذا وقع أي شيء يتطلب تغييرنا لأولوياتنا سأكون على أهبة الاستعداد . .. لذا اذهبوا الآن.

راقبته « ماري » وهو يدخل مكتبه ويغلق الباب، ثم التفتت إلى محققيها:

- حسنًا يا شباب، نحن الآن طاقم العملية الباردة. دعونا نضع خطة، هلا بدأنا؟

* * *

إذا كان اليوم قد بدأ بكآبة، فإنه أخذ يزداد سوءًا رويدًا رويدًا، حتى حانت الساعة الثانية، حيث كادت « ماري » أن تتصل بإدارة الموارد البشرية وتطلب الانتقال إلى جزيرةٍ اسكتلندية صغيرة.

ويُستحسن أن تكون جزيرة لا يسكنها إلا الخراف.

وضعت الهاتف بعنف في قاعدته ونظرت إليه بتجهمٍ شديد.

- لا تعجبني هذه النظرة.

ظهر « جاكمان » بجوار مكتبها بالصدفة:

- إنها علامات الجنون الأولى . .. أو ربما نية قتل.

- أعتقد أن الاحتمالين مرتفعان.

نظرت إليه ورفعت يديها في الهواء:

- الأمر ميؤوس منه! الساعات الخمس الأخيرة كانت أشبه بمسرحية! وليست من النوع المرح بالتأكيد.

- تابيه؟

- نعم، الملعونة فرانسواز تابيه.

شهقت بصوتٍ مرتفع ثم غاصت في مقعدها وقالت بثبات:

- متى وقعت تلك الحادثة؟ منذ عشرين عامًا؟ ليس منذ زمنٍ طويل. لدي مجمد أقدم منها، ولكن مع امتلاكنا لكل التكنولوجيا الخاصة بالبصمات هل يمكننا الحصول على المعلومات التي

نحتاجها؟ بالطبع لا.

سحب « جاكمان » مقعدًا من مكتبٍ شاغر وجلس بجوارها.

- على مهلك ومن البداية.

زمجرت «ماري»:

- لا أعتقد أن لدي طاقة لهذا، ولكن باختصار فإن المخزن الذي يضم أدلة قضية ثابيه تعرض لحريق كبير منذ عشر سنين. الصناديق التي لم تفنَ بالكامل أُنقذت وحُملت سريعًا ونُقلت إلى مخازن مؤقتة أخرى. وبوصول القضية إلى نهايةٍ مرضية بعد عشر سنين أُهملت الأدلة، والآن . ..

مدّت ذراعيها ورفعت يديها:

- قد تكون في أي مكان . .. أو لا مكان على الإطلاق. لا يوجد سجل يقول إنه قد تم إحراقها، ولكن أيضًا لا يوجد سجل لها في أي مخزن آخر. هذا بحثٌ لا طائل منه يا زعيم . .. لا طائل على الإطلاق.

دخل المحققان الآخران على مهلٍ لينضما إليهما، وقال «ماكس»:

- ليس هذا فقط، هناك أمورٌ تعطلّها مسألة أن «ثابيه» كانت مُتهمة بجرائم قتلٍ في فرنسا.

حدّق «تشارلي» في مذكراته:

- نعم، يبدو أن هناك كثيرًا من المعلومات عن حياتها الباكرة قد نُقلت إلى الخارج.

فتح «ماكس» فمه:

- حسنًا، وبناءً على ميزانيتنا سنحاول العثور على معلومات ليست فقط موجودة في إدارة أخرى، بل في بلدٍ آخر . .. يا لها من ملهاة!

- اللعنة!

تمتم « جاكمان » وأردف:

- ليس ما كنت آمله. وبدون المزيد من الأدلة الدامغة لربط « دانيل » بالقاتلة فإن ميزانية الشرطة التي ذكرتها لن تكفي المكالمات الطويلة أو الرحلات إلى الخارج بالتأكيد.

قضم شفته السفلية:

- هل يمكنني السؤال عن الحمض النووي؟

حكّت « ماري » رأسها:

- يمكنك. ولكن هذا هو السبب الذي دفعني لاستخدام هاتفي كوسيلة علاجية لكبت غضبي.

- هل يمكنني أن أقترح شيئًا من كلمةٍ واحدة؟

توجّهت كل العيون ناحية «تشارلي» تحاول بوضوح معرفة تلك الكلمة.

- أوراك. إذا كان هناك شيءٌ ما ينتظرنا في

أنظمتنا في مكانٍ ما، فإنها الوحيدة القادرة على العثور عليه.

ابتسمت « ماري » ابتسامة عريضة:

- أحياناً أحبك كثيراً يا «تشارلي باتون». كنت سأصاب بالجنون لو جلست ساعة واحدة أخرى أنقر على لوحة المفاتيح هذه.

وقفت وقالت:

- سأذهب لرؤيتها.

توقفت ونظرت إلى « جاكمان » في حيرة:

- أو ربما من الأفضل أن تأتي منك يا سيدي.

ولكن « جاكمان » كان في طريقه إلى مكتبه. كل ما سمعته كان « أنا مشغول جداً، هذه مهمتك ».

ابتسم «ماكس» بتكلّف في ظهر « جاكمان » المتراجع:

- أتعرف ماذا؟

نظرت إليه « ماري » ببرود وقالت:

- انسَ يا عزيزي . .. لا تذهب إلى هناك حتى.

* * *

لم ترفع «أورلا كراكن»، المعروفة للجميع من

رئيس الشرطة إلى أصغر شرطي باسم « أوراك » ، رأسها عندما دخلت « ماري » إلى وحدة تكنولوجيا المعلومات. تخيّلتها « ماري » في لحظةٍ مريبة وكأنها إنسان آلي، جزء لا يتجزأ من بنك الحواسب والشاشات المحيطة بها. كانت لا تتحرك إطلاقًا مثلها مثل لوحة المفاتيح أمامها، وبدت في وضعها الثابت المستقيم كإنسانٍ آلي أكثر من كونها بشرًا.

رأت « ماري » أن «أوراك» امرأة من النوع الذي سيظل يبدو مدهشًا حتى لو ارتدت معطفًا واقيًا من المطر ونعلين رقيقين. لم تكن بحاجة إلى شيءٍ إضافي ليصبح شكلها مميزًا، غير أن « ماري » لم ترها بدون تلك العدسات المعدنية الغريبة.

- نحتاج مساعدتك.

قالتها « ماري » بهدوء بدون رغبةٍ منها في كسر الهدوء الغريب للغرفة الممتلئة بالماكينات.

- ومن لا يحتاج مساعدتي؟

جاء ردها مقتضبًا.

كانت ذلك صحيحًا، فكل المشكلات العصيّة على الحل انتهت على مكتب «أوراك». وكانت توجد إجابات في تسع مراتٍ من أصل عشر. تمثّلت المشكلة في أنها يجب أن تساعد ثلاث إدارات أخرى. فشرطة فينلاند لم تكن تتمتع بالكثير من

المميزين، كما أن ميزانيتها كانت محدودة تمامًا، ولكن لديها أوراك، وهذا شيءٌ ثمينٌ بالفعل. المحزن في الأمر أنها كانت أثمن من أن تبقى معهم.

- وصلنا إلى حائط سد في البحث عن معلومةٍ من قضيةٍ قديمة. أتمنى أن تجدي شيئًا لم نجده.

التفتت «أوراك» ونظرت إلى « ماري » في صدمة:

- أتمنى بصدق أن أستطيع، وألا أكون في المكان الخطأ.

برقت عيناها كسطح قرصٍ مضغوط.

- هل الأمر مهم؟ أنا في غاية الانشغال الآن.

- « جاكمان » يرى أن الأمر مهم.

- ولكنه لم يأتِ بنفسه.

- لستِ الوحيدة المشغولة، فنحن لدينا قتيلتان ومشتبه به مجنون أشدّ الجنون.

- آه، نعم . .. السيد « دانيل كيندر»، ذلك الذي مسحت حاسوبه أمس.

رفعت حاجبها:

- ورئيسك لم يكلّف نفسه ليشرفني بقدومه بعدما كرّست وقت ما بعد الظهيرة بالكامل من أجله.

بدلًا من ذلك يرسل إليّ صبيًا صغيرًا مرقطًا ليحصل على معلومات.

مال رأسها إلى جانبٍ واحد وكأنها تعاتبها:

- أعتقد أنه خائف مني.

- «جاكمان»؟ خائف؟

قالت حتى لنفسها بسخريةٍ غير مقنعة.

ابتسمت «أوراك» بخبث:

- حسنًا يا سيادة الرقيب المفتش، تحت أمرك. أتريدين إعادة فتح قضيةٍ قديمةٍ إذًا؟

شرحت لها « ماري » في حين كان بإمكانها أن ترى معالج بيانات «أوراك» العقلي يدق ويشكّل برامج بحث بالفعل.

- يبدو هذا أكثر إثارة من تعقّب حساباتٍ خارجية ولوحات رخصة سيارات وهمية.

استدارت ناحية أجهزتها وقالت:

- اتركي الأمر لي وسأخبرك عندما أحصل على شيء.

ألقت « ماري » نظرةً أخيرة في اتجاه «أوراك» ثم غادرت الغرفة بأجهزتها المهمهمة الطنّانة وزعيمتهم الغريبة.

وبينما كانت تصعد الدرج من الطابق السفلي

تساءلت عن السبب الذي جعل «أوراك» تذكر « جاكمان » مرتين في تلك المحادثة القصيرة. ابتسمت ابتسامة عريضة وهي تتخيّل « جاكمان » و«أوراك» يحتسيان الخمر في حانةٍ هادئة. وربما لا. ماذا لو كانا يسيران بينما يمسكان بيدي بعض قرب النهر ساعة غروب الشمس؟ اللعنة! لا! هذا أسوأ. وأخيرًا أصدرت نخيرًا مع ضحكة وهي تتخيل عشاءً رومانسيًا في مطعمٍ حميمي صغير. كان ليصبح أمرًا تسرده الكتب بالتأكيد. لم يعرف أحدٌ شيئًا عن حياة «أوراك» الشخصية. كان هناك تلميحات بأنها لا تمتلك حياة شخصية، وأن الشيء الصلب الوحيد الذي تحتاجه هو قرصٌ صلب. يثير الشخص الغامض مثل رئيس إدارة تكنولوجيا المعلومات التوقعات بالتأكيد. كانت عبقرية، وهذا واضح، ولكن الشائعات تهمس بأنها كانت تعمل في الاستخبارات وأنها استخدمت ككبش فداء في فضيحة قرصنة كبيرة. ولهذا انتهى بها الأمر في قسم شرطة بدائي في منطقة ريفية تحسب الأرقام لشرطي الريف. قال آخر إنه تم إبعادها ببساطة لأنها تعرف أكثر من اللازم، ولكن عن ماذا؟ لا أحد يقول.

لم تصدّق « ماري » أي من الشائعات، ولكنها تساءلت عن السبب الذي يدفع عبقرية مثلها للعمل في مكانٍ ما كان في السابق قبوًا للخمر في قسم شرطة سالتن.

همست « ماري » لنفسها بينما اقتربت من طابقها:

- كوني شاكرة للنِعم الصغيرة. المرأة عبقرية وهي في طابقنا السفلي، وتوقفي عن الخيالات فإنها مضرة لضغط دمنا.

عادت الأفكار لتطاردها في مكتبها. نظرت ناحية « جاكمان » الذي كان مشغولًا في محادثة مع شرطي يرتدي بزة رسمية. كان من الصعب عليها أن تتحلّى بالموضوعية في ظل معرفتها القوية به، ولكن تحولّت الأفكار الغريبة ببطء إلى أشبه ما يكون بنكتة. ربما كان أقرب إلى «أوراك» أكثر مما تخيلت.

حاولت « ماري » ألا تحدّق فيه. رأت أن أوراك لم تكن لتعجب بمظهره الحسن، فالعقل هو ما تنظر إليه، و«جاكمان» يمتلك هذه النعمة. كما أنه كان ذكيًا بما يكفي ليعرف متى يلطّف حديثه المهني. كان قادرًا على أن يتحدث بلغة الشارع والسخرية السوداء عندما تكون ملائمة. ربما رفعت «أوراك» عينيها الغريبتين من هاتفها الذكي أو حاسوبها اللوحي ورأت كل ذلك.

- أسألكِ هل حالفك الحظ؟

أفاقت « ماري » من شرودها ورأت «ماكس كوهين» ينظر إليها متعجبًا. لم تلحظه يقترب من مكتبها.

- كنتِ شاردة كثيرًا يا سيادة الرقيب.

- أوه، في الواقع لا، كنت أتأمل في أحد ألغاز الكون متعددة الأوجه.

- صحيح.

نظر إليها ماكس بحيرة وأردف:

- حسنًا، عندما تنتهين أخبريني. ولكن في الوقت الحالي هل وصلتِ إلى أي شيء مع «أوراك»؟

- بدت مهتمةً بعض الشيء في الحقيقة. هل هذا ما تريده؟

- لكِ احترامي؛ لأنني كنت أتوقع رفضًا وانفعالًا وانزعاجًا كبيرًا مع اهتمامٍ يكاد لا يُرى. لقد أحرزتِ هدفًا.

- على أي حال، ستتصل بنا وتستدعينا لكهفها عندما تحصل على بعض الأجوبة.

- عظيم، هل يمكنني أن أذهب؟

- لا، ألم تذهب مسبقًا لتحصل على بيانات من حاسوب «كيندر»؟

- لا، بل أرسل الزعيم «تشارلي».

- آه، الآن تتضح الصورة.

- ماذا؟

- لا شيء، اذهب إلى عملك.

نظرت « ماري » إلى الأعلى فرأت « جاكمان » يومئ لها.

توجهت إلى مكتبه حيث أشار إلى أحد المقاعد:

- لقد حصلت على التقرير المبدئي من أخصائي الأمراض بخصوص «أليسون فليت» وبعض الملاحظات المدوّنة بسرعة عن القتيلة المجهولة. الأمر الأهم أنه يتضح أن السكين نفسه قد استخدم. لم تكشف حالة القتيلة المجهولة السيئة أي نتيجة إيجابية بعد، ولكن حتى زاوية وعمق جروح الطعن تبدو أنها تشير إلى القاتل نفسه.

هزّ « جاكمان » رأسه:

- أشار «جاكوبس» إلى أن هناك اختلافات جوهرية بخصوص طريقة تنفيذ الضربات، ولكنه يرى أن وفاة القتيلة المجهولة قد تكون نتيجة لغضبٍ شديد من جانب المعتدي عليها فيما قُتلت أليسون فليت على نحوٍ مرتب ومتأنٍ.

ضربت « ماري » جبهتها:

- ولكن هل من الأكيد أن هذا يشير إلى وجود قاتلين؟ أحدهما منظم والآخر خلاف ذلك؟ وكلاهما عكس الآخر تمامًا؟ أليس كذلك؟ قاتلان مختلفان تمامًا؟

- لو كنّا نتكلم عن قاتلٍ متسلسل، فالأجابة نعم،

أنتِ محقة، ولكن ماذا إذا كانت الميتة الأولى غير مُخطط لها؟ أعني ماذا لو اكتشف قاتلنا حقيقته بعد أن قتل «أليسون فليت»؟

- محتمل.

فكّرت « ماري » في الأمر مليًا. محتمل جدًا في الحقيقة. فمثلما قال «تشارلي» عليهم أن يبدأوا من مكانٍ ما، وحيث إن هؤلاء القتلة عادةً ما يصعّدون عبر القسوة والسلوك السادي والاعتداء الجنسي والاغتصاب إلى الاختطاف والقتل أخيراً، فهناك دائمًا ذلك الحافز الغريب الذي يحوّل العقل الفاسد بالفعل إلى شيءٍ ما خارج السيطرة.

التقط « جاكمان » تقريراً:

- يقول «جاكوبس» إن أيًا من قتل «أليسون فليت» كان حريصًا لدرجة التحفّظ. لم يعثر أخصائيو الطب الشرعي حتى الآن على أي أدلة تركها القاتل، لا بصمات ولا دماء ولا سوائل ولا شعر ونسيج في مسرح الجريمة. وحيث إن هذا يعني أننا لا يمكننا أن نتهم « دانيل كيندر » بفعلها، فلا يمكننا اتهام أي شخصٍ آخر بفعلها.

- إذاً لا يمكننا إثبات أنه كان هناك، ولا يمكننا أيضًا إثبات أنه لم يكن هناك . .. رائع!

- الأمر محيّر، هذا أكيد.

مرّر أصابعه عبر شعره وأضاف:

- ولم تكن هناك صلة بين الأشخاص المفقودين وقتيلتنا المجهولة أيضًا.

- قلت إنها كانت ترتدي ملابس خيطت على يد مصمم؟ من الواضح أنها لم تكن مشرّدة أو هاربة، فلماذا لم يتم التبليغ عن غياب امرأةٍ كهذه؟

- قد تكون امرأة أعمال، شخص يسافر كثيرًا. عزباء أو لا تعول أحدًا . .. وقد تكون بدون أسرةٍ أيضًا.

- وقد تكون أجنبية.

- محتمل، ولكن ربما تكون هاربة أيضًا. فالمحلات الخيرية والأماكن مثل « سالفيشن آرمي » تعطي الناس ملابس تم التبرّع بها. بعضها ذات جودة عالية. نحتاج إلى التقرير الكامل لما بعد الوفاة لنعرف حالة جسدها قبل الوفاة للإجابة على هذا السؤال.

- أو أن يتواصل معنا أحدهم يتوسّل للعثور على ابنته أو زوجته أو صديقته الحبيبة.

- أتظن أننا سنكون محظوظين إلى هذا الحد؟

سأله « جاكمان » بامتعاض.

- ربما لا، ولكن دعنا لا نكون سلبيين للغاية.

انحنى «تشارلي» ناحية باب «جاكمان»:

- عذرًا يا سيدي، ولكن المراقب كروك طلبت مني أن أوصل لكم رسالة. تطلب منكم الصعود إلى مكتبها على الفور، وحسب قولها فإنكم ستصبحون مدينين لها بالكثير.

التفت ناحية « ماري » وقال:

- وأنتِ كذلك يا سيادة الرقيب.

أومأت « ماري » لـ«تشارلي» ثم رفعت حاجبها لـ«جاكمان»:

- مجرد استدعاءات ملكية لا أكثر. يُفضل أن تصدق في كلامها . .. ربما كان ذلك الحديث عن الحظ فألًا حسنًا.

* * *

في حين اقتربوا من مكتب المراقب سمعوا أصواتًا تصدر من داخل الغرفة. وقفت « ماري » في طريقها تشد بيدٍ واحدة كوع « جاكمان » وتسحبه إلى الخلف. قالت على نحوٍ عاجل:

- انتظر!

جاء صوتها حادًا بغرابة، أدرك « جاكمان » أن أصابعها ما زالت تمسك بقوة بكُم معطفه.

- ماذا هناك؟

- هذا الصوت، أميّزه في أي مكان . .. إنه البروفيسور جاي بريستون.

فكّر « جاكمان » بشدة. لقد سمع الاسم من قبل ولكن لا تواتيه معلومات عنه في عقله. قال مبتسمًا:

- حسنًا، تكسبين نقطة لأنك تعرفين شخصًا لا أعرفه.

هزّت « ماري » رأسها:

- هذا مذهل! لم أعرف أنه عاد إلى هذه الأرجاء.

- لقد تهت منكِ . .. من هو جاي بريستون؟

- إنه عالمٌ نفسي كبير يا سيدي. لقد ساعدنا في بداياتي في تحقيق أوستن. حسنًا، كانت الأمور قد ازدادت سوءًا . ..

خفت صوتها وأردفت:

- انظر، سأخبرك عن الأمر عندما نكون وحدنا. إنه أمرٌ لا أريد لأحدٍ أن يفهمه على نحوٍ خاطئ. كما أنه ليس معروفًا للكثيرين.

همس «جاكمان»:

- لقد أثرتِ اهتمامي كثيراً الآن، ولكن يُستحسن ألّا نجعل المراقب تنتظرنا. أخبريني لاحقًا وأعدكِ أن يبقى الأمر كله سراً.

نظر إليها من أسفل حاجبه.

تجاهلته « ماري » وعدلت كتفيها وهي تدخل إلى المكتب.

تجلّى الأمر هناك. كان «بريستون» قد كتب بعض الأبحاث المثيرة للغاية كانت جزءًا من تكليفات القراءة الخاصة بـ«جاكمان» في جامعة كامبريدج. كان رجلًا قويًا، صريحًا ولكن عالمًا نفسيًا محترمًا. تساءل « جاكمان » كيف تمكّنت روث كروك بحق الجحيم أن تمط الميزانية لدرجة الاستعانة برجلٍ في مثل قامته المهنية.

- أعتقد أن كليكما تعرفان بعضًا.

قالت المراقب وهي تنظر إلى « ماري » والطبيب.

مدّت « ماري » يدها:

- من اللطيف أن أراك مجددًا يا «جاي»، ومن المفاجئ أيضًا.

التفت ناحية « جاكمان » وقدمته.

كانت المصافحة قوية ولكن ليست قاسية. رأى « جاكمان » رجلًا في أواخر أربعينياته، شعره الرمادي أطول من المتوسط ولكن مُصفّف بأناقة. ذقنه مُحدّدة ومُقلّمة بعناية. الشيء الوحيد الذي أفسد ما فكّر فيه « جاكمان » حيال الهيئة الحسنة الشبيهة بهيئة « إنديانا جونز » كان الجرح القديم أسفل جانب وجهه، جرح لا يمكن

لذقنه حتى أن تخفيه.

- سيادة المفتش «جاكمان»، سعيد بمقابلتك. وبالنسبة لكِ يا «ماري»، لا أصف لكِ كم أنا سعيدٌ برؤيتك مجددًا. هل أصبحت رقيبًا محققًا الآن؟ هذه أخبار ممتازة.

فكّر «جاكمان»: « يناديان بعضهما بالأسماء الأولى . .. ها. »

- يعمل البروفيسور «بريستون» في المستشفى العسكري القديم في فرامبتون شور. يلعب دورًا محوريًا في وحدة الطب النفسي المؤمّنة الجديدة التي سيتم افتتاحها لاحقًا هذا العام.

مدّت المراقب شفتيها النحيلتين بقدر إمكانها وأكملت:

- وقد تكرّم ووافق على طلبي بإفادتنا بخبرته.

رفع «بريستون» كفّيه:

- هذا لا شيء، فأنا لست مشغولًا الآن. أعمال البناء وصلت إلى مرحلة متقدمة. إنهم يركّبون أنظمة الأمان. المكان مُحصّن ضد أي شخص باستثناء خبراء الأمن وعمّال البناء ومَن معهم. لم تكن عودتي إلى نورثامبرلاند تستحق العناء، لذا . ..

ابتسم وأضاف:

- إذا كان بإمكاني المساعدة سيكون هذا عظيمًا.

كان « جاكمان » يحاول تذكّر بعض أعمال بريستون. أخيرًا تذكّر! شيءٌ ما يليق بالظرف الراهن. قال:

- كنت قد كتبت دراسة مهمة عن المرضى النفسيين من الإناث بعنوان « عندما يغيب الوعي » .

- يا إلهي! وأنا الذي كنت أظن أن دراستي تلك لم يطّلع عليها إلا حفنة من طلاّبي الذين أصبتهم بالملل. ولا أظن أن أحدهم كلّف نفسه عناء قراءتها.

- قرأتها . .. طواعية. كانت مذهلة.

- أشكرك.

رأى « جاكمان » أن الرجل يشبه شخصًا يعلّم اليوجا أو التاي تشي. كان يبدو هادئًا، وهي صفة جيدة يتحلّى بها العالم النفسي. مرضاه سيثقون فيه بسهولة كبيرة. نظر ناحية « ماري » سريعًا وقرأ مشاعر متداخلة في وجهها حيّرته.

- المراقب «كروك» كانت قد أعطتني نبذة عامةً عن القضية، ولكنا ربما يفيدني أحدكما بالتفاصيل.

نظر «بريستون» إلى «ماري».

لو لم يكن « جاكمان » يعلم أن « ماري » كانت

تعيش حياة زوجية سعيدة لسنين طويلة قبل وفاة زوجها، لظنّ أن هناك ماضيًا في تلك النظرات المعبّرة.

قال « جاكمان » سريعًا:

- لا مانع، تفضّل معنا إلى إدارة التحقيقات الجنائية. يمكنك مقابلة بقية الفريق و...

نظر إلى «بريستون»:

- حقيقةً أودّ أن أعرف رأيك في تلك الزينة الغريبة الجنونية على الحائط التي تركها الشخص المحتجز لدينا.

فتح الباب ثم سار الطبيب و«ماري» من خلاله. الفت « جاكمان » إلى روث كروك وقال:

- معكِ حق يا سيدتي، أدين لكِ بخدمة.

- عليك أن تصدق في وعدك يا سيادة المفتش، وسأطلب منك الخدمة يومًا ما، لا تخف.

رسم « جاكمان » ابتسامة بسيطة. لم يكن ذلك بكثير، ولكن أخبره بأنها تقف في صفه حقًا بغض النظر عن الميزانية.

بالأسفل أخذوا «بريستون» في جولةٍ سريعة في أنحاء الإدارة. وفيما كان «ماكس» يعرض للعالم النفسي إعادة تشكيلهم للعمل الجداري الخاص بـ«دانيل كيندر»، أخذ « جاكمان » « ماري »

جانبًا وسألها بهدوء:

- إذًا، عملتِ مع «بريستون» من قبل؟

- حسنًا، كما قلت، كنت في بداية مشواري، ولكنه ساعدني كثيرًا في تحقيق معقد وحساس جدًا. أقول إن دوره كان حاسمًا في تخليص الشارع من تيرينس ماركوس أوستن إلى الأبد.

- ولكن إذا كنتِ صغيرة هكذا، كيف لك أن تنادي شخصًا كبيرًا مثله باسمه الأول؟

تمنّى « جاكمان » ألّا يبدو سؤاله كنوع من الغيرة.

- لقد أنقذت حياته.

هزّت رأسها:

- انظر، هل يمكننا الحديث لاحقًا؟

نظرت إلى حيث وقف «بريستون» يحدّق في اللوحة:

- يُستحسن أن تذهب وتتكلم معه. ونحن محظوظون لأنه معنا يا سيدي. إذا كان هناك من يمكنه فهم « دانيل » فإنه سيكون جاي بريستون. لم أقابل أحدًا يمكنه التسلل إلى العقول المريضة مثل هذا الرجل.

كان « جاكمان » ما زال يحاول فهم كلامها. أنقذت حياته؟ أومأ وعاد إلى الواقع:

- إذا كانت أبحاثه الأكاديمية يُعتمد عليه فأنا أعرف ما تعنين.

سأل «بريستون» محدّقًا في العمل الجداري:

- هل يمكنني مقابلة الفنان نفسه؟

- طبعًا.

انسحب « جاكمان » إلى مكتبه:

- ولكن أولًا دعنا نحتسي قهوة وسأخبرك بما وصلنا إليه حتى هذه تاريخه، اتفقنا؟

ابتسم «بريستون»:

- اتفقنا جدًا . .. هيا بنا.

بعد نصف ساعة كان جاي يجلس على مقعده مسندًا ظهره يطلق تنهيدة طويلة:

- أعتقد أنني يجب أن أراه قبل أن أقوم بأي تعليق. ولكن كل ما أخبرتوني به حتى تاريخه يشير إلى أن « دانيل كيندر » مُطارد، حسنًا، مهووسًا باعتقاده بأنه ابن القاتلة. أستبعد كثيرًا أنه قتل أحدًا.

قال « جاكمان » متذمرًا:

- هكذا نظن أيضًا، ولكن علينا أن نثبت ذلك. أي خطأ من جانبنا قد يكلّف أحدهم حياته.

- ويكلفك وظيفتك بدون شك.

- إذا أفرجت عن قاتل فصدّقني سأكون أول من يضحي بنفسه. وعلى أي حال . ..

أضاف بينه وبين نفسه:

- لن أتمكن من التعايش مع نفسي إذا عرّضت الأبرياء إلى الخطر.

ابتسمت « ماري » لـ«بريستون»:

- رئيسي رجلٌ صاحب ضمير.

- يا الله! ما أندره في أيامنها هذه.

نظر «بريستون» إليه متمعنًا حتى شعر « جاكمان » بانزعاجٍ يزحف إليه. تعرّض للتو لفحصٍ من عالم نفسي كبير ولم يكن ليتخيل ماذا رأى. تصنّع « جاكمان » الابتسامة وغيّر الموضوع:

- سأتصل برقيب الاحتجاز لأستدعي «كيندر» إلى غرفة التحقيق.

داعب الطبيب ذقنه وهو يفكّر:

- ممتاز، ولكن قبل هذا أعتقد أنني يجب أن أخبرك بأنني أعرف ما يكفي بعض الشيء عن فرانسواز ثابيه. قضيت وقتًا طويلًا أدرسها هي وقاتلتين أخريين بنيّة تأليف كتابٍ عنهم. الغريب حقًا أن المراقب «كروك» قرّرت أن تستعين بي في هذه القضية.

قالت « ماري » بذهول:

- لذا ربما تعلم المزيد عن عقلية ثابيه أكثر من أي أحد، وتجلس هنا في مكتب الزعيمة؟

- شيءٌ من هذا القبيل، ولكن أرى ألّا نخبر «دانيل».

فكّر « جاكمان » في ذلك وقال:

- أتفهّم وجهة نظرك.

نظر إلى « ماري » ثم إلى «بريستون» مجددًا وشرح كل ما يتعلق بالوثائق المفقودة في محاكمة جريمة القتل وفقدان صناديق الأدلة. تحوّل وجه الطبيب من الهدوء إلى الذهول:

- ولكن هذه مهزلة! ثابيه كانت أحد أقسى وأدهى وأشرّ القتلة شاهدتها هذه البلاد على الإطلاق. وقد ضاعت كل بياناتها القانونية؟

- بمعنى الكلمة . .. ذهبت أدراج الرياح.

- هل يمكن أن يكون عملًا متعمدًا؟

هزّت « ماري » رأسها:

- لا أرى سببًا لذلك. الأمر أقرب إلى فشلٍ ذريعٍ كبير.

عبست « ماري » وأردفت:

- وصدقني، هذا يحدث.

ذهب عبوسها:

- ولكن لدينا خبيرة حواسيب تتبّع كل شيء تبقّى في الأجهزة بخصوص تلك القضية القديمة. أظن بوجودكما أنتما الاثنين سنجد أنفسنا نمتلك تاريخًا شاملًا لها.

- حسنًا، إذا كان الأمر سيساعد، أعتقد أنني ربما أقدر على المشاركة في بعضٍ من أبحاثي القديمة. وكما قلت، كان أمرًا عالجته منذ سنين، ولذا فإنه ليس على حاسوبي المحمول، ولكن النسخة الورقية سيتعرض كل شيء.

مرّر الطبيب النفسي يده عبر شعره:

- لحسن الحظ فإن عملي وملاحظاتي بخصوص القضية لديّ في شقتي. لم يبق لديّ إلا بعض متعلقاتي الشخصية في نورثامبريا.

سأله «جاكمان»:

- هل تخطط للانتقال إلى هنا على نحوٍ دائم عندما تفتح وحدة الطب النفسي الجديدة؟

- أوه نعم. لقد حصلت على شاليه مخصوص في المنطقة. له طراز شمالي جدًا ومساحته كبيرة. ولكن حتى يبدأ عقدي استأجرت شقة في هانسون بارك.

- حسنٌ جدًا.

- تشبه ستيبفورد كثيرًا. أحب خصوصيتي، مساحتي الشخصية، ولكنه مكان مؤقت حتى ينتهي بيتي الجديد.

- هل أسرتك هناك في الشمال؟

- في الواقع لا.

قطب حاجبيه حزنًا:

- تُوفيت زوجتي العام الماضي، لذا لم يعد هناك شيءٌ يربطني بالمكان هناك.

قال «جاكمان»:

- تعازينا، ولكن رجاءً سامحني، ففضول الشرطي بداخلي سبق تفكيري.

رفع الهاتف وضغط على زر جناح الاحتجاز وتكلّم مع الرقيب:

- «كيندر» سيكون في غرفة التحقيق رقم 3 في خلال عشر دقائق.

وفيما كان « بريستون » و«ماري» يتحدثان عن المشروع الجديد في الوحدة المؤمّنة، سنحت لـ«جاكمان» فرصة إلقاء نظرةٍ أقرب على زميلهم الجديد. لم يأخذ وقتًا طويلًا قبل أن يدرك أن وجهه ليس الجزء الوحيد فيه المُعرّض للندوب. كانت هناك علامة قبيحة في خلف يده اليسرى.

ربما كانت حرقًا أو ربما جرحًا عولج بسوء.
تساءل « جاكمان » عن سبب عدم حصول « بريستون » على جراحة تجميلية، وخصوصًا في جانب وجهه. فالندبة بارزة ومجعّدة، ولم ير « جاكمان » بدًا من تركها هكذا. فالرجل يمتلك شقة في هانسون بارك وأصبح خبيرًا في مهنته لدرجة أنه تم استقدامه ليرأس وحدة طب نفسي جديدة، من غير المحتمل أن يعيش على الكفاف، وحتى لو كان الأمر كذلك فالإصابة دميمة لدرجة أن خدمة الصحة العامة ستتطوع لإزالتها من أجله، فلماذا يتركها إذًا؟

فكّر « جاكمان » في عدة نظريات داخل عقله. بعض النساء تجد الندبات جذّابة، يعتقدن أن الرجل الذي يمتلك ندبةً ما يتمتع بالفحولة والشدّة. نساء أخريات يعتقدن أن الندبة علامة على حساسية الرجل، وهذا قد يكون مثيرًا أيضًا. أم أن الأمر لا يترتبط على الإطلاق بانجذابٍ جنسي؟ هل يخشى « بريستون » مشرط الجرّاح؟ صديق والد «جاكمان»، جرّاح صدري بارز، كان يخشى العمليات الجراحية. كلّفه هذا الخوف حياته تقريبًا عندما كاد يتسبب تمددٌ في الأوعية الدموية في حدوث تمزّق. لذا، تُرى ما قصة بريستون؟ قال متأملًا ثم لمح ساعته وقال: « حسنًا، آن أن نذهب. السيد كيندر ينتظرنا » .

* * *

جلس « دانيل » هادئًا ينتظر تحقيقه القادم. الشخص الآخر الوحيد في الغرفة كان ضابط احتجاز صامت ذا بزةٍ رسمية. كان سعيدًا لأن المرأة لم يكن لديها ما تقوله له، لأنه كان يعاني من صداعٍ رهيب.

تحوّلت حياة «كيندر» في غضون أيامٍ إلى سلسلةٍ من التناقضات الفظيعة. كان في حاجةٍ ماسةٍ لأن يكون برفقة «سكاي»، ولكنه أرادها أن تبقى بعيدًا عنه أيضًا. أراد أن يكون آمنًا في منزل، ولكنه اشتاق إلى أقفال باب خزانته. اشتاق إلى النوم، ولكنه يخشاه بسبب الكوابيس المصاحبة له. أكثر ما كان يريده أن يعرف حقيقة نفسه. ولكن جزءًا آخر منه كان خائفًا من الاكتشاف.

امتلأت الغرفة بالناس.

راقب « دانيل » الشرطي الكبير يزيل شريط تسجيل من عبوته المغلقة ويضعه في المسجّل. ثم استمع إلى مفتش المباحث وهو يقدم نفسه ويدعو الآخرين لنفس الشيء.

- دانيل، هل لديك أي اعتراض على وجود البروفيسور «جاي بريستون » وحديثه معك أثناء هذا التحقيق؟ إنه خبيرٌ طبي.

نظر « دانيل » مباشرة إلى الرجل ذي الذقن وعرف على التوّ أي طب يمارس، ولكنه وجد أنه من الواجب أن يسأل على أي حال:

- ما تخصصك؟

أجاب مفتش المباحث:

- جاي « بريستون » طبيبٌ نفسي.

قال «بريستون»:

- وإذا كان يسعدك أن تتحدث إليّ فإني أعدك بأن أقول لك الحقيقة مهما كانت.

سأله « دانيل » بهدوء:

- هل لديك تخصص؟

- بالفعل، أنا طبيب نفسي شرعي واستشاري تحقيقات سلوكي. أعمل مع الشرطة في جرائم بعينها.

- مثل القتل؟

- وغيرها.

- جيد.

شعر « دانيل » بشيءٍ ما كراحةٍ تسري بداخله:

- إذا كنت تتعامل مع القتلة فستفهم أنني لا أكذب.

حدّق « بريستون » في « دانيل » بحرص:

- لقد عنيت ما قلته بشأن الحقيقة يا «دانيل»، هل أنت مستعد لذلك؟

- مستعد.

أغلق « دانيل » عينيه وشعر بحرقةٍ خلف جفنيه:

- أعتقد أنني ابن فرانسواز ثايبه. أعتقد أنني قتلت أليسون فليت، وأريد دليلًا على ذلك.

- أنا لست هنا لأثبت شيئًا، فهذا عمل المحققين، ولكنني سأستمع إليك وسأعطيهم رأيي المطّلع.

علم « دانيل » أن هذا أفضل ما قد يطلبه. ذكّره هذا الرجل بطبيبه النفسي في أثناء طفولته كل تلك الأعوام الماضية. كان من المخيف أن تعلم أنك من المحتمل أن تواجه شياطينك، ولكن كان مطمئنًا أيضًا أن تتمكن من التعبير عن مخاوفك وألّا تتعرض للسخرية.

ابتسم له الرجل فجأة، فتحوّل « دانيل » إلى صبي صغير مجددًا بمساحاتٍ شاغرة وفجواتٍ في حياته. فجوات أرعبته أكثر من أي بعبع أو مصّاص دماء.

- حسنًا يا «دانيل»، دعنا نشرع من البداية.

* * *

الفصل العاشر

ابتعد تشارلي باتون بمقعده بعيدًا عن حاسوبه

وفرك عينيه:

- ما رأيك في الطبيب النفسي يا ماكس؟

- عذرًا يا جميل، ولكنني أعاني من مشكلةٍ ممّن لديهم خلايا مخ أكثر من بِكسل شاشتي. لقد بحثت عنه للتو، وإنه أكاديمي من الدرجة الأولى. حصل على شهادات بعدد شعرات رأسه ونشر أبحاثًا في مجلات مهنية كبيرة أكثر من عدد المرات التي تناولت فيها غداءً ساخنًا.

نفخ «ماكس» خدّيه:

- غير أنه لو ساعدنا بخصوص « دانيل » السخيف سيكون حسنًا بالنسبة لي.

- سيكون رئيس الوحدة المؤمّنة الجديدة في فرامبتون . .. لا أريد أن أقضي حياتي كلها في مكانٍ كهذا مع صحبةٍ من المخابيل.

قهقه «ماكس»:

- قل ما تشاء واقض حياتك مع المحتالين والأوغاد.

أومأ «تشارلي»:

- نعم، ولكن أنت تعلم كيف يبدو الحال عندما تكون مع مجرمين، أليس كذلك؟ ولكن مع المخابيل لا منطق هناك، هل أنا مخطئ؟

- هناك منطقٌ، حسنًا؟

قطب «ماكس» وجهه وأردف:

- الأمر ملتوٍ فقط، إنه منطقهم الخاص، وكل شيءٍ يبدو مثاليًا بالنسبة لهم. ولهذا يمكنهم القيام بما يقومون به.

حرّك «ماكس» المؤشر على شاشة حاسوبه ثم عدّل جلسته، أخذ يحدّق في مستندٍ ما فتحه للتو.

- حسنًا، حسنًا!

- وجدت شيئًا؟

- لست متأكدًا، ولكنني أعمل على خلفية أليسون فليت، وقد علمت للتو أنها كانت متزوجة من ذي قبل، عندما كانت شابة. الغريب في الأمر أن زوجها لم يخبرنا، إنه أمرٌ كبير، أليس كذلك؟

- ربما لم تخبره مطلقًا. بعض الناس يخفون ماضيهم، وربما كان زواجًا فاشلًا.

- ليس من السهل أبدًا أن يتم كتمان هذا. في النهاية هناك شهادات وأمور مثل تلك هنا وهناك. غير أن الأمور واردة على ما أعتقد. ربما ينبغي عليّ أن أتتبع تاريخ زوج أليسون فليت الأول وأرى ما حدث لعلاقتهما.

- فكرة جيدة، وأنا أحاول تتبع القتيلة المجهولة، ولكن بدون طائل.

فكّر «ماكس» في الجسد المتعفّن في قبو الجعّة في دروفرز آرمز وارتعد. لسببٍ ما أراد بشدّة أن يكون لها اسمًا. أراد أن يرى صورة المرأة الحقيقية، تلك الفتاة الحيّة الرقيقة التي كانت عليها تقريبًا، لا تلك الفوضى المتفسّخة الفظيعة في قاع القبو. اسمٌ وصورة سيعطيانه صورة مناسبة للتركيز عليها، صورة تسمح للصورة الكابوسية الأخرى أن تتلاشى بعض الشيء. علم أنها لن تختفي بالكامل، ولكن وجهًا بشريًا، فتاة ذات اسمٍ مناسب، سيسهّل الأمر.

- استمر يا صديقي الصغير العنيد. من الضروري أن نعلم من كانت.

- الأقوال أسهل من الأفعال، ولكن معك حق. لا شكّ لدي في أن هناك شخصًا ما يكاد يقطّع شعره ليعرف مكانها.

عاد إلى شاشته وتمتم:

- حسنًا يا «باتون»، جرّب البحث عنها من زاويةٍ مختلفة. دعنا ننحّي تتبع المرأة جانبًا، وانظر إلى ملابسها.

رسم وجهه الشاب تعبيرًا صارمًا:

- لا تقلقي أيتها المجهولة، سنعرف اسمك الحقيقي . .. أعدك!

* * *

فتحت « سكاي » مصراع قفص القطة وطبطبت على رأسها الحريري، ثم أمسكت بالحيوان المرتاب ووضعته داخل القفص.

- عذرًا يا عزيزتي، ولكنني لا أستطيع أن أتركك هنا وحدك، وبما أنني لا أنتوي التنقّل فستأتين معي.

نظرت إلى حقيبة التسوّق المليئة بطعام الحيوانات الأليفة، وحليب قطط والحلوى وفراش القطة وصندوق مهملات.

- أشعر أن هذا الأمر سيعلّم كلانا شيئًا ما يا آستي.

لم يكن حلًا مثاليًا، فلم تكن متأكدة من أن القطة الصيّادة الصغيرة الناعمة ستتكيّف مع تحوّلها إلى قطة منزلية، ولكن الأمر كان يستحق التجربة. فكلما قل الوقت الذي تقضيه « سكاي » في بيت « دانيل » كان أفضل. لقد أخافتها ليلتها الأخيرة التي قضتها وحدها تمامًا. لم يتوقّف طرق الإعلاميين على بابها، وكان هناك الكثير من المكالمات الهاتفية المُجهّلة في ساعاتٍ مبكرةٍ من الصباح. استيقظت مبكرًا، وجمعت بزّاتها وملابسها ومستلزمات المرحاض، وأخذت طريقًا غير مباشر لتعود إلى شقتها.

كان آستي مشكلتها الوحيدة، ولكن بما أنها لم تعتقد أنها ستواجه الحشد الإعلامي المترصّد

على عتبة باب دانيل، فلا بد للقطة أيضًا أن تذهب إلى حضّانة للقطط أو أن تجرّب حظها كرفيق سكن في شقة « سكاي » الأرضية ذات غرفتي النوم.

ها هي ذا في مكان « دانيل » تأمل للمرة الأخيرة أن يعود إليها حبيبها الحنون المضطرب، أينما كان ذلك.

كانت قد أفرغت الثلّاجة من أي شيءٍ قد يتعفّن وتأكدت من أن جهاز الردّ الآلي مُعدّ. جابت « سكاي » أرجاء البيت لتتأكد من أن كل النوافذ والأبواب مغلقة.

- حسنًا أيتها القطة، هل أنتِ مستعدة لأول صورةٍ لكِ مع صحافة سالترن؟

أطلقت القطة عواءً مزعجًا.

- أعرف تمامًا كيف تشعرين يا آستي، ولكن دعنا ننتهي من هذا الأمر.

أعدّت « سكاي » نظام الإنذار وفتحت الباب.

كان المفترض أنها اعتادت على الأضواء اللامعة الآن، ولكنها زمجرت غاضبةً وأمسكت بمقبض القفص وسلكت طريقها إلى سيارتها. انهمرت عليها الأسئلة ودفع المراسلون الكاميرات ناحية وجهها، ولكنها ظلّت صامتة تتمنّى بداخلها لو داست على أحدهم أو اثنين منهم في طريقها.

كان أمرًا ساخرًا، فلطالما افتخرت بكون « دانيل » صحفيًا، ولكن ها هي الآن تنأى عنهم وكأنهم أسرابٌ من الناموس الحامل لوباء الملاريا.

نظرت سريعًا إلى مرآتها الخلفية وهي تنطلق نحو الطريق فيما كانت محبطة من عدم وجود جثثٍ متناثرة فوق الحصى. قالت للقطة: « لا تقلقي، سننال منهم المرة القادمة . .. والآن تمسّكي بعمود خربشتك فسنسلك طريقًا طويلًا في حالة ما إذا تبعنا أحدهم » .

أخذت الرحلة ضعف ما تأخذه من وقتٍ في العادة. انتابتها راحة كبيرة فور علمها بخلوّ موقف السيارات الذي قادت نحوه خلف شقتها.

كان تافرنير كورت أحد المباني الودودة القديمة ذات الطوب الأحمر وبلاط الأردواز الرماي الجميل، والذي كان في يومٍ من الأيام تابعًا للسكك الحديدية. حافظ المعماري على أكبر قدرٍ من صفاته الأصيلة متجنبًا أن يجعل المكان يبدو كحديقة توماس ذا تانك.

لم تكن أي من الشقق تضم أكثر من غرفتي نوم، ما يعني أنها كانت حديثة نسبيًا وليس فيها أطفال كثيرون، مما كان مناسبًا لـ«سكاي». الأمر ليس وكأنها لا تحب الأطفال، ولكن الأطفال الأشقياء في إجازتهم من المدرسة قد يعكّرون صفو نوبات عملها.

شعرت بموجة ارتياح فيما كانت تقود نحو نقطة سيارتها الخاصة. كم أحبت بيتها! شعرت بالسلام منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدامها البيت. شعرت بالأمان هناك، شيء لم تشعر به إطلاقًا منزل « دانيل » باهظ الثمن. كانت تصلّي من أجل جدتها كل يوم لأنها تركت لها المال الكافي لتأمين البيت. لم تكن وظيفتها وحدها لتؤمّن لها شراء بيتٍ في تافرنير كورت. لم يكن بيتًا كبيرًا، ولكنه كان ينطبق عليه وصف وكلاء العقارات بأنه « موقع مميز جدًا » .

عشّقت سيارتها وسارت نحو بابها الأمامي. فتحت الباب وحملت القطة إلى الداخل ثم أغلقت الباب بعد أن أدخلت كل حقائبها.

فتحت مصراع قفص القطة وقالت لآستي:

- مرحبًا في منزلك الجديد.

انطلقت آستي وهي تهزّ ذيلها بغضب.

- حسنًا، ما رأيك؟

تجوّلت القطة بفخر تشم الأثاث مبدئيًا. لم تبدُ سعيدة جدًا بتغيير مسكنها المفاجئ.

- صدقيني هذا البيت أفضل من منزل القطط. لو كنت مكانك لبدوت أكثر اهتمامًا بمكان إجازتك الجديد.

وضعت الصندوق البلاستيكي في مقابلة الحائط

في المدخل وفتحت كيس المخلفات وأفرغته بداخله.

- والآن، أهم الأشياء أولًا. اسمعي جيدًا لأنني سأوضح لكِ قواعد المنزل.

جعلت القطة في وضعٍ ثابت:

- الحقيقة هناك قاعدة واحدة . ..

نظرت ناحية صندوق المخلّفات وقالت:

- واضح يا صاحبة الفراء؟

رنّ هاتفها المحمول قبل أن تحصل على إجابة. قلقت « سكاي » فجأة. فقد وصلت إلى بيتها للتو وبعد أن شعرت بالانفصال عن كل مشكلاتها الأخيرة للحظة، ماذا الآن؟ نظرت إلى الشاشة:

- مرحبًا، الرقيب «إيفانز» . .. هل كل الأمور بخير؟

جاء صوت « ماري إيفانز» هادئًا:

- نعم، أطلعكِ فقط على المستجدات وأطمأن عليكِ . .. نعرف أن الإعلام يتصيّدك.

- لقد عدت إلى بيتي يا سيادة المحقق. كنت سأتصل بكِ وأعطيكِ هاتفي الأرضي. ولا أعتقد أنني سأهرب من الصحافة.

- سعيدة لسماعي هذا، لا بد أنكِ كنتِ مصابة

بارتيابٍ قديم جعلكِ بهذا الانتباه.

تردّدت الرقيب «إيفانز» ثم أكملت:

- لم تأتينا أخبار من تايلندا للأسف. البحث على «روبي كيندر» يشبه البحث عن إبرةٍ في كوم قش. يبدو أن الخريطة التي يستخدمونها لا فائدة تُرجى منها على الإطلاق.

- أنا قلقة حيال البيت. هناك أغراض جميلة به، وأخشى أن يحدث اقتحامٌ ما . .. أشعر بالمسؤولية.

- المشكلة ليست مشكلتك فعلًا يا «سكاي»، ولكنني سأتكد من أن رجالنا يهتمون به بما أن لا أحد هناك.

- هذا عظيم، أشكرك. كيف حال «دانيل»؟

- هذه نقطتي الثانية، إنه بخير . .. حسنًا، يبدو بخير حتى هذه اللحظة. أكثر راحة وقابلية للحديث معه.

- هل يمكنني رؤيته؟

- سيادة مفتش المباحث « جاكمان » يتساءل ما إذا كنتِ تستطيعين الحضور في وقتٍ مبكرٍ من هذه الليلة، في حوالي السادسة إذا كان مناسبًا. هناك بعض الأمور نود أن نناقشها معكِ، وهناك شخصٌ ما يريد مقابلتك. وبعد ذلك يمكنك مقابلة « دانيل » بعض الوقت.

ارتعبت «سكاي»، أدركت أن جزءًا منها كان يخشى مقابلة «دانيل»، يخشى أن يراه في قسم شرطة. كان وضعًا خاطئًا للغاية، فـ«دانيل» لا يمكن أن يكون قاتلًا. ورغم ذلك، عليها أن تراه. لم تكن تريد أن تراه فقط، بل كانت في حاجةٍ إلى ذلك.

- سأكون هناك يا سيادة الرقيب. ولكن من يريد مقابلتي؟

- رجل يُدعى «جاي بريستون». إنه طبيب يا «سكاي»، وقد تحدّث « دانيل » معه، وأعتقد بالفعل أنه يشكّل فرقًا.

أغلقت « سكاي » عينيها. طبيب نفسي! الخطوة التالية سيحقنون « دانيل » بمواد كيميائية ويحولونه إلى زومبي لا يفقه ولا يعقل.

- أعتقد أنكِ ستحبين البروفيسور « بريستون » يا «سكاي». إنه بارزٌ جدًا في مجاله، ويهتم بـ«دانيل» كثيرًا . .. أعدك بذلك.

- عندي سؤال . .. هل هو طبيبٌ نفسي؟

- لا، إنه أخصائي نفسي شرعي. هناك فرق كبير. وإنه ماهر . .. أؤكد لكِ على ذلك.

- حسنًا.

علمت « سكاي » أن « دانيل » بحاجة إلى مساعدة، وقد يكون ذلك الرجل استجابة لدعائها.

كانت « ماري إيفانز» محقة، فهناك فرق بين الاثنين. إذا تعرّف أخصائي نفسي جيد على مشكلات « دانيل » الحقيقية ربما يطرد شياطينه أخيراً وسيكون بإمكانه العودة إلى البيت.

- شكرًا، رقيب إيفانز . .. أراكِ في السادسة.

ما أن أغلقت « سكاي » هاتفها حتى رنّ على الفور.

- هل أصبحتِ في البيت؟

- أوه، ليزا . .. نعم وصلت منذ عدة دقائق. كنت أجهّز القطة فقط قبل أن أتصل بكِ.

- سأنهي عملي مبكرًا اليوم، لذا فكّرت في أن أتصل لأطمئن عليكِ قبل أن أذهب إلى البيت.

- أنا بخير. حسنًا، أنا خارج ذلك البيت الآن، انتابني فزع شديد الليلة الماضية.

تابعت « سكاي » آستي وهي تسير عبر رواقها وتتمسّح في ورقة أحد نباتاتها المنزلية.

- شكرًا لكِ على المساعدة . .. أقدّر هذا حقًا.

- لا شكر على واجب، أحب التنظيف بعدما مرّغ الرجال ذوي الأحذية الموحلة المكان النظيف. إنها هواية خاصة بي.

- على أي حال، عليكِ أن تخرجي أكثر.

ضحكت « سكاي » وأردفت:

- أو أن تمارسي فن الأوريجامي.

- يبدو أن حالت تحسنت.

- أنا ذاهبة لرؤية « دانيل » لاحقًا.

- آه، لهذا السبب. حسنًا، سأتركِكِ الآن، ولكن إذا احتجت شيئًا اتصلي بي، لديكِ رقمي.

توقفت «ليزا» ثم أضافت:

- حتى لو كان الوقت متأخرًا وأردتِ الحديث بعد رؤيتك لنصفك الآخر. أنا أحب السهر، لذا اتصلي بي في أي وقت.

- سأفعل، وشكرًا لكِ مجددًا على ما فعلتيه أمس. لقد أنقذتِ حياتي فعلًا.

ذهبت « سكاي » إلى المطبخ ووجدت مكانًا لتضع فيه طعام آستي وحاجياتها. نظرت إلى ساعة المطبخ، نسخة رثّة قديمة من ساعة الحائط الفرنسية الريفية، ورأت أن لديها متّسعًا من الوقت لتتسوّق قبل أن تذهب إلى قسم الشرطة. تساءلت ما إذا كان بإمكانها الخروج وترك القطة وحدها قبل أن تعتاد على المكان. نظرت عبر الباب إلى الرواق ورأت آستي ترقد ككرة صغيرة على أريكتها.

- هذا ذنبي على ما أعتقد. كان عليّ أن أخبرك

قواعد البيت بخصوص الحيوانات والأثاث.

حملت « سكاي » حقيبتها ومفاتيحها.

- ولكن بما أنكِ مرتاحة بوضوح، سأذهب فقط إلى التسوق، حسنًا؟

تثاءبت آستي فهزّت « سكاي » رأسها وتوجهت نحو متجر تيسكو.

الفصل الحادي عشر

قال «جاي بريستون » بعد التحقيق مع « دانيل » إنه سيذهب إلى البيت ويحاول العثور على بحثه القديم عن فرانسواز ثاييه وسيعود بالتأكيد للمقابلة مع صديقة «دانيل».

وجدت « ماري » نفسها وحيدة مع « جاكمان » في مكتبه. علمت أن رئيسها سيثيره الفضول بشأن صلتها ببريستون، فقرّرت أن ترحمه من معاناته. جلست على مقعد بقربه وابتسمت إليه بضجر:

- حسنًا، لن أجعلك تترجاني. سأبدأ إذا كنت مستعدًا.

عدّل « جاكمان » وضعه في مقعد نقيبه ونظر إليها متحفزًا.

- في يوم من الأيام، بعد تحقيق متعب مع المجرم الخطير تيرينس ماركوس أوستن، ازداد الطين

بلّة كما يقولون.

بدأت « ماري » تصف له ما حدث. كانت قد نُقلت إلى الغرفة الصغيرة المزدحمة حيث جلست مع ثلاثة آخرين ورجل اكتشفت لاحقًا أنه مريض نفسي خطير.

« جلس «جاي بريستون » مباشرةً أمام «أوستن»، الذي كان حينها لا يزال مجرد مشتبه به، وتأمّله. شعرت « ماري » بعدم ارتياح ولم تعرف السبب. بدت كل التحقيقات كسباق يريد أوستن أن يتفوق فيه على العالم النفسي. تمتم لنفسه بكلامٍ غير مفهوم وبدا وكأنه يتكلم ويستمع لأحدهم لا يعرفه إلا هو. ومهما داهنه « جاكمان » وتزلّف إليه كان أوستن لا يستجيب له. كان تيرينس أوستن أشبه بأحجية، أبعد ما يكون عن وصفه كمجرم. كان لمّاحًا وذكيًا وصاحب طلّةٍ وسيمة تجعله مناسبًا لإعلان شامبو للرجال. كان يبدو متطلعًا دائمًا لجلساته مع البرفيسور بريستون، غير أن « ماري » كانت تشعر بالحذر حينها » .

- ربما ينبغي أن نوقف هذا التحقيق يا دكتور.

وقف ضابطا الاحتجاز صامتين في آخر الغرفة، تنحنح أحدهم. فهمت « ماري » نحنحته على أنها موافقة على مقترحها، ولكن «جاي بريستون » هزّ رأسه ببطء وقال بصوتٍ هادئ:

- أنا متأكد من أن تيرينس يريد الحديث، ألست كذلك يا تيرينس؟

أخذ أوستن يميل إلى الأمام تارة وإلى الخلف أخرى، أصابع كلا يديه تتلامس وتشكل قوسًا . .. ولكن لم يقل شيئًا.

- حسنًا، حتى إذا قرّرت ألا تتكلم فإن لغة جسدك تخبرني بكل شيء أريد معرفته الآن.

بدأ « بريستون » يدوّن ملاحظات بخطٍ صغيرٍ ودقيقٍ جدًا.

- تصبح واضحًا جدًا عندما تتصرف على هذا النحو . .. سلوكٌ نمطي جدًا.

من الواضح أن الطبيب أراد أن يستفز أوستن، ولكن « ماري » لم تفهم السبب. هل يريد أن يخرجه من حالته التي كان عليها؟ هل يريد أن يعرف أوستن أنه تعب تمثيله؟ ظنّت أن الطبيب يعاني من موقفٍ خطير.

- آسف!

جاء الصوت ناعمًا مليئًا بالندم. صدم « ماري » التي كانت تعد نفسها لموجةٍ عارمة من الغضب.

وضع «أوستن» يديه برفق على الطاولة، اليد فوق الأخرى. طأطأ رأسه بعض الشيء، بدا وكأنه يصلي أو يطلب السماح.

ثم رأت « ماري » ومضةً في عينه.

تحوّلت الثواني القليلة التالية إلى ثورةٍ عارمة . .. تسارعت الأحداث في نوعٍ غريبٍ من الحركة البطيئة.

اندفعت يد أوستن فجأة والتقط قلم بريستون. وقبل أن يتحرك أي من الضباط الحاضرين طعن وجه الطبيب بالقلم بقوة. لم يتوقع « بريستون » الأمر فيما كان منشغلًا يكتب ملاحظاته. تحرّك شيئًا ما، الأمر الذي ربما أنقذ عينه، ولكنه لم يستطع فعل شيء لإيقاف القلم من الانغماس في بشرة خدّه الناعمة واختراقه عبر اللحم إلى خط فكّه.

صرخت « ماري » لضباطي الاحتجاز طالبةً المساعدة. ضرب أحدهما بقبضته على زر الإنذار المطاطي بينما ظلّ الآخر ثابتًا مكانه.

استغل أوستن تلك اللحظات الثمينة ليأخذ القلم ويغمسه في في يد « بريستون » اليسرى.

أطلق « بريستون » صرخة صدمة وألمٍ شديد، غير أن « ماري » رأت أن أوستن لم ينتهِ بعد. نزع القلم من يد « بريستون » النازفة وقرّر أن يطعن حلق العالم النفسي.

وفيما سحب «أوستن» ذراعه إلى الخلف مستعدًا للطعن، ألقت « ماري » بنفسها قرب الطاولة وأمسكت بمعصمه وضربته. أفقده ثقل جسمها

توازنه فانحرف القلم الذي ضرب ضلوعه. وفيما سقط الاثنان على الأرض تدخّل الضابطان وسقطا فوقهما ليضعا أوستن على بطنه ويسحبا ذراعيه خلف ظهره. تدحرجت « ماري » بعيدًا فيما طمأنها صوت شقاطات الأصفاد تنغلق في مكانها حول معصمي المعتدي.

- انتهى الأمر برمته في ثوانٍ معدودات.

نظرت « ماري » إلى « جاكمان » وهزّت رأسها:

- يُعاد داخل دماغي مرارًا وتكرارًا، وما زلت أتساءل لو كان بإمكاني أن أجنّبه من التعرض لتلك الإصابة الشديدة.

- يبدو أنه استفزّه ليهاجمه . .. لماذا قد يستفز أوستن؟

- من الواضح أنه إجراء نموذجي جدًا. يدفع الأخصائي النفسي الماهر الطرف الآخر إلى الحافة، وبنسبة 99.99% يعود منها بأمان بالنتيجة التي يرغب فيها الأخصائي.

- حسنًا، لم يفلح الأمر حينها، أليس كذلك؟ أوتقولين إنه ماهر؟

- إنه ماهرٌ بالفعل يا سيدي . .. عبقري. كما أنه لم يستسلم لأوستن. بالطبع لم ينخرط في الأمر مباشرةً بعدها، ولكنه عمل عن قرب مع خليفته وتأكد من الوصول إلى النتيجة السليمة. لم

يخطئ « بريستون » في حكمه على «أوستن» إلى مرةً واحدة، وربما كان هذا خطؤه المهني الوحيد على مدار مشواره، ولكن كاد يكلفه حياته. ولهذا لم يجرِ عملية جراحية أبدًا. يستغل تلك الندبات لتذكره بألا يسيء تقديره لمن يعمل معهم.

أومأ «جاكمان»:

- آه . .. لهذا السبب.

- ولم يلم «أوستن» على ما حدث، بل لام نفسه فقط.

- الأمر سيان، ولكن لو كنت مكانه لاهتممت بتلك الندبات، ولم أكن لأنسى شيئًا كهذا. لم أكن لأحتاج شيئًا ليذكرني.

توقف وهلة ثم أردف:

- هذا يشبه قليلًا ما حدث لـ«فريد كوكس»، أليس كذلك؟

- تمامًا، وهذا يثبت أنك لا تستطيع أن تخذل حارسك لثانيةٍ واحدة.

تذكرت « ماري » حادثة «جاكمان». أصيب محقق أثناء تحقيق عندما حطّم المتهم كوبه على الطاولة وغرس إحدى كسراته في وجه المحقق. لحسن الحظ أن المحقق كوكس كان رد فعله سريعًا ووقى نفسه بيديه، ورغم ذلك كان بحاجةٍ إلى جراحة وأكثر من ثلاثين خياطة وشهر

إجازة.

- ولكن لم يكن هذا الأمر ليحدث إذا لم يعطِ غبيٌّ ما السجين قهوته في أحد أكواب المطعم. عادةً ما يحصل الأشرار على أكوابٍ من الفوم أو البلاستيك.

- لم يكن أحدهم ليتوقع ما فعله أوستن لبريستون. فحتى تلك اللحظة كان أوستن لا يظهر أي رد فعل، وأحيانًا كان يبدو خفيف الظل. أغلب أعضاء الفريق، باستثناء «جاي بريستون » الذي صدّق من اللحظة الأولى أن «أوستن» هو القاتل، كانوا متأكدين من أننا قبضنا على الشخص الخطأ. لم يكن المشتبه به الوحيد، ولم يبد في البداية قاتلًا على الأقل.

- وبعدها؟ كيف تعامل « بريستون » مع تجنيبك اختراق حلقه؟

شعرت « ماري » بعدم راحةٍ يعتريها:

- أتريد الحقيقة؟ كان غريبًا. عرف أنه ربما كان ليُقتل، وتأثّر بشدة على ما أعتقد.

قطبت حاجبيها:

- ولكن الأمر كان صعبًا عليّ أنا. اعترف «أوستن» بأنه كان يتعمّد اختراق شريانه السباتي وأنه يعرف أين مكانه بالضبط، ولذا كانت نيته القتل. ولذا أعتقد أن تصرفي أنقذ

حياة بريستون، ولكن لسببٍ ما لا أعلمه شعرت بالاستياء حيال عرفان « بريستون » بالجميل على نحوٍ طفولي. شعرت بمسؤولية كبيرة بأنني ينبغي أن أصبح لطيفة معه . .. كان وقتًا عصيبًا.

- سمعت هذا من قبل. توقعتِ أن يكون الأمر من ناحيته هو، ولكن لا يحدث هذا عادةً، أليس كذلك؟ أعتقد أن الأمر نابعٌ من حقيقة أنكِ أنقذتِ حياة شخصٍ ما، ولذا تشعرين بمسؤولية الاستمرار في الحفاظ عليها.

أراح ظهره ونظر متأملًا:

- هل سبّب هذا أي مشكلات؟

تنهّدت «ماري»:

- كان يتسبّب بالفعل لو لم يكن زوجي متفهمًا. بدا «جاي» راغبًا في الحديث عمّا وقع، ومن الطبيعي أن يتحدث معي. تشكّلت بيننا علاقةٌ ما، سواء كنت أحب ذلك أم لا، ولكن الناس كانوا يتكلمون.

رفعت حاجبيها:

- تعرف كيف يحب الشرطيون النميمة.

- بالفعل، غريبٌ أنكِ لم تتعرضين للأذى.

- أوه، حدث ذلك مرة أو مرتين، صدقني.

- وماذا حدث لاحقًا؟ أين ذهب «بريستون»؟

- انشغل في قضيةٍ أخرى. كانت وزارة الداخلية تشكّل مجموعة عمل لدراسة إمكانات تحليل وتشخيص السمات النفسية في الجرائم الخطيرة. عرضوا عليه منحة بحثية لعامين. انتقل، ولكني لم أتضايق من قراره. آخر ما سمعته أنه كان في الشمال يعمل كاستشاري في وحدةٍ متخصصة تقدم الدعم النفسي الشعري للجرائم الخطيرة. لم أكن أعرف أنه كان متزوجًا حتى، ثم فقد زوجته.

مال رأس « جاكمان » شيئًا ما إلى جانبٍ واحد:

- باعتبار ما قلتيه الآن، هل سيكون من الصعب عليكِ أن تعملي معه مجددًا؟

ابتسمت « ماري » ابتسامة عريضة وهزّت رأسها:

- بالطبع لا يا سيدي. لقد صُدمت لرؤيته مرة أخرى، ولكن كل هذا كان منذ سنين . .. أمرٌ قديم. إنه رجلٌ عظيم، ولا شك لديّ في خبرته.

اكتسى وجهها بالجد وأضافت:

- لا تأخذ تلك السقطة عليه يا سيدي . .. إنه أفضل ما يمكننا الحصول عليه. سوف يصل إلى سبب وجود « دانيل كيندر » هنا، وسيكشف حقيقة كونه قاتلًا أم لا . .. أنا متأكدة تمامًا.

أراح « جاكمان » ظهره وتمدّد:

- لذا فإن مقابلة الليلة ستكون مثيرة.

نظر إلى ساعته وقال:

- متى طلبنا من « سكاي وينيارد» الحضور؟

- في السادسة يا سيدي. ربما نحضر شيئًا لنأكله قبل أن تبدأ الجلسة المسائية.

وافق «جاكمان»:

- اذهبي لتري ماذا يفعل «ماكس» و«تشارلي»، وإذا كانوا ينتوون البقاء لمدةٍ أطول اجعليهم يحضرون الطعام لأربعتنا، حسنًا؟

أخرج محفظته وأعطاها ثلاثين جنيهًا وقال مترجيًا:

- وإذا أحضروا شيئًا آخر بخلاف البيتزا سأكون شاكرًا إلى الأبد.

أخذت « ماري » المال وأومأت:

- سأخبرهم بذلك يا زعيم . .. بالمناسبة يا سيدي، هل ستخبر «كيندر» بالقتيلة الثانية؟

عبس وجهه:

- حسب الظروف.

وفيما كانت « ماري » تقترب من مكتبها رنّ

الهاتف من خطٍ داخلي، رفعت السماعة وعرّفت نفسها ثم ردّ الطرف الآخر:

- رأيت أن أتصل بكِ مباشرةً يا سيادة الرقيب بدلًا من أن أتصل بـ«جاكمان» وأتعرض للإهانة . .. كالعادة.

جاء صوت «أوراك» جافًا عبر جهاز الاستقبال:

- لديّ بعض المعلومات التي قد تجدينها مثيرة . .. هل أنتِ متاحة لعشر دقائق؟

- بالطبع، سآتي إليكِ حالًا.

* * *

لم يكن يضيء مملكة أوراك تحت الأرض إلا ضوء شاشات العرض. كانت تجلس في مكانها المعتاد، تمعن النظر في واحدة من الشاشات المضيئة. لم تكن « ماري » متأكدة مما تراه. بدا وكأنه كومة متحركة من الأعداد والرموز.

- هذه مصفوفة . .. وليس لها علاقة بفيلم المصفوفة (ماتريكس).

التفتت أوراك إلى « ماري » وابتسمت:

- هل تعرفين أي شيءٍ عن المجموعات الخطية للحالات الكمومية؟

ابتسمت « ماري » وقالت:

- ياه! موضوعي المفضل . .. كيف عرفتي هذا؟

اتسعت ابتسامة «أوراك» أكثر:

- إنني أدرس الصور الحاسوبية المتقدمة، كما أننا نستخدم المصفوفات لعرض صورة ثلاثية الأبعاد على شاشةٍ ثنائية الأبعاد، مما يعطينا شكلًا واقعيًا للحركة.

أشارت ناحية الشاشة وقالت:

- مشكلة هذا الأمر أنه كالمخدرات، كلما تعلمتِ زادت رغبتك في الفهم. والآن أنا أميل إلى الجبر الخطي العددي.

لم تجد « ماري » ما تقوله، فاستدارت «أوراك» ناحية مكتبها والتقطت مستندًا ضخمًا:

- هذا كل شيء استطعت العثور عليه بدون أن أخرق القانون كثيراً. ولحسن حظي، حصلت على كمية لا بأس منها كانت ترقد في ملفاتٍ قديمة. كما أنني أحاول عزل مواقع النقل المحتملة لصناديق الأدلة و . . ..

أعطت « ماري » ورقةً بها اسم ورقم:

- أعتقد أن هذه أفضل إجابة.

- بيتر هودر؟

- إنه مفتش المباحث الذي قاد التحقيق في قضية مقتل آل هاينز. تقاعد منذ زمن طويل ومن

المفترض أن ساعته البيولوجية توقفت منذ عقدٍ مضى، ولكنني أعتقد أنه يتخفّى. لقد تحدثت معه وانفتح تمامًا. إذا كنتِ تريدين أن تعرفي أكثر عن فرانسواز ثابيه أقترح عليكِ أن تأخذي مشوارًا صغيرًا إلى روتلاند وتقابلي بيتر هودر.

أعطت « ماري » المستند:

- إنه رجلٌ كبير لطيف حقًا وقد تأثّر بشدة بثابيه. كانت قضيته الأخيرة، وتقريبًا سمعت أسنانه تجزّ عندما ذكرت اسمها.

غمزت «أوراك» بعينيها الغريبتين:

- ولكن بغض النظر، فإنه يريد التحدث معكِ.

- شكرًا على ذلك، كامل تقديري لكِ.

نظرت إلى شاشة العرض المعقّدة وأضافت:

- يُستحسن أن أتركِكِ لمسائل الجبر خاصتك.

غيّرت «أوراك» اتجاه مقعدها ناحية شاشتها:

- سمعت أن لديكم قتيلة مجهولة في المشرحة! هل حالفكم الحظ في تتبّع هويتها؟

- حالتها ليست مناسبة لنشر الصور، ليس إذا أردنا أن نسبب كوابيس لنصف الناس.

- إذا سمحتي لي بالحصول على صورٍ تشريحية للرأس والمقاييس الصحيحة للجمجمةٍ وأي

تفاصيل مؤكدة عن حجمها ولونها وما إلى ذلك، فأنا أشغّل نسخة جديدة من (بوكا).

- ينبغي أن أعرف عمّا تتحدثين.

- برنامج وصف الوجه وكشف الهوية (بوكا). إنه من تصميمي الخاص، برنامج ينقل إعادة تكوين الوجه وفق الطب الشرعي إلى مستوى مختلف تمامًا. إنه مزيج من الطب الشرعي والأنثروبولوجيا وعلم العظام والتشريح. سيهتم رئيسك بهذا بناءً على خلفيته الأكاديمية، هذا إن سنح له الوقت بالنزول إلى هنا.

- متأكدة أنه سيفعل. ولكن هل يمكنك فعلًا أن تعطينا فكرة عن شكلها؟

- بسيطة، أحضري لي تلك البيانات وستحصلين على شكلها . .. هل تريدين صورة ثنائية أو ثلاثية الأبعاد؟

- أيًا ما تريه أفضل. سأحصل على تلك البيانات فور بدء عمل إدارة الطب الشرعي غدًا.

- إذا اتصلتِ بهم الآن ربما تكونَ هناك فرصة لتحصلي عليها الليلة. أعتقد أنكِ ستجدين ذلك المريب «جاكوبس» واثنين من مساعديه ربما يعملون لوقتٍ متأخرٍ من الليل.

- كيف تعرفين هذا؟

رسمت «أوراك» نصف ابتسامةٍ شريرة:

- ليس من الصعب أن أخترق نظام كاميرا الأمن عند المشرحة ومعامل الطب الشرعي. كنت قد فحصت موقف السيارات قبل وصولك مباشرةً فيما كان «جاكوبس» وجماعته الصغيرة يعملون بجد.

- حسنًا.

بدأت « ماري » تحيك سيناريوهات خيالية عن كون أوراك « الأخ الكبير » . أخرجت هاتفها من جيبها:

- سأطلب البيانات مباشرةً على أي حال.

كانت «أوراك» محقة. وللمفاجأة، قال أخصائي الأمراض الذي ردّ على الهاتف إنه يستطيع الحصول على البيانات بسهولة وإرسالها عبر البريد مباشرةً إلى «أوراك».

- أحسنتي . ..

قالت « ماري » بتقدير لساحرة تكنولوجيا المعلومات وأردفت:

- لا شيء يحدث بسهولة هكذا دائمًا.

- يحدث عندما تعرفين مكان كل شخصٍ آخر.

- أفهمك . .. حسنًا، شكرًا مجددًا. هذه مساعدة عظيمة حقًا.

- العفو، وسأرسل لكِ الصورة المُعاد تجميعها لقتيلتكِ المجهولة فور حصولي عليها.

أدارت «أوراك» وجهها سريعًا وتركزت عيناها على شاشة عليها أشكالٌ متحركة وقال:

- تعالي في أي وقت.

توقفت « ماري » خارج الباب المغلق وأخذت نفسًا عميقًا. «أوراك» تتعامل بلطف؟ والأدهى من ذلك، «أوراك» تتعامل بلطف وودّ وتقدم يد العون؟

هزّت « ماري » رأسها في تعجّب وأخذت طريقها نحو المصعد واضعة المستند الثقيل تحت ذراعها بإحكام.

الفصل الثاني عشر

- تقرير الطب الشرعي المبدئي وصل يا زعيمة.

قال «تشارلي» فور دخول « ماري » إلى غرفة التحقيقات وأضاف:

- وهي على مكتب سيادة مفتش المباحث الآن.

- عظيم، وأنا لدي كم هائل من المعلومات عن قضية مقتل آل هاينز، ومعلومات أولية عن المفتش المتقاعد الذي ألقى القبض على فرانسواز ثابيه.

- أين وصلنا في العد التنازلي لاحتجاز «كيندر»؟

- معنا وقت حتى العاشرة مساء اليوم، إما نوجه له الاتهام أو نفرج عنه. الاحتمالان واردان، فدعنا نأمل في أن يساعدنا الطب الشرعي.

كشّر «ماكس»:

- أراهن على أنهم سيجدون شيئًا يربط داني المخبول بالقتيلة المجهولة، هل من مراهن؟

انتظر قليلًا ثم قال:

- لا أحد إذاً.

داخل مكتب « جاكمان » اكتشفت « ماري » أنها كانت محقة في عدم قبول رهان «ماكس».

- كنت سأحصل على مساعدةٍ أكبر من قارئة فنجان.

ألقى « جاكمان » تقرير الطب الشرعي على المكتب وقال:

- القتيلة المجهولة . .. لا حمض نووي، ولا دماء غير دمائها، ولا ندبات، ولا وحمات أو وشوم، ولا بصمات تشير إلى أي شيءٍ في نظامنا الحاسوبي. بارقة الأمل الوحيدة جاءت من مهارة «جاكوبس» البارعة في تحديد وقت الوفاة. إنه متيقّن من خلال درجات الحرارة المتغيرة في ذلك القبو وحالة تفسّخ الجثة مع رأي استشاري

الحشرات الشرعي من أنها ماتت منذ حوالي واحد وعشرين يومًا.

- حسنًا، هذه بداية، أليس كذلك؟ ولا تتعب نفسك كثيرًا في التعرف عليها . .. لأنني أحمل لك أخبارًا سعيدة جدًا.

أخبرته « ماري » عن «أوراك» فيما راقبت وجهه يتحوّل من نوبة غضب إلى انفراجة أمل.

- «أوراك»؟ هل نتحدث عن نفس الشخص؟

- وهل هناك أكثر من أوراك واحدة؟

سألته « ماري » بعينين واسعتين.

- بالتأكيد، إذا كانت «أوراك» التي تحدثتي إليها تعرض المساعدة. فهذا ليس من ديدن أوراك. ربما هناك أوراكان . .. ربما لديها توأمٌ شرير.

- دعنا لا نفقد الأمل، حسنًا؟ نحن بحاجة ماسةٍ إلى صورة القتيلة المجهولة. سيدي . ..

نظرت إليه بنصحٍ وعتاب:

- لن يضيرك أن تنزل وتشكرها إذا تمكننا من التعرف على القتيلة.

راوغ «جاكمان»:

- امممم . .. حسنًا، دعينا نرى ما ستجلبه أولًا.

وضعت « ماري » ملفات «أوراك» على المكتب:

- جلبت كل هذا بالفعل بخصوص قضية مقتل آل هاينز، واتصلت بمفتش المباحث الذي ألقى القبض على القاتل.

- أنتِ تخيفينني الآن! تُرى ماذا تريد «أوراك» في رأيك؟

فكّرت « ماري » بعمق وكانت الإجابة « جاكمان » ، فقالت:

- دعك من هذا، ولكن لدينا الكثير من الأشياء المفيدة هنا. أقترح بعد الحديث مع « سكاي » و«دانيل» أن أبدأ مع الشباب في العمل على هذه الكومة الصغيرة. ربما على الأقل نحصل على شيءٍ ما ملموس بشأن فرانسواز ثابيه وابنها بالولادة.

أومأ «جاكمان»:

- موافق . .. والآن دعينا نذهب لنأكل قبل أن تصل الآنسة «وينيارد».

* * *

حاول « جاكمان » أن يهدئ الجو . .. وقد نجح، حتى سألها عن المدة التي قضتها رفقة « دانيل » في أيامٍ بعينها منذ ثلاثة أسابيع.

- حدث شيءٌ آخر، أليس كذلك؟

انكسرت تعابيرها:

- أوه، لا!

أومأت « ماري » ببطء وقالت:

- الأمر لم يصل إلى الصحافة بعد، ونتمنى منكِ أن تبقيه سراً . .. عثرنا على جثةٍ أخرى.

- وهل تشكّون في «دانيل»؟ هذا يعني أنكم تأخذون هذا السيناريو السخيف بجدية؟

ثم همست:

- ظننت أنكم فهمتم الأمر.

قال « جاكمان » بصوتٍ عقلاني:

- علينا أن نأخذ ما يقوله « دانيل » بجدية يا «سكاي». ماذا لو تجاهلنا اعترافه ثم اكتشفنا أنه كان يقول الحقيقة؟ كما أن « دانيل » لا يعرف الكثير عن أليسون فليت.

- غير متفاجئة . .. فلقد قضى العشر سنين الأخيرة من حياته يدرس جرائم القتل.

ثم تنهدت وقالت:

- أظن أن والدته تعرف أليسون فليت. لن أكون متفاجئة إذا لم يزر « دانيل » بيت آل فليت مع روبي كيندر يومًا ما. كلتاهما كانا منخرطين في أعمالٍ خيرية.

وقف «جاكمان»:

- لم تقولي هذا من قبل!

- كان هناك الكثير . .. لم أفكر في هذا أبدًا. كل ما في الأمر أنني عندما كنت أنظف المنزل بعد رحيل الشرطيين وفيما كنت ألمّع بعض إطارات الصور رأيت صورة لوالدة « دانيل » وأبيه في مزادٍ خيري وكانت أليسون فليت وزوجها في نفس الطاولة.

تنهّدت «ماري»:

- إذاً هناك علاقة بينهما.

أضاف «جاكمان»:

- ولكن الأمر سلاح ذو حدين، أليس كذلك؟ إن فكرة أن كليهما كانا يعرفان بعضًا تشير إلى أن « دانيل » لديه دافعٌ لإيذائها، وقد يكون هذا تفسيرًا بسيطًا لمعرفته بمنزل بيريلاندز.

تحدّث أخيراً «جاي بريستون » الذي كان يستمع بإنصات:

- دعونا نعود إلى مكان تواجد « دانيل » عندما ماتت المرأة الأخرى.

ابتسم لـ«سكاي» برقةٍ وقال:

- هل كنتِ رفقة « دانيل » في ذلك الوقت؟

مالت « سكاي » إلى الأمام والتقطت حقيبتها اليدوية من الأرض. أخرجت مذكرة صغيرة وأخذت تقلّب الصفحات، ثم تدلّى كتفاها:

- لا، بل كنت في جامعة شيفيلد هالام حينها. كانت هناك ورشة عمل لثلاثة أيام. بقيت هناك رفقة صديقة مدرسية قديمة تعمل في الجامعة.

أغلقت مذكرتها فيما شاهد « جاكمان » عينيها تغرورق بالدموع:

- هل يعرف « دانيل » عن الوفاة الأخرى؟

- ليس بعد، ولكن يجب أن نخبره لنعرف أين كان قبل أن ينتهي وقت احتجازنا إياه.

قالت « سكاي » بصوتٍ مهزوز:

- كان في البيت لوحده، أو في مكتبه يعمل . .. اتصلت به عدة مرات. يمكنكم أن تفحصوا سجل هاتفي إذا لزم الأمر.

- هذا لا يثبت شيئًا للأسف . .. ربما كان في مكانٍ آخر حينها.

- اتصلت بهاتف المنزل الأرضي أحيانًا . .. أنا متأكدة.

فكّر «جاكمان»: « تلك الغلبانة . .. تتمسّك بقشة! »

جلس « بريستون » أمامها وقال:

- «سكاي»، أنا مهتم جدًا بما يسميه « دانيل » « ثغراته ». .. هل رأيتِ « دانيل » يعاني من واحدة من تلك الثغرات في ذاكرته؟

- نعم، رغم أنها عادةً ما تحدث عندما يكون وحيدًا. يذهب إلى مكانٍ ما ولا يتذكّر أين كان. عندما تكون بجواره حينها سيبدو لك أنه في مكانٍ بعيد، وكأنه في حلم لمدةٍ قصيرة. لا يستمر الأمر طويلًا، ولكنه مزعج، صدقني!

- أصدقك، وقد رأيت هذا من قبل. وما لم أكن مخطئًا، فإن هذا لا يُعد فقدانًا للذاكرة.

استمع « جاكمان » بإنصات وسأل:

- ماذا إذًا؟

- إنها حالة اضطراب تُعرف باسم « الشرود الفصامي » . يقرّر المريض حينها أن يسافر إلى مكانٍ بعيد عن مكان تواجده، ثم لا يستطيع أن

يتذكر أي شيءٍ عنه.

- وما السبب في ذلك؟

- التوتر الشديد . .. غير أن هناك بعض الأسباب الطبية مثل الصرع أو النوبات الجزئية المعقّدة أو الإدمان، ولكنها حالات نادرة. الأمر يتعلق بالتوتر عامةً.

سألت «سكاي»:

- هل يمكنك علاج ذلك الشرود يا بروفيسور بريستون؟

- يمكن للعلاج النفسي أو التنويم المغناطيسي أن يكون نافعًا، ولكن ينبغي على المعالج النفسي أن يستبعد وجود أسبابٍ طبية قبل أن يبدأ علاجه.

قالت ببطء:

- هناك أمرٌ آخر يجب أن تعرفه . .. « دانيل » لا يتذكر شيئًا عن حياته قبل الخامسة عشرة . .. طفولته الباكرة مختفية تمامًا.

عمّ الصمت الأرجاء. سأل «جاي بريستون»:

- هل تعرفين السبب؟

- تقول والدته إنه تعرض لحادث. من الواضح أنه سقط من أرجوحةٍ ما وتلقّى إصابة في رأسه.

نظرت إلى الطبيب وأضافت:

- تقول والدته إن « ثغراته » نتجت عن هذا الأمر تقريبًا.

أخذ « بريستون » نفسًا عميقًا:

- ربما، أفترض هذا، إذا كانت الإصابة شديدة. ولكنني غير مقتنع بأن السقوط من أرجوحة أطفال قد يسبب شرودًا . .. الشرود مرتبطٌ بالتوتر أكثر.

سأل «جاكمان»:

- وهل يقتل؟ أقصد أثناء تلك النوبات؟

- لوحظ أن بعض الناس يعطون أنفسهم هويات جديدة أثناء تلك النوبات، ولذا إجابتي أنه من الممكن فعلًا.

قضم «جاي» شفته وأضاف:

- إذا كان « دانيل » يعاني من اضطرابٍ عقلي، ربما يكون هناك انهيارٌ جزئي أو كلي فٍي تحكمه بأفكاره ومشاعره وسلوكه. ربما يكون لديه في هويته « الأخرى » مجموعة مبادئ مختلفة تمامًا عن « دانيل كيندر » الذين تعرفونه.

سألت «ماري»:

- انفصال في الشخصية.

- لا، فتعدد الشخصيات مختلف بعض الشيء. أما حالة الشرود رد فعل على التوتر الشديد.

سأل «جاكمان»:

- وإذا كنت تستطيع تخفيف ذلك التوتر؟

- ستبدّد نوبات الشرود تمامًا.

دمدمت «ماري»:

- وهو ما يعيدنا إلى فرانسواز ثابيه وحقيقة أن محتجزنا يعتقد أنه ابن القاتلة.

أومأ «جاي»:

- أتفق، لماذا إذًا لا نستبعد هذه المشكلة البسيطة؟

- ها؟

أطلقت « سكاي » ضحكةً حادة غير هزلية وقالت:

- لطالما حاولت هذا لشهور . .. وكذلك « دانيل » لسنين! الأمر ليس بهذه البساطة.

مدّت « ماري » يدها وتحسست ذراع «سكاي»:

- مهلًا، اسمعي . .. لدينا طرقنا. لدينا نظام دعم تكنولوجي تحت تصرفنا، ولسوف نستخدمه. نريد تلك الإجابات بقدر ما تريديها أنتِ ودانيل، لأنه إن لم يكن القاتل فهو شخصٌ آخر يحاول

الهرب بفعلته.

تدخّل «جاكمان»:

- بالطبع . .. والآن، سنتحدث مع «دانيل». لسنا متأكدين من اتهامه أو إطلاق سراحه، ولكن على أي حال نريده أن يتعاون وأن يعمل عن قرب مع البروفيسور « بريستون » هنا. نريدك هناك أيضًا طالما أن « دانيل » موافق، هلا فعلتي ذلك؟

لم تتردّد «سكاي»:

- بالطبع.

- حسنًا، سأذهب أنا والرقيب لنتحدث معه، ثم ستأتين لتريه بعض الوقت.

وقف « جاكمان » وأضاف:

- لن تكونا وحدكما بالطبع . .. أنا متأكد من أنكِ تفهمين ذلك.

أومأت « سكاي » ببساطة:

- شكرًا لك.

* * *

الفصل الثالث عشر

- منظرٌ جميل، أليس كذلك؟

حدّق «كيفن ستونر» على نحوٍ مكفهرٍ خارج نافذة

السيارة في البيت الضخم:

- أعتقد ذلك . .. إذا كنت تحب هذه الأشياء.

لعق «زين برويت» شفتيه:

- أوه، ابتهج قليلًا يا صديقي الصغير. بالتأكيد تريد بيتًا فاخرًا مثل هذا. لم أرَ الطابق العلوي كله عندما كنّا هنا مع ضباط مسرح الجريمة، ولكن أراهن أن هناك سريرًا مائيًا كبير الحجم ومرايا في كل أنحاء غرفة النوم الرئيسية. كنت قد رأيت من قبل الكابينة الخشبية ذات حوض الاستحمام الساخن في الحديقة الخلفية، وغرفة ألعاب مفيدة جدًا، وحانة مجهزةً تمامًا بكل شيء.

دفع «كيفن» بكوعه برفق وقال:

- فكّر إذا ما تمكنت أنت وبعض أصدقائك الصغيرين الجميلين من دخول مكانٍ كهذا.

ظلّت عينا كيفن على بيت كيندر، وحاول أن يتظاهر بأنه وحيدًا في السيارة.

قال «برويت»:

- أوه، حسنًا، حتى إذا عطب خيالك، فإن خيالي سليم. والآن، أتخيل امرأةً مثيرةً للغاية تخلع ملابسها في حوض الاستحمام ذلك.

- اخرس يا «برويت»، لقد سئمت من الاستماع إلى ألفاظك السيئة، أرحني قليلًا، هل يمكنك هذا؟

أراح «كيفن» ظهره في مقعده وعضّ على أسنانه.

استدار «برويت» ليواجهه:

- أوه! كم أنت حساس! ولكن من الأفضل أن تحذر يا « ماري » جين! بدأت تضايقني حقًا بسلوكك المهذب هذا. وسأحصل على دليلٍ دامغ لأثبت أنك لست أكثر من مجرد منافق. أتلومني لأنني ذكرت امرأةً عارية فيما تقوم أنت بمضاجعة الآخرين؟ كيف يصح هذا؟

- ولكني لا أرى أن الجنس هو كل شيء يا «زين». لست مثلك! إنه مجرد جزء صغير من حياتي، وللأسف الشديد كنت أنت الوحيد الذي يعرف عني هذا.

- مغتاظٌ أنت، ألست كذلك؟

علم «كيفن» أنه لن يقوى على هذا. لو كان الأمر بينه وبين «زين» فقط لكان تغلّب على ذلك اللعين. كان سيخبر أبيه بأنه يتعرّض للابتزاز نظرًا لشذوذه الجنسي ثم يقلب الطاولة على برويت ويحكي عن كل القاذورات التي تورّط فيها ذلك الشرطي. ولكن بما أن برويت كان يهدد ابنة أخيه، صوفي، فإن الأمر يتعدى كونه مجرد مخاطرة. علم «كيفن» أن أغلب البلطجية جبناء، ولكنه شعر أن «برويت» سينفذ تهديده حتمًا، ومن المستحيل أن يعرّض كيفن صوفي أو أسرته لأي

ضرر. لا بد من حلٍ آخر.

فيما كان كيفن يقود السيارة ببطء في شارعٍ تصطف فيه الأشجار حاول التفكير قليلًا. أخذ السيارة إلى طريق النهر وشعر بأن عضلات رقبته المشدودة بدأت ترتخي. ربما قد حان الوقت ليتوقف عن التفكير كابن الأسقف. سيظهر وجهًا مغايرًا تمامًا، فـ«زين برويت» يستحق معاملةً مختلفةً تمام الاختلاف.

وفي الوقت الذي عادا فيه إلى قسم الشرطة، كانت خطةٌ بسيطةٌ تشكلت في رأسه، ولأول مرةٍ منذ شهور بالكاد شعر الشرطي كيفن ستونر بالسعادة.

* * *

جاء مدني يحمل ظرفًا بني اللون سلّمه لـ«جاكمان» قبل دخوله إلى غرفة التحقيقات وقال:

- وصل هذا للتو يا سيدي من مكتب أخصائي الأمراض بوزارة الداخلية.

كسر « جاكمان » الختم وتفحّص تقرير السميّة سريعًا. كانت هناك ملحوظة مرفقة مع التقرير مكتوب عليها « مثير! » وتحمل توقيع «جاكوبس».

- ما هذا بحق الجحيم؟!

نظرت « ماري » إليه ومال رأسها فيما قال «جاكمان»:

- أليسون فليت كانت تتعاطى كمية مهولة من المواد الإكستاسية تكفي لإسعاد نصف سكّان البلد.

بدت « ماري » مرتبكة:

- مضادات الاكتئاب! ولكن، ألم يقل بروس فيلت إنها لم تكن تتعاطى أي أدوية؟

- حسنًا، لقد قال حينها « على حد علمي » ، وهو أمر مختلف. ولكن على أي حال، هذا غريب. لطالما ظننت أن حيويتها الزائدة عن الحد أمرًا طبيعيًا. ربما كانت حينها تتعاطى كميةً كبيرة كتلك.

- ربما علينا أن نتحدث مع طبيبها المعالج.

- انهي حالًا وكلّفي إما ماكس أو تشارلي بالبحث فورًا.

أعطاها التقرير وقال:

- لا يتعاطى أحدهم هذا النوع من العلاج بدون سبب معقول.

- ربما يتعلق الأمر بزوجها الأول، الرجل الذي لم يعرف عنه بروس فليت أي شيء.

- لا يعرف أم لا يريد أن يتكلم عنه؟ أظن أننا

يجب أن نتكلم من جديد مع السيد فليت. لا أظن أنه كان يجهل كل هذا عن زوجته المحبة، أليس كذلك؟

- دعنا ننتهي من هذا التحقيق ثم نتواصل معه.

ولكن كما اتضح بعد ذلك، كان التحقيق بعيدًا كل البعد عن الاكتشاف الذي توقّعه « جاكمان » منه.

كان «كيندر» قد بدا مكبوتًا، مكتئبًا تقريبًا، موافقًا بخنوع على اقتراحهم بالتعاون مع الدكتور بريستون. كان جوابه غير حماسي، مجرد قبولٍ كئيب بما ستؤول إليه الأمور.

حدّق « جاكمان » في «كيندر» فيما كان الطبيب يشرح له بعض الأمور. لم يرَ أثرًا لذلك الصحفي النشيط الذي كان عليه في الماضي، لا لحظة غضب ولا لمحة فرح عندما علم أنه سيرى «سكاي».

وبعد ساعةٍ أنهى « جاكمان » التحقيق وطلب من « بريستون » و«ماري» الانضمام إليه في مكتبه.

- ليس لدينا ببساطة أي دليل دامغ يسمح لنا باحتجازه.

علم حينها أن نبرة صوته خانته. نظر إلى «جاي بريستون » وقال:

- ما رأيك فيه؟ بصراحة!

أخذ الأخصائي النفسي نفسًا عميقًا وأطلق صفيرًا خفيضًا وقال:

- أعتقد أنه يعاني من مشكلاتٍ جمّة، ولكن في قرارة نفسي لا أعتقد أنه قتل أليسون فليت.

- ولا المرأة الأخرى؟

- لا أظن أنه قتل أحدًا.

كانوا قد أخبروا « دانيل » بشأن تلك المرأة الغامضة، القتيلة المجهولة، فارتعش حينها. قال بصوتٍ بلا أمل:

- لا يمكنني أن أخبركم بأنني لم أقتلها، ولكنني لا أعرف. أخشى أن الأمر بيدكم لتثبتوه، بشكلٍ أو بآخر. الأمر ليس صعبًا للغاية، أليس كذلك؟ أظن أنه باستخدام التكنولوجيا الحديثة هذه الأيام يمكنكم أن تعرفوا أين كان أي شخصٍ وفي أي توقيت.

ردّت «ماري»:

- نحن لا نعيش في حلقة من حلقات مسلسل CSI ، لا تكلّم بجد يا «دانيل». نحن في الريف لا في ميامي، ولدينا هنا ميزانية شرطية لا تكفينا لعامٍ واحد.

ارتعش « دانيل كيندر » مجددًا.

تنهّد « جاكمان » وقال:

- حسنًا، عليّ أن أتخذ قرارًا بحلول العاشرة مساءً . .. ولست مرتاحًا مع فكرة إطلاق سراحه.

- ولا أنا، رغم أنني لم أعد أصدّق فكرة أنه جاء إلى هنا ليحصل على سبقٍ صحفي لأحد مقالاته.

- لو كان الأمر كذلك، فإنه يخاطر مخاطرةً كبيرة بقواه العقلية.

نظر « جاكمان » إلى الطبيب معتذرًا:

- عذرًا، ولكنني لا أعرف الكثير من المصطلحات الطبية.

ابتسم « بريستون » وقال:

- أوه، لا أظن أنه يدّعي، ولا للحظةٍ واحدة. ولكنني أراهن بخبرتي على أنه ليس بقاتلٍ متسلسل.

نظر إلى « جاكمان » وقال بوجهٍ جامدٍ جاد:

- إذا كنت تشك أن لديك قاتلا متسلسلا، فإنه ليس «كيندر». فهم لا يبدون كذلك. فهذا النوع من القتلة يأخذ وقتًا طويلًا في التطور. يأخذ الأمر منهم سنين ليتغيروا شيئًا فشيئًا حتى يصلوا إلى المرحلة التي أسميها « مرحلة القتل الأولى » ولا أرى أن «كيندر» يطابق هذا النمط.

- ولكنك لا تنكر أن « دانيل كيندر » قد يقتل،

أنت فقط تستبعد فكرة أنه قاتلٌ متسلسل.

- بالضبط، رغم أنني أجد من الصعب أن أصدق أنه قد يقتل من الأساس. ربما إذا كان مريضًا، كما قلنا مسبقًا، أو إذا كان مدفوعًا باعتقاده بأنه ابن فرانسواز ثاييه، ربما حينها . ..

هزّ رأسه وأضاف:

- ولكنني غير مقتنع.

* * *

أربكهم الطرق على الباب حتى ظهر «ماكس» من خلفه متحمسًا.

- أظن أنكم ستودون رؤية هذا يا سيدي.

ابتسم وسلّم « جاكمان » صورة فوتوغرافية مطبوعة على ورقة:

- قتيلتنا المجهولة لها وجه!

حدّق « جاكمان » في الصورة . .. وجد امرأة جذّابة جدًا ذات شعرٍ فاتح اللون تنظر إليه. امرأة ذات عينين زرقاوين تميلان إلى اللون الرمادي، وشعرٍ مستقيم يصل إلى كتفيها، وعظمتي خدٍّ عاليتين، وفمٍ كاملٍ جميل المظهر مع صفين أبيضين من الأسنان. شعر نوعًا ما بأنها تبدو إنجليزية جدًا - لا هي شقراء كفاية لتكون إسكندنافية ولا هي بارزة العظام لتكون

جرمانية. بدت فاتحة البشرة وناعمة كزهرةٍ إنجليزية.

همس وقال: « مرحبًا أيتها المجهولة! » ثم سلّم الصورة للآخرين.

قالت ماري: « واو! » ثم أتبعها «بريستون»:

- يا إلهي! من الصعب أن نطابق هذا الجمال مع صورة الطبي الشرعي على اللوحة البيضاء في غرفة الجنايات.

سأل « جاكمان » «ماري»:

- هل حصلت «أوراك» على هذه الصورة في تلك الساعات القليلة؟

- أقل من ذلك، أعتقد أننا ندين لها بالشكر.

- اممم، طبعًا. عملٌ مذهلٌ بالطبع!

رأى عيني « ماري » تضيقان فنظر بعيدًا بسرعة:

- أرى أن نعرض الصورة على «دانيل» . .. ما رأيكم؟

أسرعوا جميعًا إلى غرفة التحقيقات حيث كان تشارلي وشرطي آخر يرتدي بزّة رسمية يراقبان كيندر وسكاي يتحدثان.

- هذه المرأة!

قالها « جاكمان » بعنف ووضع الصورة على الطاولة ليراها كلاهما.

- هل تتعرفان عليها؟

على نحوٍ مفاجئ . .. أخذ كلاهما نفسًا عميقًا . .. قالت « سكاي » بصدمة:

- جولز! إنها «جوليا هوب»!

- وماذا عنك يا «دانيل»؟ هل تعرفها؟

هزّ رأسه:

- في الواقع لا، أقصد أنني لا أعرفها حقًا . .. ولكنني متأكدٌ من أنها كانت ضمن طاقم الممرضات اللاتي قابلتهن من أجل مقالٍ صحفي لخدمة الصحة العامة، ولكني أعرفها . .. هل هي؟ هل هي تلك المرأة . ..؟

- المرأة التي ربما قتلتها وربما لم تقتلها؟ المرأة التي ينبغي علينا أن نفهم سر مقتلها؟ نعم يا «دانيل»، إنها هي.

نظر ناحية « سكاي » وسأل:

- ولكن هل تعرفينها؟

- نعم، إنها تعمل في جناح العظام، ولكنها كانت في إجازةٍ لبضع أسابيع.

صرخت «ماري»:

- إجازة! لقد كانت ترقد ميتة بدون هوية لثلاثة أسابيع! ألم يفكّر أحدٌ في السؤال عن سبب عدم عودتها إلى العمل؟

همهمت «سكاي»:

- لا . .. لا أعرف! إنها لا تعمل في القسم الذي أعمل فيه. إنها ممرضة وليست أخصائي علاج وظيفي.

حدّقت « سكاي » في « ماري » بعينين مفتوحتين.

- هل أنتِ متأكدة من أنها ميتة؟ فالصورة تبدو . .. مختلفة عنها بعض الشيء.

- لأنها صورة مجمّعة، أليس كذلك؟

جاء صوت « دانيل » مسطحًا:

- من جثتها.

أبعدت « سكاي » الصورة عنها بحذرٍ شديد.

قال « جاكمان » فيما كان يتذكر تلك الجثة المتعفنة في قبو الحانة:

- بالضبط.

سألت ماري:

- حسنًا يا «سكاي»، ماذا لديكِ لتخبرينا عنها؟ هل هي متزوجة؟ أم عزباء؟ هل لديها أسرة؟

- غير متزوجة، أعرف هذا لا أكثر . .. غير أنها تعيش مع أختها، آنا، في مكانٍ ما في مدينة سالترن.

- ولماذا لم تبلغ تلك الأخت عن اختفائها؟

- آنا تعمل طبيبًا عسكريًا، أي قد تكون في مكانٍ بعيد. كانت «جولز» قد ذكرت أنها كانت في أفغانستان، رغم أن هذا كان منذ وقتٍ طويل.

نظرت « سكاي » إلى الصورة بارتياب وأضافت:

- كانت جميلة حقًا.

فكّر «جاكمان»: « ليس كما بدت آخر مرة رأيتها » . ثم سأل:

- وماذا عنك يا «دانيل»؟ هل رأيتها مرة أخرى منذ ذلك اللقاء في المستشفى الذي تحبك من أجله كل الممرضات؟

نظر إليه « دانيل » متعبًا:

- كيف لي أن أعرف بحق الجحيم؟ فأنا المخبول ذو الذاكرة المفقودة، هل نسيت؟

- هل أنت كذلك؟ حقًا؟ أتساءل.

* * *

الفصل الرابع عشر

- صلة غامضة بين الضحيتين و«دانيل كيندر» أمرٌ ليس كافيًا لإبقائه قيد الاحتجاز يا «جاكمان».

قضمت المراقب «روث كروك» قمة قلمها وأضافت:

- بصراحة، لديك في قضية أليسون فليت صلات أقرب من تلك . .. عليك أن تطلق سراحه.

علم « جاكمان » أنه لا فائدة تُرجى من الجدال، فهي محقّة. لا يوجد أي دليل ولا خيطٌ واحد. حتى النيابة العامة لم تكن لتحيل القضية إلى المحكمة.

قال «جاكمان»: الأقوال أسهل من الأفعال.

عادةً ما يكون الوضع أفضل عندما يتعرّض له أول مرة، خصوصًا عندما يكبر المرء في السن، ولكن تلك كانت المرة الأولى التي يكون لـ«جاكمان» مشتبه به في جريمة قتل يريد أن يبقى قيد الاحتجاز، وكان يعلم أن «كيندر» لن يرضى عن أخبار إطلاق سراحه الوشيك . .. ولكن الأمر متعلقٌ بمدى عدم رضاه.

- وأريد منك أن تتأكد من أنه يحصل على مساعدةٍ نفسية، وأنه لن يذهب إلى مكانٍ لا نعلمه حتى نسمح له بذلك، اتفقنا؟

أومأ «جاكمان»:

- لا أظن أنه سيذهب بعيدًا، كما أن «جاي بريستون » سيجري تقييمًا شاملًا له. وفي الوقت

نفسه نقوم بجمع كل ما لدينا عن فرانسواز ثاييه. نريد أن ننتهي من هذا الجزء من التحقيق في أسرع وقتٍ ممكن. إذا كان هناك قاتل آخر بالخارج، علينا إذاً أن ننسى بشأن « دانيل » وأن نتحرك سريعًا.

- سعيدة بسماع ذلك منك يا «جاكمان»، لأننا ينبغي أن نتحرك سريعًا في هذا الشأن بالفعل. والآن بما أننا أصبح لدينا اسمًا للقتيلة المجهولة، وبالمناسبة فإن شقيقتها ستلحق بطائرةٍ في وقتٍ متأخرٍ الليلة لتتعرّف عليها رسميًا، سيتوجّب عليّ أن ألقي بيانًا تلفازيًا للإعلام.

ضمّت شفتيها أكثر وأضافت:

- لديك وقت حتى الصباح لتعرف ماذا سأخبرهم.

وقف « جاكمان » شاعرًا بثقلٍ كبير على عاتقه، وما زال يشعر بعدم الرضا عن إطلاق سراح «دانيل».

- حسنًا، يجدر بي أن أتحرك يا سيدتي. لدي محتجز ممانع يجب إطلاق سراحه.

* * *

لم يكن « دانيل كيندر » قد أصبح جاهزًا لمغادرة قسم الشرطة قبل الحادية عشرة. غير أن وصف « جاهز » لم يكن دقيقًا. بل كان الركل والصراخ

أقرب إلى الدقة.

كانت « ماري » متأكدة تمامًا من أنهم بدون صبر « سكاي » اللامتناهي ومداهنتها الرقيقة كان سينبغي عليهم استهدام القوة البدنية لإخراجه. ومع ذلك، كان قد رفض تمامًا الذهاب إلى البيت أو البقاء مع « سكاي » خوفًا من إيذائه إيّاها. وأخيرًا توصلوا إلى اتفاق، أو بالأصح توصلت « سكاي » إلى هذا الاتفاق، على أن يبقى « دانيل » في شقة « سكاي » مع قطتها الغالية فيما تبقى هي عند إحدى صديقاتها تلك الليلة، ثم يجتمعان مجددًا في الصباح التالي ليحاولا إيجاد حلٍ مرضٍ في وضح النهار البارد. وفي تلك الحالة فقط أذعن «دانيل». لم يكن أحدٌ ليقوم بشيءٍ آخر له، ولم يكن هناك بديلٌ آخر معقول بالنسبة لـ«سكاي» إلا التجول في الشوارع.

والآن، أصبحت غرفة التحقيقات هادئة . .. لم يبق فيها إلا « ماري » و«جاكمان».

سأل بلطف:

- هل أطلقنا لتوّنا سراح مجرم؟

- على أي حال، لم يكن لدينا خيار، أليس كذلك؟ كما أننا سنراقبه عن كثب. أينما ذهب وأيّما فعل سيجدنا حوله.

- لماذا لا يرضيني هذا؟

- لأن كلينا يعرف أنه حتى لو لم يكن قاتلًا متسلسلًا فإنه شخصٌ خطير وغير ثابت نفسيًا على الإطلاق.

تنهّدت « ماري » وأضافت:

- لم أرَ في حياتي شخصًا مهزوزًا متقلّب المزاج مثله. لولا أنني أعرف أنه لا يتعاطى لقلت إنه كذلك.

تمتم «جاكمان»:

- ولكنه نظيف مثلي أنا وأنتِ . .. مما يجعلنا ننتقل مباشرةً إلى الاضطراب النفسي. وهو أمرٌ على نحوٍ غير مفاجئ لا يهدئ أعصابي على الإطلاق.

تثاءبت «ماري»:

- حان وقت الحصول على بعض الراحة.

أخذت مستندًا سميكًا كانت قد أخذته من «أوراك» وقالت:

- هل تمانع إذا أخذت هذا معي إلى البيت لأقرأه قبل أن أنام؟

- على راحتك! ولكن عديني بأن تتركي الأنوار وألا تتصلي بي في الثانية صباحًا لتخبريني كم أنتِ مرتعبة حتى الموت. قراءة ما قبل النوم وفرانسواز ثابيه لا يتماشيان معًا، صدقيني. لقد

جرّبت ذلك! كم كانت امرأة قاسية القلب متوحّشة السلوك، وإذا كانت «أوراك» قد حصلت على معلومات عنها من الإنترنت أكثر مما كان لديّ، فعليكِ حينها أن تحذري.

رنّ جرس هاتف المكتب قبل أن تجيبه. زمجر « جاكمان » وقطب حاجبيه ورفع السماعة:

- مفتش المباحث «جاكمان».

كان بإمكان « ماري » أن تسمع بالكاد صوت امرأةٍ تتكلم بسرعة، ثم ضغط « جاكمان » على زر مكبر الصوت بسرعة . .. جاء صوتٌ مألوف على نحوٍ غامض ليملأ الغرفة.

- أنا متأسفة جدًا جدًا، ولكني لا أعرف لمن أذهب. لم يعد كما كان! أنا متأكدة من أنه في البيت، ولكنه لا يجيب مكالماتي. سيادة المحقق، أخشى أن شيئًا ما حدث له. إنه يتصرف بغرابة شديدة منذ مقتل أليسون فليت.

لم تستطع « ماري » أن تحدد هوية المتصل على ذلك الخط المتقطّع. نظرت إلى « جاكمان » متساءلةً فوجدته يكتب اسمًا على ورقة: لوسي ريتشاردز . .. إنها أخت بروس فليت. على الفور تذكّرت « ماري » ذلك الوجه القلق لتلك المرأة التي كانت رفقة فليت عندما أخبرهم بمقتل أليسون.

- من المحتمل جدًا أنه خرج لقضاء الليلة، أو ربما

لاحتساء بعض الكؤوس ثم فقد وعيه.

جاء صوت « جاكمان » ثابتًا وأضاف:

- ما الذي يجعلكِ متأكدة هكذا من أنه في البيت؟

- لسببٍ واحد، كانت الشرطة قد سمحت له بالعودة إلى بيريلاندز هذه الظهيرة. وهذه أول ليلة له هناك وكان خائفًا بشدة. لم أكن لأقلق إلى هذه الدرجة لولا أن سيارته ما زالت في مكانها كما أن أخي لا يسير كثيرًا.

- كيف تعرفين عن سيارته؟

- لأن زوجي قاد إلى هناك. طرق الباب ولم يجبه أحد.

أصبح صوت المرأة أكثر اهتزازًا:

- لن يتقبل فكرة اتصالي بك يا سيادة المفتش «جاكمان»، ولكن ينتابني شعورٌ سيئ بشأن بروس.

- حسنًا، عادةً أرسل طاقمًا للبحث، ولكن بما أنني على وشك المغادرة فسأذهب بنفسي لترتاحي أكثر.

رفع « جاكمان » حاجبه لـ«ماري» وأضاف:

- سأتصل بكِ عندما يكون لدي شيء جديد.

وضع السماعة، ثم قالت «ماري»:

- لم يكن لزامًا عليك أن تفعل هذا يا سيدي . .. بإمكان سيارة الدورية أن تذهب بسهولة.

ارتعد « جاكمان » وقال:

- ربما أثّر شعورها السيئ في نفسيتي. على أي حال، كنّا نريد الحديث مع بروس بشأن كل تلك التفاصيل المفقودة عن حياة زوجته المتوفاة. وهذا عذرٌ جيد لأطرق على بابه. وإذا وجدته شبه مخمور أو مُتعب للغاية سأتكلم معه بحرية أكبر.

- سآتي معك طالما ستعيدني إلى هنا أو توصلي إلى البيت بعدها.

نظر « جاكمان » إلى ساعة الحائط وقال:

- إنه منتصف الليل تقريبًا . .. يجدر بكِ أن تحصلي على قسطٍ من النوم.

- لا تقل هذا يا سيدي. كما أن منطقة داون هافين نائية جدًا، وإذا ما وقع خطبٌ ما هناك ستحتاج إلى ذراعك اليمين معك. وإذا كان فليت متضايقًا لا أكثر، يمكننا حينها أن نعود إلى بيوتنا لننام ساعة أو أكثر.

أخرج « جاكمان » مفاتيح سيارته من جيب معطفه:

- لماذا من الصعب مجادلتك يا «ماري»؟

ابتسمت بفخر:

- لأنني دائمًا على حق يا سيدي.

* * *

كانت « ماري » تحب القيادة عبر الأهوار ليلًا. كانت تشعر بتلك الغرابة التي تصاحب الطرق الشاغرة الضبابية عادةً فيما يختفي كل ما دون ذلك. أحيانًا يكون الطريق مستقيمًا باتجاهٍ واحد، ثم يأخذ السائق فجأة إلى اتجاهٍ مخلفت، وإذا لم تكن على دراية بالحارات الضيقة الملتوية المُحاطة بحِزم القصب، أو لم تكن تتمتع بحس جيدٍ بالاتجاهات، فإنك ستفقد طريقك تمامًا لا محالة.

يأخذ الطريق عشرين دقيقة للوصول إلى بيريلاندز، ولكنهما شعرا وكأنهما يقودان لساعات.

- من المخجل عدم وجود شرطي يراقبه.

- لا أتفق، فالمكان كله مسحه الأطباء الشرعيون. إنه بيت الزوج، كما أن فريق مسرح الجريمة لم يكن ليغادر المكان قبل أن يتأكد من أنه نظيف تمامًا.

كانت بيريلاندز صامتة تمامًا فيما لمعت الأنوار العلوية في منطقة الوصول وأنوارٌ أخرى يبدو أنها تُركت مُضاءة في الطابق الأرضي، ولكن لا

أثر لأي حياة هناك.

- كانت محققة بشأن السيارة.

نظر « جاكمان » إلى التويوتا لاند كروزر الكبيرة.

- ومع ذلك، دعينا نقوم بواجبنا المعتاد.

أخرج هاتفه وبحث عن اسم « بروس فليت » وضغط على زر الاتصال الأخضر.

ابتسمت « ماري » لنفسها. كان من ضمن عادات « جاكمان » البسيطة أن يسجّل كل من له علاقة بقضية – حتى لو من بعيد – في هاتفه، ثم يمسح الرقم بعد أن تُغلق القضية. وفيما كان بانتظار الرد تمشّت « ماري » ناحية الباب وضربت الجرس وطرقت على الباب الخشبي المصقول. من حولها وجدت كل العلامات التي توحي بوجود الشرطة مؤخراً؛ أحواض الزهور المسحوقة بالأقدام، والبقع الموحلة عبر الحشائش، وآثار الأقدام القذرة الجافة عبر البلاط في الشرفة المفتوحة. غير أنها تناست منظر أحواض الزهور المهشّمة وتخشّبت عندما سمعت صوتاً خفيضاً بالداخل. اقتربت ناحية الباب وفتحت صندوق البريد ومالت لتسترق السمع.

كان الصوت الضعيف لقطعةٍ موسيقية متكررة يأتي من مكانٍ ما داخل البيت . .. إنه هاتف

السيد فليت.

- سيدي، هاتفه يرن . .. يمكنني سماعه.

هرول « جاكمان » إلى جانبها وقال:

- دعينا نرى ما بالخلف، وإذا لم يحالفنا الحظ سنضطّر لاستخدام القوة للاقتحام.

- وأنا معك يا سيدي.

تحركت « ماري » بخفّة إلى الممر المطوّق للبيت وقالت:

- ذلك الإحساس المشؤوم الذي انتباب لوسي ريتشاردز بدأ يراودني، ولا أحبه.

* * *

جلست « سكاي » في سيارتنا تنظر إلى نوافذ شقة صديقتها المظلمة الداكنة. كانت قد تركت رسالة موجزة في البريد الصوتي لدى إيزابيلا تقول فيها إنها في الطريق إليها، ولكنها لم تدرك حتى وصولها إلى شقتها أن «إيزابيل» كانت بعيدًا تزور والدتها في كارديف. الأدهى من ذلك أن صديقتها لم تترك المفتاح الاحتياطي في مكان تخبئته المعتاد. كان هذا ما اعتادت عليه إيزابيل وسكاي، الأمر الذي ما كان الشرطيون ينصحون به على الإطلاق. لطالما اتفقتا على ذلك، ولكن في حين احتاجت « سكاي » إليه كانت «إيزابيل» قد نسيت أن تتركه.

أراحت « سكاي » ظهرها في مقعد السائق فيما كانت تشعر بالمرض والتعب. كم كان الوقت الذي قضتها في قسم الشرطة مع « دانيل كيندر » مرهقًا! كما أن رؤيتها له في تلك الحالة النفسية الغريبة قضت عليها. والآن، بدلًا من تستلقي في فراشٍ ناعمٍ دافئٍ لا تجد مكانًا تبقى فيه.

سحبت هاتفها وبحثت في قائمة أسمائها. كانت في منتصف الليل وهناك القليل جدًا من أصدقائها ممن يعيشون في الجوار ويمكنها الاتصال بهم في مثل تلك الساعة. فبيني رُزقت بمولودٍ جديد، وريتشارد لديه صديقة حميمة جديدة، أما بول وآندريا فيمرّان بانفصالٍ عنيف في علاقتهما العاصفة. ماذا عن جينا؟ حسنًا، ربما. صحيح أنها لم تكن صديقة مقرّبة، ولكنها تظل زميلة عمل طيبة وأصيلة، ولم تكن لتحبّذ فكرة أن تبقى « سكاي » بلا مأوى بالليل . .. تستحق المحاولة.

وبعدما رنّ الهاتف مرةً واحدة أغلقت « سكاي » المكالمة قبل أن يتم تحويلها إلى جهاز الرد الآلي. لم تكن هناك فائدة تُرتجى من ترك رسالة.

أطلقت تنهيدةً متعبة. ما زال لديها مفاتيح بيت دانيل، ولكنها كانت لتفضل أن تبقى في السيارة على العودة إلى هناك. كان جزءٌ منها يخبرها بأن تعود وأن تخبر « دانيل » بما حدث وتفهمه أنه كان يتصرف بسخافة في أن يفكّر بأنه قد

يتعرض لها بأي أذى. ولكن جزء آخر منها يخبرها بأن « دانيل » ضعيف جدًا لكي يتقبّل النقاش معه. انسي تمامًا! إما أن تجدي صديقة أخرى أو أن تجدي مكانًا تركني فيه السيارة ثم تستلقي على المقعد الخلفي. ليس وكأنها متأكدة من أنها ستستريح في المقعد الخلفي لسيارة الكيا الصغيرة بدون أن تُصاب بشدٍّ عضلي في أول عشر دقائق. عادت إلى قائمة الأسماء في هاتفها، وأخيرًا وجدت بارقة أمل. ضغطت على الرقم وبعد ثلاث رنّات فقط أجابها الطرف الآخر.

أفشت كل ما حدث بدون تفكير، وانتابتها راحة كبيرة والصوت في الطرف الآخر يقول:

- يا إلهي! تعالي في الحال يا فتاة! غرفة الضيوف جاهزة تمامًا لاستقبالك . .. مرحبًا بك!

ابتسمت « سكاي » لنفسها بعدما انزاح عن كاهلها ذلك الحمل الثقيل وهي تدير محرّك السيارة. لماذا لم تفكّر في «ليزا هيرلي» من قبل بحق الجحيم؟ فقد كانت رئيستها في العمل لطيفة جدًا في مساعدتها في ترتيب منزل دانيل. كان من المفروض أن تكون أول شخصٍ تكلّمه. أسرعت « سكاي » مبتسمةً بعيدًا عن بيت إيزابيل المظلم نحو ملجأٍ آمن تقضي الليلة فيه.

* * *

ركضت « ماري » حول البيت الريفي، مباشرةً خلف الحديقة المُضاءة بالكامل بنظام الأمان. وجدت نفسها في فناءٍ جميلٍ من البلاط وأحواض الزهور المرتفعة المليئة بالألوان المبهجة. أحد جانبي الحديقة كان يزدان بمعرضٍ زهري طويل على الطراز الفيكتوري مُغطّى بسلسلةٍ من الياسمين والزهور الأخرى. ولكن « ماري » علمت أن الوقت غير مناسب لتُعجب بحديقة آل فليت.

- انظري النوافذ الفرنسية!

نادى عليها « جاكمان » فيما كان يجري من خلفها وأضاف:

- وأنا سأنظر الباب الخلفي.

أمسكت بالمقبض النحاسي وحاولت أن تفتحه:

- إنه مُغلقٌ يا سيدي.

- وكذلك هنا، اللعنة!

بدا « جاكمان » مغتاظًا.

- هناك بابٌ آخر على الناحية المقابلة.

دارت « ماري » من خلف « جاكمان » واقتربت من بابٍ أصغر له ألواحٌ زجاجية مؤطّرة في نصفه العلوي. كان بإمكانها أن ترى أنه يؤدي مباشرةً إلى غرفة أغراضٍ بها غسّالة أوتوماتيكية ومجفّف ملابس كبير. أمسكت بالمقبض وانفتح

الباب إلى الداخل. همست:

- حسنًا، نحن بالداخل . .. ما لم يكن الباب الداخلي مُغلق.

لم يكن مُغلقًا، وسرعان ما كان الاثنان يفحصان الغرف.

- الطابق السفلي . .. لا شيء.

اقتربا من درج السلّم الواسع، فيما بدأت « ماري » تشعر بدقات قلبها تتسارع. على مرّ السنين الماضية اكتشفت أمورًا في غاية السوء أثناء تفتيش البيوت. الشيء الوحيد الذي لم تعثر عليه هو اللاشيء نفسه.

بيد أن بيت بيريلاندز كان الاستثناء الوحيد لتلك القاعدة. فغرف النوم شاغرة، ولا شيء يبدو خارج مكانه، على حسب علمها. صحيح أن هناك شعورًا ما بالفوضى والتدخّل بعد التفتيش الشامل الذي جرى بعد مقتل أليسون فليت، ولكن لا شيء آخر هناك. فحصا الغرف كلها مرةً ثانية، حتى إن « جاكمان » تسلّق السلّم العلوي ونظر عبر الغرفة العليّة، ثم نزلا من جديد.

دخل كلاهما إلى المطبخ لسببٍ أو لآخر.

وقفت « ماري » حيثما كانت جثة أليسون فليت المُقطّعة بقسوة ترقد فوق البلاطات الحجرية، ثم أخذت نفسًا عميقًا.

هناك خطبٌ ما!

سألها «جاكمان»:

- هل تشعرين بما أشعر به؟

أومأت «ماري» . .. كانت مفاتيح سيارة برويس فليت ترقد فوق طاولة نظيفة من خشب الصنوبر. تمتمت ماري:

- مفاتيح!

- مفاتيح سيارة!

رفعت رأسها:

- حسنًا، سيارة بروس في الخارج . .. ولكن ألم يكن لأليسون فليت سيارة هي الأخرى؟ أين هي؟

استقام «جاكمان»:

- هناك جراج على الجانب الآخر من البناية.

تحرّك سريعًا صوب الباب الخلفي وفتحه:

- هيا بنا!

هرولا معًا إلى الخارج ولفّا حول البيت ناحية منطقةٍ كبيرة مفروشة بالحصى لتحريك وركن السيارات، ولكن قبل أن يصلا إلى الجراج سمعا صريرًا مألوفًا خفيضًا بالداخل.

تصاعدت أعمدة ضئيلة من أبخرة العادم من

خلف الأبواب.

- أوه! اللعنة!

شهق « جاكمان » جاذبًا الباب الخشبي الثقيل:

- إنه مغلقٌ من الداخل!

دارت « ماري » حول ذلك الجزء من المبنى وقالت:

- هذا بابٌ خاص بالعمّال . .. سيكون كسره أسهل على الأقل.

لحسن الحظ كان النصف العلوي من الباب الصغير زجاجيًا فأذعن تمامًا لضربة كوعٍ من «جاكمان».

أدخلت « ماري » يدها فوق الزجاج المكسور وأدارت المفتاح.

- سدّي فمكِ وأنفك، فهذا الشيء خطير حتى ولو بكمياتٍ بسيطة.

وضع « جاكمان » طرفًا من معطفه على أنفه وقال:

- تنفسي بأقل مقدارٍ ممكن. ادخلي إلى السيارة وأغلقي المحرّك. سأحاول فتح الأبواب الرئيسية وإدخال أكبر قدرٍ من الهواء.

علمت « ماري » أن الوقت قد فات للأسف، فقد

كان بروس فليت غائبًا لساعات. كما علمت أنهما ربما يخاطران بصحتيهما من أجل رجلٍ ميت، ولكن ينبغي عليهما أن يؤديا واجبيهما.

- اللعنة! لم أكن أعرف أن هذا ممكن، خصوصًا في ظل وجود التشغيل الآلي في كل سيّارة.

- انظر إلى السيارة!

فيما كانت « ماري » تسحب طرفًا من معطفها بقوة ناحية الجزء السفلي من وجهها، رأت سيارة طراز موريس ماينور ترافلر. كانت أليسون فليت ترغب في أن يتحول هذا المكان إلى متحفٍ كلاسيكي بفضل المدخل الدائري.

- أوه! اللعنة! دعنا نذهب.

استنشق كلاهما كمية كبيرة من الهواء النقي وركضا نحو الجراج.

كان بروس فليت قد قام بالواجب وزيادة. لم يكتفِ بغلق أبواب الجراج، بل حبس نفسه أيضًا داخل السيارة القديمة. ولكنها تبقى سيارةً قديمة، وعلى الفور رأت « ماري » أنبوبًا من النافذة الخلفية يؤدي إلى داخل السيارة الموريس. جلبت مجرفة حديقة من مجموعة أدوات مُعلّقة على جدارٍ ما، ثم أدخلتها من الفجوة ورفعتها. انكسرت النافذة بفعل الضغط فتمكّنت « ماري » من الوصول إلى قفل الباب.

كانت رئتاها تحترقان بالفعل، ولكنها اتكأت على مقعد السائق وأغلقت المحرّك ثم تحسّست رقبة الرجل بحثًا عن نبض.

- هل مات؟

سأل « جاكمان » متمتمًا بشفتيه المغلقتين.

أومأت « ماري » متأكدةً من الخبر، ولكنها على أي حال اتكئت على جانب بروس فليت وأفلتت الباب.

كان « جاكمان » قد فتح البابين الكبيرين فأصبح الهواء يتدفّق إلى الداخل، ولكنهما ما زالا لا يجرؤان على التنفس. أخرجا معًا الجثمان الثقيل من السيّارة وسحباه إلى الخارج وسقطا فوق كومةٍ من الحصى في نوبةٍ من السعال والاختناق واستنشاق الهواء.

وبعد ثوانٍ معدودات، فحص « جاكمان » العلامات الحيوية للرجل من جديد، ثم أخرج هاتفه من جيبه وأبلغ بالحادث.

- أظن أن الوقت قد فات بالنسبة له، ولكن علينا أن نتأكد.

- أظن أننا استنشقنا أول أكسيد الكربون طوال الوقت.

على الفور فكّرت « ماري » في مدخني السجائر الشرهين والغرف سيئة التهوية.

- وكلما استنشقت أول أكسيد الكربون يقل عدد خلايا الدم الحمراء التي تحمل الأكسجين إلى جسمك.

ابتسم وأضاف:

- لا تقلقي! الإسعاف في الطريق وسيعطونا بعض الأكسجين، هل أنتِ بخير؟

- أشعر بصداعٍ ما، ولكنني بخير عمومًا، ماذا عنك؟

- الشيء نفسه . .. أظن أننا سنعيش.

حدّق بالأسفل في الرجل الميت ذي الوجه القرمزي.

- على عكس بروس فليت، فإننا نبحث عن أجوبةٍ لأسئلةٍ كثيرة هنا، أليس كذلك؟ هل كان السبب حزنه فقط؟ ما رأيك؟

رفعت « ماري » حاجبيها وقالت:

- أم شعوره بالذنب؟

مالت ناحية الأمام لتنظر عن قريب إلى شيءٍ ما يبرز من جيب بروس الصدري:

- حسنًا، أرى أن . ..

أخرجت قفازًا وأزالت برفق ورقةً مطويّة.

- لقد فعل المستحيل تقريبًا ليمنعنا من إنقاذه، ولكنه كان طيبًا كفاية ليترك لنا رسالة.

فتحت الرسالة وقالت:

- أريد ضوءًا.

أخذ « جاكمان » كشّافًا صغيرًا من جيبه وسلّط الضوء على الورقة البيضاء. قرأت «ماري»:

« أنا آسف . .. آسف على اختياري ميتةً سهلة على أن أحيا حياةً مؤلمة. آسف على كل ما حصل. آسف لأصدقائي. آسف على الألم الذي سيشعرون به إذا كانوا يحبونني. وآسف على الصدمة التي سأتسبب فيها إذا كانوا لا يحبونني. وأخيرًا، آسف لمن سيعثر على جثتي، ولكن الموت خنقًا أيسر بكثير من الموت بالسكّين . .. بروس فليت »

أطلق « جاكمان » صفيرًا ضعيفًا:

- نادمٌ وشاعري بالتأكيد، ولكنه لم يذكر زوجته الحبيبة.

- هل كان مريضًا؟ فالحياة المؤلمة عادةً ما تعني أن شخصًا لم يعد يقوى على التحمل أكثر.

- يبدو بصحةٍ ممتازة. ربما يقصد ألم فقدانه لأليسون.

- أو ألم تدميره حياته بطريقة أو بأخرى.

- أو التعايش مع حقيقة أنه قاتل. ربما ذكره السكين يشير إلى أمرٍ ما وأيضًا أسفه عمّا حصل . .. أمرٌ غامضٍ، أليس كذلك؟

حدّقا في الورقة التي تركها بروس يأملان أن يتضح كل شيءٍ فجأة. ولكن بدون فائدة! طوت « ماري » الورقة مرة ثانية وأعادتها إلى جيب الرجل.

- سيرغب أخصائيو الطب الشرعي في أن تبقى هذه في مكانها.

أراحت « ماري » نفسها على كعبيها آملةً في أن يروح هذا الصداع عنها.

- أفترض أنه انتحارٌ بالفعل.

لم تضحك ماري، فلقد اعتاد « جاكمان » على رؤية أشياءٍ غريبة جدًا في الخدمة، وهي أيضًا كثيرًا ما شهدت ميتات بطرقٍ كثيرة. قد يرتدي القتل زي الانتحار أحيانًا.

- قلبي يقول إنه انتحار.

ضرب « جاكمان » الحصى بدون وعي وقال:

- أتفق معكِ، ولكن في هذه القضية بالذات لن أتأكد بنسبة 100% من أي شيء حتى يؤكد جاكوبس ذلك.

- حسنًا، مع أول ضوءٍ للصباح سأطلب من

ماكس أن يعرف كل شيء ممكن عن بروس فليت. فـ«ماكس» كان يعمل على قضية أليسون فليت، وهناك الكثير من الأمور الغامضة بشأن تلك المرأة. ربما تتكشّف عبر حياة زوجها.

جلس « جاكمان » على الأرض بجوارها:

- وسأتحدث مع «لوسي ريتشاردز». وعدتّها بذلك، ولن أستطيع ذلك عبر الهاتف، لن يكون من الإنصاف أبدًا.

مدّت « ماري » يدها ولمست ذراعه برفق:

- إذا كان ذلك اللغز مضرًا كما قلت من قبل، فعليك أن تحصل على قسطٍ من الأكسجين وبعض الراحة قبل أن تنشغل بنقل الخبر الحزين إلى أقاربه. دع الشرطيين يقومون بذلك بدلًا عنك. سيرسلون أحدًا إلى البيت، وهم بارعون في ذلك.

نظرت إلى وجهه القلق وأعجبت بشعوره بالمسؤولية. أحب « جاكمان » أن يقوم بالأمور على أكمل وجه، وكان قد وعد «لوسي» بأن يطلعها على سلامة شقيقها، ومن ثم فإنه من الطبيعي أن يذهب ويخبرها بما حصل بنفسه . .. هكذا.

- لا، سأذهب بنفسي. سيساعدني قسطٌ من الأكسجين.

مال رأسه إلى الأمام وجاء صوته وكأنه همس:

- هذه القضية ستتحوّل إلى كابوس حي، أليس كذلك؟

تنهّدت «ماري»:

- إنها قضية مربكة حقًا! ولكنني متأكدة من أن المزيد من المعلومات عن تاريخ آل فليت وحياتهم الشخصية ستجيب عن الكثير من الأسئلة. يقوم «ماكس» و«تشارلي» بقصارى جهديهما للإجابة عن تلك الأسئلة، ولذا لن يأخذ الأمر وقتًا طويلًا.

ابتسم « جاكمان » متعبًا:

- لطالما كنتِ متفائلة يا «ماري»، ألستِ كذلك؟

ابتسمت ابتسامةً عريضة:

- على أحدهم أن يكون كذلك . .. كما أنني أعتقد أنني أسمع صوت أسطوانة أكسجين تسلك طريقها عبر الأهوار.

رفع صوت السرينة من بعيد معنوياتها. كم اكتفت من بيت بيريلاندز! جاءت إلى هذا المكان مرتين، وفي كليهما وجدت جثة أحدهم. فجأة أصبحت شقتها الصغيرة في تشيرتش ميوز جذّابًا جدًا.

* * *

الفصـــل الخـامـس عشـــر

تجوّل «دانيل» وقطته تعانقه بشدة، حول شقّة « سكاي » بدون أن يكفّ عن الكلام. لم يكن ليحتمل الصمت. حاول مع التلفاز، ولكن كل قناة كانت تعرض شيئًا تافهًا تلو الأخرى.

تمتم للقطة:

- كنت أتمنّى لو أنها حبستني.

كان قد حاول إيجاد طريقةٍ لسؤال سكاي، أو بالأصح للتوسّل إليها لكي تغلق الأبواب والنوافذ وأن تأخذ المفاتيح معها. ولكنه رأى وجهها، شاحبًا نحيلًا من فرط القلق، فعلم أنه ليس بإمكانه أن يلحق ضررًا أكبر بها. كانت الفكرة ستبدو مجنونة في رأيها، وربما كانت ستؤكد المخاوف التي تسكن عقلها بلا شك.

ذهب إلى الحمّام وأخذ يبحث داخل الخزينة عن شيءٍ يجعله ينام، ولكن بلا فائدة. لم تعانِ « سكاي » من مشكلةٍ في النوم. فكما يعلم، كانت « سكاي » واحدة من هؤلاء الصحيحين الذين يحتفظون بما هو أكثر بقليل من عقار الباراسيتامول في خزينة أدويتها.

عاد « دانيل » إلى غرفة النوم وسحب اللحاف. تكوّر وشمّ الوسادة برفق، كانت تفوح بعطرها، شيء جميل مُزهر برائحة الصيف، شيء مثلها.

اغرورقت عيناه بالدموع. كم أرادها بين ذراعيه! كم أراد أن يحتضنها بشدة! أن يغرق في تلك العيون الزرقاء، أن يختبئ في شعرها المنعش، أن يقبّل بشرتها الصافية الراقية. كم أراد أن يعتليها! أن يقتحمها وأن ينسى نفسه فيها. لم يشعر بالسلام إلا معها، حينها تذهب عنه المشاعر والأفكار السيئة. كان ذلك الوقت الوحيد الذي يكون فيه سعيدًا.

كيف له أن يفكّر أنه يمكنه إيذاءها؟ لم يكن ليفعل ذلك أبدًا. إن « دانيل » الذي يرقد باكيًا على وسادتها الآن لا يمكن له أن يأذي « سكاي وينيارد». المشكلة في « دانيل » الآخر، « دانيل » الذي استيقظ ولم يتذكر أين كان، « دانيل » الذي قضى دقائق وساعاتٍ غالية سُرقت منه، « دانيل » الذي تؤلمه رأسه بشدة وكأنها انفجرت، ماذا عن « دانيل » هذا؟

تكوّر وكأنه جنين، أخذ يبكي واضعًا إبهمه في فمه ليمصه.

* * *

ارتدى الشرطي «كيفن ستونر» ملابسه سريعًا، ثم هبط درج السلّم متوجهًا صوب الصالة. توقف دقيقة ليضبط هندامه أمام مرآةٍ طويلة. بنطال جينز أسود وقميص أسود وزُنط أسود سادة. ممتاز! بدا كأي شابٍ آخر ممل غير ذي أهمية يجوب الشوارع بعدما يحتلها الظلام. غير أنه لم

يكن يشعر بالملل، ولم يكن ينتوي أن يجوب الشوارع بلا هدف. فأنشطة «كيفن» المسائية لها غرضٌ محددٌ تمامًا.

نظر إلى ساعته، ثم سار ناحية المطبخ حيث سكب لنفسه جرعةً من الفودكا. اقتحم الكحول رأسه كألعابٍ نارية تتفجّر في جيوبه الأنفية. لم يكن هذا روتينه المعتاد قبل أن ينزل إلى المدينة، ولكن نشاط الليلة كان مختلفًا كليةً عن نشاطه الماجن المُعتاد.

سار إلى الردهة وجلس. على كنبةٍ جلدية بجواره كان هناك حقيبة رياضية ماركة نايك. فحص محتوياتها ثلاث مرات حتى الآن، لعبت أصابعه بتوتّر وهو يغلق سوستتها. كل شيء على ما يرام، هكذا أخبر نفسه. اكفهرّ وجهه وضاقت عيناه واشتدّت شفتاه. ستنجح خطته، وسيتمكن من استعادة نسق حياته. عليه أن يكون أكثر شجاعة بكثير في المستقبل مما كان عليه في الماضي. ويعني هذا أن يكتشف كمّ التسامح الذي كان يكنّه أبوه في صدره المترمّت، ولكن على هذا الأمر أن يتم. لن يحدث له مثل ما حدث مجددًا. لن يجعله أحدٌ أن يشعر بالضآلة أو الضعف، ولن يهدّد أسرته أحد. بعد الليلة ستأخذ حياته منحنى مختلف تمامًا.

نظر مجددًا إلى ساعته، الوقت عاملٌ حاسم، ولكن العقرب الآخر يتباطأ في مشيته عبر وجه

الساعة. لم يكن ليصل مبكرًا. أخذ نفسًا عميقًا وقام وأمسك بحقيبته اليدوية. لم يعد هناك مجال للعودة. سيلتزم بمهمته، وسيكملها حتى آخرها. بعد صلواتٍ غير معتادة عثر على مفاتيح بيته وخرج من الباب الأمامي.

لم يجرؤ على أن يأخذ سيارته، ولكنه كان لائقًا بدنيًا وعلم بالضبط كم سيأخذ المشوار إلى منطقة ريفرسايد كريسنت. وفيما كان يسير أخذ يراجع ما هو مقبلٌ على فعله. أخذ احتياطاته لأي مشكلاتٍ غير متوقعة.

كلما سار زادت راحته، حتى ارتسمت على وجهه ابتسامه. الأمر كله ممكنٌ لأن «زين برويت» رجلٌ مقزّز. ستنجح مهمته الليلة لأنه شرطي يقظ وصاحب ضمير فيما أن خصمه مجرد حقير. ونظرًا لأن الأخير كان حقيرًا وبلطجيًا فإنه لن يتوقع أن يرفع رفيقه الأليف الخائف إصبعًا ضده.

اتسعت ابتسامة «كيفن» . .. آه يا «زين»، كم أنت مغفّل!

وفيما كان ينعطف من الزاوية إلى ريفرسايد كريسنت شاهد «كيفن» سيارة دورية شرطة تسير ببطء بعيدًا عنه. اعتبرها فألًا حسنًا. حتى الشرطيون الصغار يعملون بالتزام. بعدت السيارة فيما كان قريبًا من سياج الطريق المقصوص بعناية، ثم دخل حديقة بيت «كيندر»

بهدوء. كان هناك نقطتان يمكنه من خلالهما الوصول بأمان إلى البيت بدون أن يستفز أضواء الأمان. ظلّ يسير بتؤدة كالقطط بين الشجيرات والأشجار وأحواض الزهور، حتى وصل إلى الباب الجانبي المؤدي إلى الجراج الداخلي. كان في جيبه مفتاح وقطعة ورق أخذها بدون علم «زين برويت». وضع المفتاح في القفل ودلف بسرعة إلى الداخل، ثم هرول مسرعًا إلى الصالة يبحث عن جهاز التحكم بنظام الأمان. أخرج مصباحًا من حقيبته وأدخل الأرقام المكتوبة في الورقة، ثم ظلّ منتظرًا في توتّر. سمع صوت رنين مزدوج، لم يرحه إلا ذلك الضوء الأخضر الظاهر على الشاشة . .. تمت المهمة الأولى!

بدأ والأدرينالين يضخ بقوة في عروقه يشعر بالطنين الذي ينتاب الأوغاد عندما يقومون بمهمةٍ كبرى. وعلى الرغم من ذلك، لا يقومون بذلك بدون مساعدة خبيرٍ قديم. كما أن أغلبهم لا يحالفه الحظ في الحصول على مفتاحٍ احتياطي. لا بد أن «زين» كان حريصًا بشدة عند تسليمه تلك المعلومات لأصدقائه المجرمين.

سلك «كيفن» طريقه إلى الرواق، كان سعيدًا بتنظيف المكان وترتيبه بعدما أزالوا تلك الأعمال الفنية الغريبة التي كان « دانيل » يعلّقها في عليّته. كم سيساعده هذا في مهمته! لا بد أن العناية الإلهية في صفه الليلة.

وضع حقيبته على الأرض وركع، كان قد قرّر أن يستخدم مصباحه عند الحاجة فقط، ولكن عينيه كانتا قد اعتادتا على الظلام بالفعل، كما أن نور الشارع سلّط ضوءًا ضعيفًا بداخل الغرفة.

أخرج أولًا حقيبة أدلة، ثم بيديه المختبئتين داخل قفّاز أخذ يتفحص رزمة وزنها عشرة أرطال. كانت ملفوفة على نحوٍ مميزٍ للغاية؛ من الحافتين إلى المنتصف ثم بنفس المنوال من الخلف. نظر حوله فقرّر أن أفضل مكانٍ ليترك فيه تلك الرزمة بين مكتبٍ لطيف ودولاب زجاجي به صورٌ وجميع أشكال الذكريات الغريبة التي يرجع بها الناس من إجازاتهم. لم تكن المذكرة في مكانٍ بارز، ولكنها لن تكلّف أحدًا عناء العثور عليها. كان الأمر بمنزلة مقامرةٍ بالمال، ولكن «كيفن» يشهد بأمانة جميع الشرطيين الآخرين في سالترن . .. باستثناء برويت.

تمت المهمة الثانية! أخذ «كيفن» حقيبة أدلة أخرى أصغر وأخذ ضفيرة شعر داكنة وتركها تسقط بجوار الرزمة. ربما يعثر عليها أحدهم، وربما لا . .. يُستحسن أن يُعثر عليها.

نظر بالأسفل إلى ساعته المضيئة، لا بد أن يخرج في أقرب وقتٍ ممكن. سيصل ضيوفه في خلال خمس عشرة دقيقة، ويُستحسن أن يكون بعيدًا حينها. أخرج من الحقيبة منفضة ليّنة كبيرة، ورغم أنه كان يرتدي قفازات إلا أنه نظّف مكان

كل شيءٍ لمسه. أراد أن تكون الغرفة خالية تمامًا من أي بصمات لكل من سيأتي بعده.

تحرّك بحرص ناحية الصالة، وأدخل رقم جرس الأمان ثم سلك طريقه إلى الجراج. وفي ثوانٍ معدودات كان بالخارج تمامًا يتنفّس الصعداء.

لم يبق أمامه إلا شيءٌ أخير مهم جدًا. أخرج كيفن من جرابه حقيبة أدلة ثالثة وأخذ منها محمولًا صغيرًا نحيفًا. أخذه إلى ما بين الشجيرت وأسقطه هناك بشيءٍ من الشدة فوق كومةٍ من النباتات المزهرة التي لطالما أحبتها والدته . .. كومة من زهور الثالوث. كم كان ذلك ملائمًا! هكذا فكّر فرحًا.

عاد «كيفن» بعد ذلك عبر ريفرسايد كريسنت إلى طريقٍ طويلٍ مستقيم عند الزاوية، حيث موقف الحافلات المُغطّى برسمٍ جداري. كان الوقت قد تأخر كثيرًا على مرور أي حافلة هناك، ولكنه كان مكانًا رائعًا ليجلس غير مُلاحظٍ ليراقب البيت الكبير في منطقة كريسنت.

فجأة لاحظ أحدهم يسير بحرصٍ شديد ناحية بيت كيندر. شيءٌ ما حيال ذلك الكائن المظلم جعله ينتفض، لم يكن ذلك الشخص الذي توقّع وجوده، وإن لم يكن هو، فمن ذا إذًا؟

تحرّك الرجل بصمتٍ ناحية الحديقة واختفى. ثم سمع «كيفن» صوت مركبةٍ تقترب، فتنفّس

الصعداء. لم يكن الرجل الغامض أكثر من مجرد شرطيٍ مرافق تأتي من بعده بقية القوة. وصلوا في الوقت المناسب! الموضوع كله يسير على أكمل وجه. وصل رجلٌ ثانٍ، دلف إلى الحديقة بالقرب من حيث دخل كيفن، وبعد ثلاث دقائق وصلت شاحنة داكنة مُغطاة لوحتها تقود نحو الموقف. تحرّكت الشاحنة ببطء ناحية منطقة الجراج بدون أن يلاحظها أي من المارة.

انتظر كيفن عشر دقائق بالضبط، ثم أخرج من جيبه محمولًا جديدًا رخيصًا واتصل برقم (999).

والآن حان وقت الذهاب.

أخذ «كيفن» الطريق الزراعي هرولةً آخذًا الممرات الخلفية وطريق النهر. أراد أن يكون بعيدًا عن الطريق الرئيسي الذي سيسلكه رفقاؤه نحو بيت كيندر. وقف قبالة النهر بضع دقائق ليريح صدره قليلًا. تمايلت المياه بسوادها وعمقها، منظرٌ ساعده على التقاط أنفاسه. أخذ يحدّق في الظلام المائع ففكّر في قرارة نفسه أن الأمر سار على ما يُرام. وها هو الآن يتنزّه نحو بيت تحت ضياء القمر والبسمة تعلو وجهه. تم الأمر! والآن حان دور رفقائه ليتصرفوا مع «زين برويت».

في الوقت الذي وصل فيه كيفن ستونر إلى البيت شعر بأنه حرّك الكثير من المياه الراكدة، مياه سترسل زين برويت إلى طريقٍ مختلف خاصٍ

به. والليلة، ولأول مرة من وقتٍ طويل، ظنّ «كيفن» أن كابوسه قد انزاح أخيرًا.

* * *

فيما كان «كيفن» يطنّ بما تبقى بداخله من أدرينالين، كانت «سو بانستر» تشعر بطنينٍ من نوعٍ مختلف.

كان زوجها يقضي نبطشية مسائية في المستشفى، وكان قد ترك البيت بعد فورة غضبٍ شديدة. لا شيء جديد، غير أن خلافاتهما أصبحت أكثر تكرارًا، وقد أوشكت «سو» على الانهيار.

كانت تعلم أنه على علاقةٍ حميمية بإحدى الممرضات، في حين لم يكن يدري أنها تعلم ذلك . .. ولكنه يبقى رجلًا، ليس كذلك؟. كانت تعلم أيضًا أن الشجار والخناقات كانوا بسبب شعوره بالذنب. كانت متأكدة في قرارة نفسها من أنه لا يزال يحبها . .. ولكنه يبقى رجلًا، أليس كذلك؟

سكبت «سو» لنفسها كأسًا من الجين والتونيك. لم يكن كبيرًا، حيث لم ترد أن تصل إلى مرحلة الثمالة، لكن الكأس منحها الشجاعة الكافية لتجري ذلك الاتصال. كان قد استمع إليها على نحوٍ لم يبده زوجها قط. كان يهتم كثيرًا بحالتها، ولكنه يبقى كذلك دائمًا؛ حنونًا ومراعيًا. والليلة،

لأول مرة، عرض عليها أن يأتي إليها.

تمعّجت في فراشها بعض الشيء. لم تقدم على شيءٍ كهذا من قبل. نظرت إلى ملابسها؛ جميلة ومثيرة تقريبًا ولكن ليست مستفزة . .. لم تكن لتظهر بشكلٍ راغبٍ أكثر من اللازم.

أخذت رشفة أخرى من مشروبها. كان قد سألها مرات عديدة عن موعد عودة زوجها إلى البيت، وما إذا كان يعود من العمل مبكرًا. أكّدت له أن زوجها لا يعود مبكرًا أبدًا، بل يتأخر كثيرًا، ربما لأنه يقضي مع ممرضته الرخيصة نطبشيات تسمح لهما بممارسة الجنس قبل أن يصل إلى البيت لتناول الإفطار.

أثارت هذه الفكرة الغضب والألم داخل عروقها، حتى أنها أصبحت أكثر جاهزية لزائرها. ستحكي له ما يعج به صدرها على أقل تقدير، كي تعلم أن أحدهم يمكنه أن يستمع فعلًا. وعلى أقصى تقدير . .. نظرت إلى فراشها النظيف المرتّب. لم تكن هي السبب في ذلك على أي حال، والمثل يقول « البادي أظلم » .

رشفت ما تبقى من مشروبها، ثم نظرت إلى ساعتها ونزلت. كان الباب الخلفي مفتوحًا. كانت تخبره عادةً أن يستخدم الباب الخلفي، كما يفعل الجميع، وربما من الأفضل ألا يراه أحدٌ على عتبه بابها الأمامي في وقتٍ متأخرٍ من الليل. ففي هذا الشارع يتنصّت الناس على بعضهم

مهما كانت الساعة.

وفي حين وصلت إلى درجة السلم الأخيرة سمعت صوتًا خافتًا . .. لم يخلف ميعاده! ربتت «سو» على تنورتها ونظرت في مرآة الصالة ورسمت ابتسامة صغيرة قلقة. أخذت نفسًا عميقًا وسارت ناحية المطبخ.

* * *

كان الرجل الواقف قبالتها، على بعد بوصاتٍ معدودات، يبدو وكأنه خرج من مستشفى لتوّه.

كان يرتدي لباس العمليات الأخضر من رأسه إلى أخمص قدمه، من الكاب الذي يغطي شعره إلى الكيسين المحيطين بحذائه إلى الماسك الذي يغطي وجهه.

حاولت «سو» أن تستوعب ما تراه أمامها، ولكن بدون فائدة. قفز إلى عقلها الكثير من المعلومات، ولكن أيضًا بدون فائدة. يطلقون على هذا اللون « الأخضر المريح للعين » على عكس اللون الأحمر في عجلة الألوان. يُستخدم على الجدران، وكستائر للمسرح، حتى الموظفين يرتدونه. ولكن البقع الحمراء على الأخضر تبدو أقل صخبًا من البقع القرمزية على الأبيض الناصع.

فتحت «سو» فمها لتتكلم، ولكن يده أمسكت بها وأدارتها ثم وضع يده المُغطّاة بالقفاز على فمها.

لم يكن من المفترض أن يتحول هذا إلى لعبةٍ جنسية، فحتى لو أعطته ذلك الانطباع الخاطئ بالصدفة عمّا تريده منه فعليها أن توقفه . .. الآن!

ولكن كيف يمكنها؟ فيده تسحق شفتيها إلى أسنانها. حتى أنها لم تستطع البلع جيدًا، فما بالك بالتنفس؟ رفرف ذراعها الطليق بضعف وكأنها طائر كسير الجناح، وكأنه ذراعها ورقة مناديل. تحوّل ارتباكها إلى رعبٍ شديد . .. لم تكن لعبة!

وفي الأخير ضربها بقوة على مؤخرة رأسها.

* * *

الفصل السادس عشر

وصل «كيفن» إلى قسم الشركة في توقيتٍ ممتاز. تأكّد من أنه يظهر نفس التكشيرة التي لطالما ارتسمت على وجهه على مدار الشهور القليلة الماضية.

كان الرجال والنساء الذين قاربوا على الانتهاء من نبطشيتهم المسائية يهرولون في الجوار بابتساماتٍ عريضة على وجوههم ويتبادلون التحيات.

- ما الذي يحدث؟

سأل « كيفن » شرطيًا صغيرًا اسمه «جاس بانون».

- فاتك نصف عمرك ليلة أمس! كان درو ويلسون وطاقمه قد خطَّطوا لاقتحام بيت كيندر، ولكننا حصلنا على إخباريةٍ سرية غير معلومة المصدر، فألقينا القبض على أغلبهم.

اصطنع العبوس بعض الشيء ليغطي على فرحته وأضاف:

- من المؤسف أن اثنين منهم هربوا، ولكن هناك أربعة – ومنهم درو نفسه – في التخشيبة.

- حقًّا؟

حاول « كيفن » أن يبدو مصدومًا ومتفاجئًا:

- لطالما حاولنا القبض عليهم لمدة شهور، ولكنهم كانوا أسبق منّا دائمًا.

- حقيقي، ولكن وقع خطبٌ سيئ ليلة أمس. كان عليك أن ترى الصدمة تعتلي وجوههم، هربوا في كل اتجاه . .. صدمة!

ربت « كيفن » على كتفه وقال:

- أحسنت صنيعًا يا رفيق . .. أحسنت صنيعًا.

سلك طريقه إلى غرفة خلع الملابس. علم أن «زين برويت» سيكون هناك بالفعل. فتح « كيفن » الباب ونظر حوله. لم يكن هناك إلا «برويت»

يجلس بوجهٍ مصفرّ على أحد المقاعد الخشبية. اصطنع « كيفن » الحزن، ولكن قلبه كان يرقص فرحًا.

- سمعت عن قصة أمس في بيت كيندر.

حافظ على صوته طبيعيًا، ثم نظر إلى «برويت» متسائلًا وهمس بصوتٍ خفيض:

- كنت أظن أن درو ويلسون أحد رفقائك، ماذا حدث؟

قفز «زين» من مقعده وبدأ يجوب الغرفة.

- وما يدريني؟! ولكن إذا وشى «ويلسون» بي فسأصبح في مصيبةٍ كبيرة.

آمل « كيفن » في قرارة نفسه أن يكون الأمر كذلك. قال:

- ولكنك أرسلت إليه المعلومات الصحيحة. لقد رأيتك وأنت تضغط رمز نظام الإنذار وجعلتني أغطي عليك لتحصل على نسخة من مفتاح الباب الخلفي.

- بالفعل، وقد أرسلت إليه رسالة وأخبرته بأن يلغي العملية في حالة خروج ذلك المخبول « دانيل كيندر»، فلماذا ذهب بحق الجحيم؟ لا فكرة لدي!

حدّق « كيفن » في «زين»:

- هل أنت متأكد من أنه استلم رسالتك؟

- لقد أكّد عليّ مثل كل مرة.

زمجر «زين» وأردف:

- ومع ذلك استمر ذلك الملعون في المهمة.

حوّل وجهه المصفرّ حينها ناحية « كيفن » وقال:

- ولكن هذا ليس كل شيء . .. لقد فقدت هاتفي اللعين!

افتعل « كيفن » الصدمة:

- اللعنة يا «زين»! إذا وجده أحدهم فستكون في خبر كان.

سكت برهة ثم سأل:

- هل تظن أن «درو ويلسون» سيحاول توريطك؟

اكفهرّ وجه «زين»:

- ماذا ترى يا عبقري؟ أراهن على أنك ترقص فرحًا الآن، هل أنا مخطئ؟

ابتهج «كيفن»، كم أراد حينها أن يصرخ بأنه يقضي أسعد وقتٍ في حياته! قال بجد:

- أنت شرطي فاسد يا «زين» وعلاقاتك كلها وسخة. حتى أنت كان يجب أن تدرك أن نهاية هذا الطريق مسدودة. لطالما لعبت بقذارة، والآن

حان دورك لكي تلقى مصيرك الأسود.

استدار «زين» وجذب « كيفن » من تلابيبه ثم دفعه ناحية واحدة من خزانات الملابس:

- حسنًا، ولكن حتى لو كان مصيري أسود فسيظل فمك مغلقًا أيها اللوطي الحقير.

شم « كيفن » رائحة فم «زين» الكريهة ورأى الغضب والخوف في عينيه على بعد سنتيمترات منه.

- وما قلته لك من قبل سيظل قائمًا، لذا تذكّر جيدًا، وإلا ستعرف ابنة أخيك اللطيفة «صوفي» أنك لا ينبغي عليك أن تتجرأ على زين برويت! ستعاني يا «كيفن»! هناك أفعالٌ كثيرة يمكن أن أفعلها لكائنٍ رقيق مثلها . .. أفعال ستغيّر حياتها إلى الأبد!

دفع « كيفن » بعنف على الأرض وقال:

- هذا بخلاف كل تلك الصور الجميلة التي ستجد طريقها إلى أبيك . .. صور لا تناسب ألبوم صور العائلة الكريمة!

قاوم « كيفن » وقال:

- أوه، لا تقلق بشأني. أنت تعرف أنك نلت مني تمامًا. لن أتكلم مع أحد. كل هذه المشكلات مشكلاتك أنت يا زين، أنت السبب فيما آل إليه حالك.

ضبط معطفه وقال:

- عليك أن تكون شاكرًا أن هذا لم يحدث في نبطشيتنا، هل تتخيل حجم خيبة الأمل التي كانت ستحدث إذا أرسلوك للقبض عليهم؟ كان درو ويلسون سيقتلك من تلقاء نفسه! والآن أقترح أن نخرج ونحاول التصرف بطبيعية.

تحرّك نحو الباب ولكنه لم يتمكّن من أن يقول له: « حتى لو كنت تبول على نفسك! »

* * *

بحلول العاشرة صباحًا كانت « سكاي » قد بدأت تتمنى لو أن الشرطة كانت احتجزت «دانيل». كان قد اتصل على هاتفها في الثامنة والنصف وأخبرها بصوتٍ مضطرب أن بيت والدته قد تم اقتحامه. كان أول ما جاء في بالها أنها لم تغلق الباب جيدًا، أو أنها نسيت ضبط جرس الإنذار، ولكنها علمت جيدًا أن الوضع ليس كذلك. لم يكن بيتها، وبالتالي كانت حريصة جدًا.

- الشرطة هناك ومعهم وحوش الطب الشرعي يجوبون المكان مرة أخرى . مرتان في غضون أيام ! ستغضب أمي كثيرًا !

بدا كطفلٍ على أعتاب نوبة غضب .

- « دانيل»، إن والدتك على بعد آلاف الأميال في غابةٍ تناجي نباتات السرخس وحشرات

اليعسوب. وأنا متيقنة تمامًا من أننا سنرتب الأوضاع مجددًا قبل عودتها.

أكّدت « سكاي » على كلمة « مجددًا » .

لم يرحها شيءٌ من بعد تنظيفها البيت مع «ليزا». كانت الشرطة التايلندية تحاول العثور على مكان تواجد «روبي كيندر»، وفور عثورهم عليها ستأخذ أول طائرةٍ مُتاحة تعود بها.

- هل أخذوا أي شيءٍ ذي قيمة؟ هل تضرّر أي شيء؟

- لا شيء، كان هذا على وشك الحدوث، ولكن أحدهم اتصل بالشرطة فأمسكوا بهم قبل أن يهربوا في شاحنتهم مع نصف أغراض البيت . . حمدًا لله!

كانت الأمور قد سلكت مسلكًا سيئًا بالفعل في بيت آل كيندر قبل أن يأتي اللصوص ويحاولوا سرقة أغراضهم.

- وكيف حالك يا حبيبي؟ هل تمكّنت من النوم؟

تذمّر «دانيل»:

- لا أعرف، ظننت أنني نمت. قالت الشرطة إنهم اتصلوا هنا ليخبروني بشأن السرقة، ولكنني لم أسمعهم.

- إذًا فقد نمت جيدًا، أليس كذلك؟

- أنتِ لا تفهمين يا «سكاي»، لا أعتقد أنني كنت هنا.

لم يقل أي شيء بعدها، ولم يكن مضطرًا. شعرت « سكاي » بصداع يتشكّل خلف عينيها المتعبتين. أرادت أن تبكي، ولكنها سألت برفق:

- أين كنت عندما استيقظت؟

- هنا، في فراشي. ولكن عندما استيقظت كان هناك . .. كان هناك طين على حذائي.

ارتعد صوته مجددًا، فردّت عليه «سكاي»:

- ابق في مكانك . .. أنا قادمة.

* * *

جلس الفريق، ومعهم «جاي بريستون»، في مكتب «جاكمان». كانوا قد شربوا دورين من القهوة وبدأوا مع محاولة السطو على بيت « دانيل كيندر».

قالت «ماري»:

- لولا تلك الإخبارية مجهولة المصدر لكنّا في حيص بيص. فقد استغنت الصحافة عن البقاء عند عتبات الباب، كما أن والدة كيندر ما زالت بالخارج، والناس يظنون أن « دانيل » ما زال قيد الاحتجاز، ومع انتقال «سكاي»، كان البيت بمنزلة مطمع للصوص. اللعنة! حتى القطة

نفسها غادرت.

قطب « جاكمان » حاجبيه:

- تلك المكالمة جاءت في وقتها، أليس كذلك؟ منحت رفقاءنا الوقت المناسب للذهاب هناك والإمساك بهم متلبسين بالمسروقات في الشاحنة.

سأل «تشارلي»:

- لو كان الجيران هم من اتصلوا لكانوا أعطونا أسماءهم، أليس كذلك؟ لا سبب يمنعهم!

فرك « جاكمان » ذقنه:

- يعتقد زميلٌ لي ذهب هناك الليلة الماضية أن « دانيل » هو من اتصل برقم (999).

- «دانيل»؟

- إنه متأكد من أنه شاهده . .. لم يكن في البيت، بل بالقرب من الطريق. وعندما ذهبوا إلى بيت « سكاي وينيارد» ليخبروه بشأن محاولة السرقة لم يكن هناك ولم يفتح الباب. لم يروا أثره إلا باكرًا هذا الصباح.

سأل «جاكمان»:

- إذًا ماذا قال لهم؟

- قال إنه أخذ شيئًا ما ليساعده على النوم.

وأعتقد أنه غطّ في النوم بعدها.

تذمّر « جاكمان » قلقًا:

- اللعنة! ما زلت أقلق حيال ذلك الرجل! ولكن علينا أن نكمل. علينا أن نناقش مسألة آل فليت وقتيلتنا الثانية جوليا هوب، وما زال أمامنا أن نعرف كل شيء عن فرانسواز ثابيه.

رسم « جاكمان » دوائر سميكة ثقيلة في مذكرته محاولًا تصفية ذهنه المنشغل:

- حسنًا، دعونا نضع قائمة بما لدينا، ثم نقرّر كيف نشرع.

نظر إلى «ماكس» و«تنشارلي»:

- أخبرانا بما تعرفانه عن آل فليت.

أومأ «ماكس» لـ«تنشارلي»:

- من بعدك يا زميلي.

نظر «تنشارلي» في مذكرته وقال:

- أولًا، كانا يعانيان من أزمةٍ ماليةٍ كبيرة. كان مصنع الجعة الخاص بهما يوشك على الإفلاس، وبشكلٍ أو بآخر تمكن بروس فليت من سداد ديونه للجميع. ثانيًا، لم يصف الطبيب المعالج لأليسون فليت أي أدوية مضادة للاكتئاب، ومع ذلك تم العثور على كميات كبيرة منها في أحذيتها في قاع دولابها في بيريلاندز.

سأل «جاي بريستون»:

- هل كان هناك أي أسماء أدوية على العبوات؟

- لا، بل كانت جميعها مختلطة في حقيبة بلاستيكية، أي غير معبئة.

قلب «تشارلي» الورقة وأردف:

- ولكن أخصائيي الطب الشرعي تعرفوا على شيءٍ ما اسمه « كلوميبرامين هيدروكلوريد » ، ويبدو أنها كانت تتعاطاه لمدةٍ ليست بالقصيرة.

- هذا عقار مضاد للاكتئاب ثلاثي الحلقات، يُشاع استخدامه للمرضى بالاكتئاب وأصحاب المشكلات الأخرى. ولكن إذا لم يكن طبيبها المعالج قد وصف لها تلك العقاقير، فمن فعل؟

عاد «تشارلي» إلى مذكرته وقال:

- لقد أكّد الطبيب المعالج على أن أليسون فليت لا تعاني من أي مشكلات صحية كبيرة، ولم يكن ليحيلها إلى أي استشاري طبي في الخمسة عشر عامًا الأخيرة التي كان يشرف فيها على حالتها.

- حسنًا، يبدو أنها كانت تعالج نفسها عبر الإنترنت اللعين.

جاء صوت « بريستون » غاضبًا وأردف:

- هذا خطر جدًا. لا يتعلم البعض إلا بعد فوات

الأوان، وعلينا حينها أن نجمع ما تبقى من صحتهم.

مال «ماكس» إلى الأمام وقال:

- لا أعرف كيف حصلت على الأقراص يا بروفيسور، ولكن أعتقد أنني أعرف سبب محاولتها تجنّب أي مشكلات.

مرّر يده عبر شعره السميك الأسود:

- طلبنا من أحد رجالنا أن يفحص حساباتها، وخصوصًا الخيرية منها، واكتشفنا نشاطًا غريبًا. ظل المال يدخل ويخرج بين حساباتٍ مختلفة، كما أن هناك مبالغ كبيرة مختفية. يبدو أنها كانت تحاول تزوير كشوف حساباتها.

سألت «ماري»:

- لكي تكفل زوجها الحبيب؟

قطب «ماكس» حاجبيه: ربما . .. ولكن لا يوجد سحب بالمبالغ التي كان يدين بها مصنع الجعة أو حساب فليت الشخصي.

تدخّل «تشارلي»:

- كما أنها لم تكن تخبئ الأموال تحسبًا للظروف. فحساباتها كانت شبه مفلسة، ولم يكن لها أي أعمال بالخارج.

أردف «ماكس»:

- مما يعيدنا إلى زوجها الأول. اسمه سكينر، راي سكينر . .. اسمه ظهر على جهاز الآيباد الخاص بأليسون فليت. نعتقد أنها كانت على اتصالٍ معه مؤخرًا، ولكن ليس من السهل التعرف على مكانه.

سأل «جاكمان»:

- هل نعرف سبب انفصالهما؟

- كانا قد تزوجا في سنٍ صغيرة جدًا، وقيل إنه كان هناك عنف منزلي بينهما، ولكن لا توجد أي شكوى رسمية منها ضده. الأمر كله تكهنات من المعلومات التي توصلنا إليها، ولكن لا شيء رسمي.

سألت «ماري»:

- ولماذا تتواصل معه الآن؟

- لماذا يا ترى؟

بدا صوته وكأنه كان ينبغي عليه أن يكون جزءًا من حياتها لا تنساه.

قال «تنشارلي»:

- ربما لأنه لم يرد أن يدعها وحالها. قد يكون الابتزاز إجابة لمشكلة التدفق النقدي تلك.

أومأ «جاكمان»:

- استمر في البحث إذًا، فربما يكون أيضًا السبب في تعاطيها تلك العقاقير.

وقبل أن يكمل حديثه رنّ جرس الهاتف. تحدّث بضع دقائق ثم وضع السمّاعة وقال:

- حسنًا، اتضح أمرٌ ما. اتصل المعمل للتو وأكّد أن وفاة بروس فليت سببها الانتحار لا محالة. بصماته منتشرة على الأنبوب وجسم السيارة بالقرب من أنبوب الإطفاء. أغلق أبواب السيارة وأبواب الجراج كذلك من الداخل، وهو من كتب رسالة الوداع كذلك. ليس لدينا إلا البصمات حتى الآن بما أن الاختبارات الأخرى ستأخذ وقتًا، ولكن المعمل أكّد أن الوفاة سببها الاختناق الكيميائي، وتشير التحقيقات الأولية إلى أن بروس فليت هو من فعلها.

اكفهرّ وجهه وأردف:

- على الأقل ليس لدينا قتيلٌ ثالث.

أضاف «تشارلي» متجهمًا:

- علينا فقط أن نثبت أنه ليس بقاتلٍ ميت. ربما كان بروس فليت في حالةٍ عقليةٍ صعبة بعد إفلاسه، ولما اكتشف أن زوجته تغدق على زوجها السابق بالمال من ورائه جن جنونه.

هنا تدخّل «ماكس»:

- ولكنك نسيت أن الرجل لديه حجة غياب يا

عزيزي ماكس، فقد كان على بعد أميالٍ يتفاوض مع كبار مصنعي الجعّة.

- ما زال نفس السيناريو قائمًا، ولكن في هذه الحالة يدفع بروس لأحدهم ليقوم بالمهمة بدلًا منه . .. وبذلك تصبح حجة غيابه قوية كما أسلفت.

- وماذا عن ممرضتنا القتيلة جوليا هوب؟ لقد تم استخدام نفس السكين، ولكن لا علاقة بينها وبين آل فليت، فلماذا يقتلها؟

هزّ «تشارلي» كتفيه وقال:

- نعم، حسنًا، لم أذهب إلى هذا المدى.

أسند « جاكمان » ظهره وتمدّ وقال:

- ما زلنا لا نعرف إلا القليل القليل عن «جوليا هوب». لا نعرف حتى أين قُتلت، فما بالك سبب مقتلها.

قالت «ماري»:

- طلبت من رفاقنا أن يفحصوا كاميرات المستشفى منذ تاريخ آخر تواجدٍ لها هناك. سيحاولون عمل تصورٍ لتحركاتها منذ آخر مرة شوهدت فيها إلى موعدِ قتلها. كما أنهم يتحدثون مع كل زملائها في العمل وأصدقائها للتعرف على آخر من كان له صلة بها.

فكّر « بريستون » وقال:

- ربما تكون المستشفى الصلة المشتركة بين الضحيتين؟ إذا افترضنا أن هناك صلة مشتركة.

تدخّل «ماكس»:

- حسنًا، «جوليا» كانت ممرضة، و«أليسون» كانت تتعاطى كميات كبيرة من العقاقير الموصوفة. هل ثمة احتمال، ولو ضئيل، لوجود نشاطٍ غير قانوني لتداول العقاقير في المستشفى؟

تذمّر «جاكمان»:

- لم أفكر في هذا!

قالت «ماري»:

- من الممكن . .. الأمر يستحق بعض التحريات السرية يا زعيم!

أومأ ببطء:

- موافق، ولكن بسرية شديدة جدًا. إذا كان طاقم الممرضات مستعد لإعطاء أحد شرطيينا جرعة من المسهلات ببساطة لأنه يؤدي عمله، فكان الله في عون من يتهمهم بالاتجار في العقاقير.

توقف برهةً ثم أضاف:

- كما أننا ما زلنا نحاول أن نعرف ما إذا كان « دانيل كيندر » ابن قاتلة وورث عنها الرغبة في

القتل أم لا.

- أو مجرد أبله أحمق.

قالها «ماكس» وردّ عليه «جاي بريستون» مبتسمًا:

- معك حق يا «ماكس». رغم أنني أظن أن مشكلاته أكبر مما تقول.

- عذرًا يا بروفيسور، ولكن هكذا يسير الأمر، أليس كذلك؟ إما قاتلٌ خطير وإما محتال يريد التدخل في تحقيق قضية قتل خطيرة.

- أتفق معك في هذه الصيغة.

صمت « بريستون » برهةً ثم سحب حاسوبًا محمولًا من حقيبته الجلدية:

- بالمناسبة، قمت بتصوير الكثير من أبحاثي الباكرة عن فرانسواز ثايبه. هل يمكن لأحدٍ منكم يا شباب أن يطبعها للجميع؟ ستجدونها محفوظة في مستندٍ يحمل اسمها.

- لا مشكلة، سأعود بعد دقائق.

أخذ «تشارلي» الحاسوب المحمول وتوجه نحو الباب.

قالت « ماري » بجد:

- وأنا تفحصت الأشياء التي توصلت إليها

«أوراك» . .. معك حق يا سيدي، فقد أخذت مني مجهودًا كبيرًا. حاولت التركيز على حياتها الشخصية، وخصوصًا أي شيءٍ عن ولادتها لطفل.

أضاف «بريستون»:

- كان ولدًا، وتم أخذه للرعاية، أليس كذلك؟

- بالضبط، وحفاظًا على سلامته تم منحه هوية جديدة وتمت متابعة حالته بدنيًا وعقليًا طوال سنواته المدرسية الأولى. والآن، في ظل ما توصلنا إليه، فإنه من المستحيل الوصول إلى ذلك الابن، ما لم تمارس «أوراك» بعض السحر.

اهتزّت « ماري » وأضافت:

- ليس لدينا تاريخ ميلاده لأنها لم تسجله قط. ولكن عمر الطفل يتطابق مع عمر « دانيل كيندر»، ولكنه يتطابق مع الكثيرين أيضًا.

- لا أعرف ما إذا توصلتِ إلى هذه المعلومة من خلال بحثك، ولكن الطفل تعرّض لمعاملةٍ سيئة للغاية . .. إساءة بدنية، وتعذيب نفسي، وربما ما هو أكثر بكثير. وعندما أبعدوه عنها كان محض حطام.

سأل «جاكمان»:

- ألم يكن له اسمٌ قط؟

- لا، ولكن يُشار إليه باسم « الولد السادس » في كل التقارير.

سأل «ماكس» متعجبًا:

- ولماذا السادس؟

- لم أعرف، ولكن ربما لأنه وُلد في اليوم السادس من الشهر. شيء من هذا القبيل.

أخذت « ماري » تقلّب في مستند «أوراك» ثم قالت:

- نفس الكلام هنا، يقول المستند إن الولد السادس تعرّض لصدمةٍ شديدة حتى قيل إنه من غير المحتمل أن يتذكّر الأشياء التي حدثت له في حياته الباكرة.

تمتم «ماكس»:

- اللعنة! وكأنه لعبة دان ذا مان!

وقبل أن يردّ عليه أحدهم دفع «تشارلي باتون» الباب ووزّع نسخ ملاحظات أبحاث «جاي بريستون » بشأن فرانسواز ثاييه.

كانت « ماري » منشغلة بملف «أوراك». نظرت إلى « جاكمان » وقالت:

- الغريب أن ثاييه ربما قتلت حتى سبعة آخرين! ما زالت الشرطة الفرنسية تحقق في قضايا مرتبطة بها، ولكن بدون إثبات. وكلها جرائم

وحشية قاسية تتضمن استخدام شفراتٍ حادة. يبدو أنها كانت ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسكاكين والأمواس والفؤوس وأي شيء يلحق أكبر قدرٍ من الضرر بضحيتها.

أضاف «بريستون»:

- ويتسبب في فقدان أكبر قدرٍ من الدماء. سترين في ملاحظاتي أنني كنت متأكدًا من أنها كانت تعاني من شيء اسمه « جنون الدماء ». .. أي الإعجاب المرضي بالدماء.

اتسعت عينا «تشارلي» وقال:

- ماذا؟ مثل دراكولا؟

أطلق « بريستون » ضحكةً قصيرة:

- بل أكثر من ذلك يا عزيزي «تشارلي». إن المصابين بهذا الاضطراب أشبه بمصاصي دماء حقيقيين، غير أن جميعهم لا يشربه بالفعل.

أومأ «جاكمان»:

- سمعت عن هذا، أليس هذا شبيهًا بـ«اشتهاء الدماء » ؟

اتسعت عينا « بريستون » وقال:

- اعذرني، ولكن ليس هناك الكثير من مفتشي المباحث على دراية بمصطلح طبي كهذا.

هزّ « جاكمان » كتفيه وأردف:

- اشتهاء الدماء مصطلح يُستخدم لوصف اعتقاد مجتمعي أو ثقافي بأن الدماء مادة تتضمن قوةً أو خصائص سحرية. أتذكر أن المصطلح يعني « شهوة الدماء » بالمعنى الجنسي للكلمة، ويتضمن هذا الممارسات السادية والرياضات الدموية.

- معك حق. وحتى بمعناه الجنسي فإنه اضطراب خطير جدًا، ليس فقط بسبب الإصابة المستدامة والندوب التي يخلّفها، بل بسبب الأمراض التي يتم تناقلها عبر الدماء.

شعر «ماكس» بالتقزّز:

- هذا مقرف!

قال « بريستون » متجهمًا:

- صدّقني لو قلت لك إنه من الأفضل أن الإعلام لم يهتم كثيراً بقضية فرانسواز ثاييه. إذا علم الناس بما كانت فرانسواز مقبلة عليه لكانوا اختبئوا في بيوتهم وأغلقوا الأبواب حتى يُقبض عليها. كان الأمر سيصل إلى طريقٍ مسدود.

قالت «ماري»:

- تقول مستندات «أوراك» إن أخصائي الأمراض لدى وزارة الداخلية يعتقد أنها كانت تتمتع بأسلوبٍ مميزٍ جدًا في القتل. في البداية كانت تجرح ضحاياها لينزفوا بشدة، ولكنها لا تصيب الضحايا بجروحٍ قاتلة في البداية. ثم تشرع بعد ذلك في عمل تمزقاتٍ أعمق تتسبب في نزيفٍ بكمياتٍ مهولة حتى إما تقضي عليهم أو تراقبهم وهم ينزفون حتى الموت.

بلعت ريقها وأضافت:

- السفاحة الشقراء . .. اسم على مسمى.

أخذت تقرأ في المذكرة بصوت واضح:

- ثم يضطرب نزيف الدم! ما معنى هذا بحق الجحيم؟

- كانت تضع كفي يدها في الدماء الدافئة وتحركهما ببطء في نمطٍ دائري. كانت تحب استعراض هذا الأمر أمام أي مريضٍ يشاركها.

نفخ « بريستون » خدّيه:

- لم تشرب الدم ولم تستحمّ فيه . .. بالنسبة لثاييه كانت المتعة في اللمسة الأولى للدماء الطازجة على يديها. أظن أن هذه كانت متعتها الوحيدة.

زمجر «ماكس»:

- المريضة اللعينة!

أضاف «تنشارلي»:

- معك حق!

تنهّدت «ماري»:

- ولكن كل هذا لا يحركنا قيد أنملة لمعرفة أصل « دانيل كيندر»، أليس كذلك؟

- لا، ولكن لديّ فكرة.

فرك « جاكمان » رأسه:

- بما أن «أوراك» كانت لطيفة بما يكفي لتتواصل مع المحقق الذي قاد التحقيق الأصلي، فلن يضر أن نتحدث معه. ربما أكون مخطئًا، ولكن هناك احتمال أنه يخبئ شيئًا صغيرًا ما لم يجد طريقه

إلى حقيبة الأدلة.

ردّ عليه «تشارلي» متشككًا:

- مذكرة مثلا؟ لماذا؟

- عادةً ما يحدث هذا عندما تكون القضية عصيّة على الحل، حينها يجد المحقق نفسه غير قادر على إفلاتها.

نظر إليه « بريستون » باهتمام واضح:

- مذكرات وتذكارات وجوائز وهدايا وعملات رمزية كلها. كلها ذات مغزى قوي كما تعلم يا سيادة المفتش إذا كنت درست علم الاجتماع من قبل.

تدخّل «تشارلي»:

- حسنًا، أعلم أن القتلة المتسلسلين يحبون الحصول على تذكارات، ولكنني لم أعتقد أن شرطيًا قد يجمع تذكارات من الأموات.

قال « جاكمان » بلطف:

- ليست تذكارات من أموات يا «تشارلي»، إنها مجرد أشياء من قضية لا يمكنك نسيانها، قضية أخذت شهورًا وسنين من عمرك. قد تكون القشة الأخيرة، قضية أفسدت زواجًا أو جعلت أحدهم يدمن الخمر. إنه أمرٌ شديد الخصوصية يا تشارلي . .. قضية العمر.

قالت «ماري»:

- سأذهب أنا وسأتصل به، وإذا وافق على مقابلتي سأغادر على الفور. إذا أخذت الدراجة سألحق اجتماع ما بعد الظهيرة، أملًا في أن يكون معي بعض الإجابات.

نظرت إلى « جاكمان » وقالت:

- وأعلم فيما تفكّر يا زعيم، لا تقلق.

ابتسم « جاكمان » وأومأ:

- لا تقودي بسرعة.

نظرت إليه وقالت:

- نعم، حسنًا.

وضعت الأوراق على مكتبه وغادرت الغرفة. لاحظ « جاكمان » النظرات على وجوه الثلاثة الآخرين. كان يفكّر في الحصول على حمضٍ نووي.

إذا كان ذلك المحقق العجوز قد أخذ شيئًا فلا بد أنه يعود إلى القاتل نفسه، وربما تكون هناك فرصة أمام الطب الشرعي، باستخدام تكنولوجيتهم الجديدة، للحصول على شيءٍ ما. صحيح أن المشوار طويل، ولكن حتى في وجود «أوراك» وإمكانياتها الفائقة سيأخذ الأمر أسابيع لتتبع صناديق الأدلة المفقودة تلك، وقد

يكتشفون في النهاية أنها تحوّلت إلى كومةٍ صغيرة من الرماد في مبنى محروق. كان الأمر حقًا يستحق محاولة التخلص من هم غموض « دانيل كيندر».

- إذًا، ما زالت تأخذ دراجة نارية؟

أعاد صوت « بريستون » « جاكمان » من غفوته القصيرة.

قال «ماكس»:

- أوه، فعلًا، كالريح.

افتعل «ماكس» هزةً ما وقال:

- ما كنت لتعطيني دراجةً نارية في مقابل كل أكياس الشاي التي في الصين، أليس كذلك؟

استمع « جاكمان » إلى ثلاثتهم يتحدثون عن مخاطر ركوب الدراجات النارية فشعر بتوترٍ مفاجئ. جاء توتره في الحقيقة حيال تعليقِ « بريستون » وحديثه العارض عن «ماري». تعليقه ذلك يعني أنهما كانا صديقين مقربين، ولسببٍ أو لآخر لم يرُق ذلك لـ«جاكمان».

فرك رأسه متسائلًا لمَ قد يضايقه هذا الأمر، فلا شيء بينهما، كما أنه لم يفكّر يومًا في هذا . .. ولكن تبقى هناك علاقة بينهما. لم يستطع وصفها، ولكنها علاقة قوية، وكان يعلم أنه لو سألها عن تلك العلاقة لقالت إنها تشعر بنفس

الشيء. كانا شريكين، وكان يعرف أنه قد يضحى بحياته من أجلها إذا تطلّب الأمر. كانت علاقة مبنية على الاحترام المتبادل، كما أنه أعجب بها كثيراً. كان شيئًا لم يجرّبه من قبل في العمل مع فريق التحقيقات. ومن الأشياء التي أخبرته « ماري » عنها بشأن مرؤوسيها السابقين من الشرطة، كان متأكدًا تمامًا من أنها لم تشعر بتلك العلاقة من قبل. قرّر أن تلك العلاقة تعطيه حقًّا أكيدًا في أن يعبّر عن رأيه حينما يدخل حياتها أحدهم. وتعليق « بريستون » عن ركوبها دراجة نارية بدا تهكميًا بعض الشيء، وكأن « بريستون » له الحق في أن يحدد مصلحتها.

- أخبر البروفيسور بما فعلته سيادة الرقيب بعد وفاة زوجها.

كان تشارلي ينظر إلى ماكس بحزنٍ واضح على وجهه الطفولي.

توتّر «جاكمان»، كان يريد أن ينهي هذه المحادثة، ولكن الأمر ليس بيده. فما فعلته « ماري » كان أمرًا – في اعتقاده – شخصيًا للغاية، وتطلّب شجاعة قصوى.

سأل «ماكس»:

- هل تعلم أن «بيل إيفانز» كان يقود دراجة نارية عتيقة يا بروفيسور؟

هزّ جاي « بريستون » رأسه:

- عرفت أنهما كانا يذهبان إلى سباقات، ولكن لم أعرف أنهما كانا يتسابقان فعلًا.

- كان بيل شرطيًا محترفًا على دراجة ومتسابقًا خبيرًا في وقت فراغه حتى قبل عشر سنوات حينما اصطدم وتعرّض للحرق.

جفل «جاكمان» . .. يا له من اختيارٍ سيئ للكلمات يا «ماكس»!

اكفهرّ وجه «ماكس» وقال:

- سيادة المفتش قالت لنا إنه كان يركب دراجة فينسنت بلاك شادو عتيقة . .. فخره وفرحته. كان مضمار السباق مزيتًا فانفجر محركه ومات على الفور.

شحب وجه «بريستون»:

- هل كانت « ماري » هناك؟ هل شهدت هذا؟

تدخّل « جاكمان » في الحكاية آملًا أن ينهيها:

- حدث هذا أمام ناظريها. ولكن «تشارلي» كان يتحدث عمّا فعلته « ماري » بعد ذلك.

أخذ « جاكمان » نفسًا عميقًا، كان لا يزال متأثرًا بما فعلته.

- سحبت دراجته المُحطّمة وأصلحتها، ثم أخذتها في ذكرى وفاته الأولى إلى نفس المضمار

وتسابقت باسمه. صحيح أنها لم تفز، ولكن لم يكن ذلك الهدف. أكملت السباق واحتلت المركز الثالث على المنصة، وهو ما كان أكثر مما آملت، ولكنها عادت إلى بيتها راضية. ودّعته بأفضل شكلٍ ممكن.

كانت الدرّاجة – حسب علم « جاكمان » – لا تزال في جراجها مُغطّاة ومحمية من الأذى. والآن تركب « ماري » دراجة كوزاكي نينجا زي إكس- 6 آر، وربما هي في الطريق الآن متجهةً إلى روتلاند.

- نعود إلى موضوعنا، ما زال لدينا امرأتان ونحن بعيدون كل البعد عن وداعهما.

* * *

الفصل السابع عشر

راقبت « سكاي » « دانيل » يجلس على الأرض يحتضن القطة. انحنى كتفاه واقتربت ركبتيه من صدره. بدأت « سكاي » تشعر أن عالمها ينهار.

كان « دانيل » بحاجة إلى مساعدة، وإن لم يحصل عليها سريعًا سينتهي به الأمر محطمًا. كيف تحوّل من شخصٍ ذكي له مستقبل باهر إلى .. إلى هذا؟ أصبح غريبًا منبوذًا مأسوفًا عليه. لم يكن بمقدورها إلا أن تخمّن أن هوسه الطويل بفكرة القاتل المريض استفحل بفضل

مقتل أليسون فليت، وهذا كان كثيراً على عقله ليستوعبه.

ولكن ماذا عليها أن تفعل؟ من الطبيعي جدًا أن تقول إنهما سيتعاونان مع المعالج النفسي الذي ستوفره الشرطة، كما أنها اطمأنت كثيرًا من أن « دانيل » وافق على هذا الاقتراح، ولكن الأمر سيأخذ ساعةً كل يوم، هذا إن كانا محظوظين، ثم بعد ذلك ستصبح ساعة كل أسبوع ثم ساعة كل شهر.

جلست على الأرض بجواره واحتضنته. لا بد أنهما ظلّا على هذا الوضع، بدون كلام، لوقتٍ طويل، لأن ذراعيها ورجليها كانا متخشبين عندما همّت بالقيام فور ما إن رنّ جرس الباب.

بدا على « دانيل » أنه لم يسمع الجرس. لا بد أنه بالكاد لاحظ حضنها الدافئ قد ابتعد عنه. شعرت « سكاي » بنبضة خوفٍ في طريقها لفتح الباب. ماذا يا ترى في هذا الوقت؟ أي وجهٍ كئيب ستجده عند عتبة بابها؟ أي أخبارٍ مزعجة ستسمع؟ تساءلت: هل بإمكانها أن تتحمل المزيد؟

- آسفة على الإزعاج!

بدا القلق الشديد على «ليزا هيرلي».

- لقد نسيت هاتفك لديّ عندما خرجتِ في وقتٍ باكر.

حدّقت « سكاي » في الهاتف الأسود والأحمر في يد «ليزا» الممدودة وكادت تضحك عاليًا. فالشخص الواقف على الباب كان مجرد صديق يعيد إليها شيئًا كان ضائعًا. ابتسمت، غير أنها شعرت بالدموع تهرب من مقلتيها.

- شكرًا جزيلًا، لم أعرف أنني تركته حتى.

نظرت «ليزا» إلى عينيها المغرورقة بالدموع:

- سكاي، لا بد من مساعدة. لا يمكنك تحمّل هذا وحدك. ستُصابين بالعلّة.

حاولت « سكاي » مقاومة دموعها، وأخذت نفسًا مرهقًا، ثم أدخلت «ليزا».

سارا معًا عبر الصالة ودخلا في ممر إلى الرواق. أشارت « سكاي » إلى الراقد على الأرض وكأنه تمثال بوذا حجري:

- انظري إليه! انظري إلى « دانيل » حبيبي يا «ليزا»! أحبه، ولكنني لا أعرف ماذا أفعل أكثر. لا أعرف كيف أساعده.

حدّقت «ليزا» في « دانيل » ثم التفتت وعادت إلى مطبخ «سكاي». ملأت الغلّاية وشغّلتها بدون كلام، ثم أخذت ثلاثة أكواب من خزانة المطبخ وقالت:

- منذ متى وهو على هذا الحال؟

فتحت «سكاي»، السعيدة بأنها تقوم بشيءٍ طبيعي أخيرًا، برطمان قهوة جديد وقالت:

- منذ ساعة . .. كان عصبيًا متوترًا عند عودتي. أخذ يروح ويجيء ويتخيل أنه تعرض لإحدى تلك النوبات حيث لا يعرف أين كان. ثم رقد على الأرض وراح في عالمٍ آخر.

- إنه يحتاج إلى علاجٍ ما . .. علاجٌ حقيقي بناءً على مظهره، ولا ينبغي أن يبقى وحيدًا.

ضاقت عينا ليزا وأضافت:

- إلى من أحيل؟

- البروفيسور جاي بريستون، طبيبٌ نفسي يعمل مع الشرطة. من المفترض أن نراه بعد الظهيرة.

- أين؟

- في بيته.

- هذا ليس صحيحًا بالتأكيد. يجب أن يرى « دانيل » في عيادة.

تنهّدت « سكاي » ووضعت قسطًا من القهوة في كل كوب.

- إنه يتابع حالة « دانيل » بشكلٍ شخصي، الأمر متعلق بإطلاق سراحه. وبقدر فهمي للأمر فإن « بريستون » هذا سيتولى مسؤولة وحدة العلاج النفسي الجديدة في فرامبتون شور، ولكن المبنى

لم ينتهِ بعد، ولذا عرض علينا أن يتابع حالته في بيته. إنه رجلٌ خبير بكل ما في الكلمة من معنى.

- هل تحدثتي إليه؟

- نعم، ويعجبني . .. إنه يساعد كثيراً.

بلعت « سكاي » ريقها:

- أثق فيه، وأعتقد فعلًا أنه سيساعد دانيل.

دفعت الكوبين ناحية الغلّاية وأضافت:

- ولكن الأهم من كل ذلك أنه في صفنا. لا يعتقد أن « دانيل » قتل أحدهم، وقد قال للشرطة ذلك.

استندت «ليزا» على الطاولة:

- رائع! ولكن يجب أن يراه وهو في هذه الحالة.

نظرت مباشرةً إلى « سكاي » وأردفت:

- أكره أن أقول لكِ هذا، ولكنه في هذه الحالة السيئة يحتاج إلى ما هو أكثر من حبك ودعمك. يحتاج إلى مساعدةٍ محترفة.

- حسنًا، سأشرح لـ«جاي بريستون » مدى سوء الأمر عندما نراه بعد الظهيرة. ربما يحيل « دانيل » إلى المستشفى.

- سيكون هذا في مصلحته، ولكن الآن علينا أن نحاول التحدث إلى «دان».

سكبت «ليزا» الماء واللبن والسكر في الكوبين.

- يجب علينا أن نتجاوب أكثر إذا حصل على جلسةٍ مفيدة مع الطبيب النفسي.

تقدّمت « سكاي » الطريق إلى الرواق ثم توقفت فجأة. لفّت القطة نفسها حول قدميها.

- دانيل؟

وضعت الكوب على المنضدة وركضت لترى غرفة النوم ودورة المياه.

نادت على «ليزا»:

- لقد اختفى!

أسرعت «ليزا» لتفتح الباب الخلفي وترى بالخارج ثم صاحت:

- إنه هنا!

ركضت « سكاي » ناحية «ليزا» لترى « دانيل » بين السير والركض عبر الزقاق الخلفي:

- «دانيل»! ارجع!

ركضا وراءه معًا. ظنّت « سكاي » لوهلة أنه سيعود إليها. توقف « دانيل » واستدار ثم نظر إليه بأتعس تعبير ثم قال:

- لا تقتربي مني يا «سكاي»! ابتعدي عني!

ثم ركض.

طارداه، ولكن بعد أن تخلّل سورًا واختفى وسط متاهةٍ من مباني السكة الحديدية القديمة علمت « سكاي » أنهما لن يلحقاه. شعرت بيد «ليزا» على كتفها وهما يلهثان.

- هناك سيارة شرطة أمام منزلك. كان علينا أن ننادي عليهم أولًا بدلًا من مطاردته بأنفسنا. سأذهب لأخبرهم بما حصل. عودي إلى البيت واتصلي بالبروفيسور بريستون، حسنًا؟

نظرت « سكاي » لوهلة إلى اتجاه «دانيل»، كم تفتقده للتو! أومأت وعادت مسرعةً إلى البيت.

* * *

رأت « ماري » أن «أوراك» كانت محقة بشأن المحقق المتقاعد «بيتر هودر». كان رجلًا عجوزًا لطيفًا. قدّم لها كوب شاي شهي ونظّف أوراق النعناع في مصفاة فضيّة.

كان «هودر» يعيش في شقة تقاعد كانت شيئًا آخر من قبل. كانت الأرضيات رائعة على قدمها، ورغم أن البيت القديم بدا باردًا ومملًا من الخارج، إلا أن الشقق كانت دافئة وواسعة ونظيفة على نحوٍ مفاجئ. كان «هودر» قد احتفظ بأغراضٍ قديمة أصيلة، منها نافذة بابية طويلة تطل على الحديقة ومدفئة مُحاطة بالحديد المطاوع وسقف مزخرف.

- هل هذا ما يرتديه الرقيب المحقق هذه الأيام؟

غمز «هودر» وهو ينظر إلى طاقم الدراجة النارية الجلدي والحذاء الواقي الثقيل.

ابتسمت «ماري»:

- ليس تمامًا.

كان بالنسبة لها تغييرٌ كبير عن المحققين المتقاعدين الساخطين ممتلئي الجسم الذين قابلتهم في الماضي، ومن خلال يده الثابتة ونظرته المركزة علمت أنه لم يدمن الثمالة كذلك.

قبلت منه الشاي واحتست منه بعدما شكرته.

- عذرًا لأنني لا أحمل لك أخبارًا طيبة، ولكننا نأمل في أنك ربما ستساعدنا.

أراح الرجل العجوز نفسه على مقعدٍ جلديٍ ناعم واعتدل في جلسته.

- هذا المقعد باهظُ الثمن يا عزيزتي، ولكنه يستحق، صدقيني! فبعد كل السنين التي قضيتها في الخدمة ومطاردة الملاعين يحتاج المتقاعدون كل مساعدةٍ ممكنة.

أسند ظهره ووضع يده على حجره وقال:

- ولكنكِ لست هنا للحديث عن المقاعد، أليس كذلك؟ إنها تلك الملعونة فرانسواز ثابيه!

- أخشى ذلك!

وضعت « ماري » كوبها وأردفت:

- لدينا جريمتا قتل واعترف شابٌ بالاثنتين. ولكن المشكلة أنه لا يوجد أي دليل دامغ على أنه قتلهما. إنه فقط يعتقد أنه القاتل لأنه يظن أنه ابن ثاييه.

- أوه، بالتأكيد يظن ذلك.

اتسعت عيناه اللاهثتان:

- ليس أمرًا لطيفًا بالتأكيد. لقد قرأت عن إحداهما في الصحيفة، ولكن هل هناك أخرى؟

- نعم، ولكننا أبقينا الأمر سرًا حتى نتعرف على هويتها، ولكن الخبر سيُذاع الليلة. إنها ممرضة في المستشفى المحلي.

- وهل تعرضت كلتاهما إلى طعنٍ وحشي؟

- هجماتٍ متوحشة، كلتاهما . .. كان هناك دماء كثيرة.

نظر إليها «هودر» بإمعان:

- إذًا فأنتم تعلمون بشأن ميل ثاييه إلى الدماء؟

- نعم، نعلم.

- وتقارنون بين القضايا الجديدة وضحايا ثاييه؟

- ينبغي علينا هذا، صحيح أننا لا نريد هذا، ولكن بسبب الأشياء التي قالها المتهم لا يمكننا تجاهل الاحتمالية.

أمسكت « ماري » كوبها ثم حكت له عن صناديق الأدلة المفقودة ونصوص المحاكمة.

- من الصعب أن تجد نسخةً عندما تكون الأوراق الأصلية للقضية مفقودة أو تحوّلت إلى رماد.

- مستحيل طبعًا، ولكن كيف يمكنني مساعدتكم؟ لقد مرت سنون وذاكرتي لم تعد يُعتمد عليها على الإطلاق.

أخذ رشفة من كوبه.

- كانت تلك آخر قضية لك يا سيدي، وأعتقد أنك ربما تتذكر كل تفصيلة، ولكننا لا نسعى لهذا بالضبط.

لعقت « ماري » شفتيها وفكّرت في طريقة لكي تخبره بطلبها بدون أن تضايقه:

- نريد من سيادتك أن تثبت لنا ما إذا كان مشتبهنا له قرابة دم بفرانسواز ثاييه أم لا. لو كانت صناديق الأدلة متوفرة كنا سنجري اختبار حمض نووي على شيءٍ ما يعود إليها.

- ولكنها غير موجودة، والآن تتخيلين إذا ما كان لديّ تذكارٌ صغير؟

اكفهرّ وجهه وأضاف:

- صديقيني يا حضرة الرقيب، لم أكن في حاجةٍ لشيءٍ يذكرني بها، فأنا أرى كوابيس بالفعل، ولم أنس قط تلك الابتسامة الشيطانية.

أسند ظهره فيما اختفت علامات الغضب من وجهه:

- أدرك أن كلمة «شيطاني» يستخدمها البعض للمبالغة، ولكنها مناسبة تمامًا لحالة فرانسواز ثابيه. كانت المرأة الوحيدة، لا بل الشخص الوحيد الذي قابلته ووجد أنه بلا روح وميؤوس من حالته . .. لا بشر ولا رب ينفعانه. أثّرت على حياة كل شرطي عمل في تلك القضية. وأرى أنه حتى بعد وفاتها ورحيلها لم يعد أحدهم ينام جيدًا بسببها.

أغمض عينيه ثم فتحهما:

- لذا، عذرًا يا حضرة الرقيب، ولكنني لم أحرص قط على الحصول على تذكار من أي نوع، فما بالك بتذكارٍ يحتوي على حمضها النووي.

أومأت «ماري» . .. انتهى الأمر.

- ومع ذلك، ما زال لدي مذكراتي.

تخشّبت «ماري».

ابتسم «بيتر هودر» وقال:

- أخرجتهم فورًا بعدما تحدثت إليّ تلك المرأة المخيفة البارعة من إدارة تكنولوجيا المعلومات لديكم.

اتسعت ابتسامته الحزينة:

- لحسن الحظ أنني أجيد أخذ المذكرات والملاحظات بدقة شديدة. لن تحصلي على حمض نووي، ولكنكِ ستعيشين من جديد نفس الكوابيس التي رأيتها . .. وكأن القضية تُفتح من جديد.

ارتفعت معنويات «ماري». كان هذا أفضل مما آملت فيه. كانت قد قامت بفحص على المحقق «بيتر هودر»، وكان ملفه مثاليًا. كان شرطيًا ذكيًا يرغب في الوصول إلى الحقيقة. لا ريب أنه دقيق ومنظم.

- إنك بطلٌ يا سيدي، وسأتأكد من رجوع تلك المذكرات إليك فور الانتهاء منها.

- صراحةً يا عزيزتي، أعتقد أنه قد حان الوقت لتنتقل من هنا نهائيًا. استخدميهم وأتمنى أن تفيدك بشيء، ثم ضعيهم في صندوق الأدلة، وأغلقي القفل . .. ثم تأكدي من أنها احترقت بالكامل.

- أقدّر لك هذا الجميل كثيراً. إنها قضية مربكة، ومن الصعب الوصول إلى التفاصيل الدقيقة عندما يأتي شابٌ ليعترف على نفسه.

- عندما تشعرين بالارتباك، اتبعي حدسك. استمعي لما يمليه عليه قلبك يا حضرة الرقيب «إيفانز» . .. فالقلب نادرًا ما يخطئ.

- أعتقد أنه مضطربٌ نفسيًا، ولكنه ليس بقاتل.

تنهدت متأملة وأضافت:

- ولكنني لست متأكدة من أن هوسه المرضي وفقدانه المتكرر للذاكرة لم يدفعاه إلى شيءٍ خطير.

- حينها يجب أن تضعيه تحت عينيكِ يا عزيزتي، فلا أتحمل فكرة عودة فرانسواز ثابيه من الماضي لتدمّر المزيد من الحيوات.

وضعت كوبه في صحنه ونظر إليها:

- إذا اتضح أن الشاب ابنها، هل ستخبريني حينها؟

وقفت «ماري»:

- هذا أقل ما سأفعله يا سيدي.

أخذت المذكرات وشكرته.

سار معها إلى دراجتها النارية، ثم تحسّس الرسم الأخضر اللامع الجميل وتمتم:

- جميل، جميل حقًا.

أومأت « ماري » وفهمت أن الرجل العجوز كان يمتلك دراجةً مقرّبة إلى قلبه في شبابه. ابتسمت له:

- ماذا كان نوعها؟

- دراجة 350 -سي سي ماتشلس جي 3 إل، ثم بعدها 600 -سي سي ترايتون في الستينيات.

- لا بد أنك كنت مدمنًا على الدراجات!

أومأ «هودر» وابتسم بشدة، ورأيت « ماري » في ابتسامته ذلك الشاب الذي قاد دراجته من مقهى إلى آخر.

- لا تخبري أحدهم، ولكنني ما زلت أجدد عضويتي في نادي 1959 .

- واو! صحيح أن من يركب الدراجة مرةً لا يتخلّى عنها أبدًا.

أخذت خوذتها:

- شكرًا لك مجددًا . .. نقدر لك هذا.

- اعتني بنفسك.

قالها وهي تشغل محركها ثم أضاف:

- وتذكري دائمًا، اتبعي حدسك وضعيه تحت عينيكِ.

الفصل الثامن عشر

- يؤسفني أن أجد أحدهم قتيلًا في المطبخ!

نظر « جاكمان » إلى أخصائي الأمراض، وتخيّل في قرارة نفسه طبيعة هذا الرجل. حدّق بقرفٍ واضح وقال:

- لست مهتمًا بالعثور على قتيلٍ في أي مكان.

- امم! ولكن في المطبخ يختلط الدم بطلاء البلاط. لطالما تساءلت كيف يتخلص الناس منه.

ظهر الارتباك على «جاكوبس» وهو يحاول تخيّل المشكلة التي يقع فيها صاحب البيت:

- السجّاد يمكن خلعه واستبداله، ولكن بلاط باهظ الثمن كهذا، أقصد البورسلين الممتاز، يا لها من خسارة!

لم يجبه «جاكمان» . .. لم يجد إجابة.

أمامها كان هناك امرأة جميلة في ثلاثينياتها. كانت قبل سويعات ستكمل حياتها اليومية وتشعر بالأمان في بيتها. والآن ترقد فوق ما عرف « جاكمان » أنه بورسلين، رأسها مفتوح وجسمها مقطّع إربًا بسكينٍ حاد.

- نظرًا لعدم وجود سلاح هنا وتطابق الجروح مع القتيلتين الأخريين، أرى أننا أمام ضحيةٍ ثالثة لنفس القاتل يا سيادة المفتش.

بدا «جاكوبس» وكأنه نأى بعقله بعيدًا عن مسألة التنظيف بالبخار تلك، ثم عاد إلى الضحية من جديد:

- ولكن الطريقة هذه تشبه طريقة قتل أليسون فليت أكثر من القتل الجنوني لـ«جوليا هوب».

رأى « جاكمان » نفس الجروح النظيفة في ملابس المرأة. هذه المرة كان اللحم أسفل تنورتها أبيض فاتحًا لا داكنًا مثل أليسون، والجثمان ليس متعفنًا كما كان حال «جوليا». لحم هذه المرأة أشبه ببقايا البورسلين الفيكتوري . .. تنهّد «جاكمان».

حدّق طويلًا في «سو بانستر»، انتابه نفس الشعور الذي انتابه عندما رأى أليسون فليت، شعورٌ بأن هناك خطبٌ ما خاطئ. وكأن هناك من رتّب مسرح الجريمة. ماذا كانت « ماري » تسمي هذه الحالة؟ آه؛ « المسرح المرتّب » . وكأنه عرضٌ ما. كم تمنى لو كانت « ماري » معه! ولكن البلاغ وصل بعد وهلةٍ قصيرة من مغادرتها إلى روتلاند ولم يخبرها بذلك. علم « جاكمان » أن « ماري » تركب الدراجة ببراعة، ولكنه شعر بأنه من الحصافة ألا يشغل بالها بأخبار قتيلة جديدة في حين أن أمامها طريقٌ طويل.

كان «تشارلي باتون» يقف في الممر يبدو

مضطربًا. علم « جاكمان » أن الشاب يبذل قصارى جهده ليراقب الجثة، ولكن الأمر يستحوذ عليه كليةً.

كان تشارلي يكره رائحة الدماء الشبيهة برائحة الصلب، والأدهى من ذلك أن « جاكمان » كان يعلم أن «تشارلي» كان يكره مدى الظلم الذي يتعرض إليه الضحايا. إن حقيقة أن أحدهم أخذ حياة شخصٍ بدون وجه حق كانت تثير حفيظة «تشارلي باتون» واشمئزازه. كما أن الأمر كان يغضبه ويجعله أكثر إصرارًا على الإمساك بالمعتدي وضمان نيله العقوبة المستحقة.

ابتسم « جاكمان » بحزن. سيصبح تشارلي محققًا بارعًا، ولكن عليه أن يتعلّم كيف يتعامل مع أمورٍ كتلك. ليس وكأن الأمر سهل، ولكن من ضمن أربعتهم رأى « جاكمان » أن « ماري » كانت أكثر من يبدي سلوكًا صحيًا احترافيًا ناحية الموت. كانت امرأة قوية في كل الأحوال، ولكنها تتمكن من حبس كل ما تراه وما تشعر به. فكّر في «ماكس» وكيف كان يبكي لأنه لم يتمكن من النظر إلى الجثة بنفسه.

ولكن ماذا عنه هو؟ ابتسم « جاكمان » في قرارة نفسه، فطريقته المثلى هي الهروب. عندما يواجه مذبحة كتلك تُعد جزءًا من مهنته التي اختارها بنفسه كان يسرح بعقله إلى إسطبل أمه. كان يشم رائحة القش الطازج وسماد الخيل المسكر

كريه الرائحة . .. أحب الرائحتين! كان يسمع صوت صليل الخيل تتثاقل في الجوار ويشعر بنعومه بشرتهم. وعندما يحيط الحزن والفوضى به كان الإسطبل يذكره بأن هناك أماكن في هذا العالم يعمّها السلام . .. حيث تُنطق الكلمات بنعومة ورفق.

- هل تحدثت مع الزوج يا تشارلي؟

- ما زال الطبيب معه يا زعيم . .. الرجل الغلبان منهار تمامًا.

- أكان هو من عثر عليها؟

- نعم يا سيدي، كان عائدًا إلى البيت من العمل في وقتٍ متأخر تقريبًا، وتلقّى صدمة حياته.

- ابق هنا وتحدّث معه عندما يهدأ. سأضطر إلى العودة لمتابعة بعض الأمور.

- نظام الدعم!

أومأ «جاكمان»، لطالما ظن أن نظام الدعم مفيد جدًا في قضية من هذا النوع وهذه الضخامة. والآن أصبح لديهم إصدار جديد من نظام الدعم، مما يسهل الأمر على ضابط التحقيقات في إدارة تحقيق جنائي كبير كقضية قتلٍ تسلسلي. وسواء كان « جاكمان » يحب الأمر أم لا، لم يكن أمامه إلا هذا. بإمكان الإصدار الثاني من نظام الدعم أن يجري عمليات بحث معقدة هائلة

باستخدام معلومات متداخلة من مصادر عديدة.

غير أن المشكلة الوحيدة تكمن في أن مشغّل نظام الدعم يعمل في العالم السفلي الذي تتحكم فيه «أوراك». لم يكن هناك مهرب، فـ«جاكمان» مضطر للذهاب إلى هناك. لم يفهم قط السبب الذي يجعله خائفًا مرتعدًا عندما يقابل «أوراك». لم يصل إلى الكثير بخلاف أن «أوراك» كانت مختلفة تمامًا عن كل من تعامل معهم بشكل طبيعي، فلم يعلم كيف يتعامل معها. كانت كطائرٍ غريب متعدد الألوان في قفصٍ مليء بالعصافير. وفي آخر مرة تحدثا معًا كان « جاكمان » قادرًا بالكاد على صياغة جملة كاملة.

داهم «تشارلي» خياله وقال:

- هل نستدعي « دانيل كيندر » يا زعيم؟

- كان هذا أول شيء فعلته عندما تلقينا البلاغ. ربما يكون لديه حجة غياب قوية، وأتمنى ذلك، ولكن في الوقت الراهن لا يزال مشتبهنا الأول.

أومأ لـ«تشارلي» ثم أضاف:

- أراك لاحقًا في القسم بعدما تتحدث مع الزوج.

وفيما كان « جاكمان » يشغّل سيارته رنّ جرس هاتفه، ضغط على زر الإجابة وسمع صوت «ماكس» القلق يملأ السيارة:

- الوحدة خارج بيت ساكي وينيارد تقول إن

«كيندر» هرب. تعرّض لواحدة من تلك النوبات العجيبة واختفى لتوه.

- اللعنة! كيف تخطى الوحدة؟

- خرج من الخلف يا سيدي.

بدا «ماكس» متضايقًا كثيرًا وأردف:

- هناك الكثير من المداخل والخارج في ذلك المكان، وليس لديهم المدد الكافي لتغطيتها جميعًا . .. الأمر كله متعلق بالمال اللعين!

تمتم «جاكمان»:

- لماذا لا يفاجئني ذلك؟

- طلبت من كل الوحدات البحث عنه يا زعيم، كما أن رجالنا يبحثون في كل الأماكن التي قد يتردد عليها.

توقّف برهة وأضاف:

- ربما نذيع تعميمًا؟ ننشر صوته للعامة ونطلب مساعدتهم.

- ونجعل البلد كلها تبحث عنه في وسط الفوضى التي نعاني منها؟ ليس الآن يا «ماكس». لا يوجد وصفٌ أكثر رعبًا وتخويفًا للرجل العادي من « قاتل متسلسل » ، وإذا شعرت بالخوف من أنه سيكون على عتبة بابك فإن هذا الخوف سيتحوّل إلى هيستيريا حقيقية. ابحث عنه بنفسك فيما

أفكّر في حل.

وضع السمّاعة وشعر بضيقٍ في صدره. يا إلهي! إذا تسببوا في هروب ً«كيندر» ووقعت جريمة قتل جديدة في نفس الليلة فسيُفصلون جميعًا من الخدمة، وسيُحال هو إلى التقاعد. تحوّلت الصورت المنسوجة داخل عقله لأمه وأبيه سريعًا إلى صورة «سو بانست» الراقدة فوق بركة كثيفة من الدماء على بورسلينها الباهظ.

ضايقت عيناه . .. ركّز! ولكن مهما حاول كان يرى أن « دانيل كيندر » ليس بقاتل. حتى الطبيب النفسي قال الشيء نفسه. لكن لا، عليهم أن يستعيدوا «كيندر»، وفي نفس الوقت أن يوسعوا دائرة بحثهم ليقبضوا على من فعل هذا بأي شكل. لن يتوقف عملهم أبدًا طالما أن ذلك المجرم ما زال طليقًا.

ضرب « جاكمان » برجله وقاد سيارته. كان يجب أن يعود إلى القسم ويمسك تلك القضية من عنقها قبل أن تجهز عليه.

* * *

حدّقت «ليزا هيرلي» في « سكاي » بقلق:

- أكره أن أتركك في هذه الحالة، ولكن ينبغي أن أعود إلى عملي.

- اذهبي أنتِ، فلقد ساعدتيني كثيرًا، ولكن لا شيء

بيدنا قبل أن يجدوه.

- هاك مفتاح بيتي، استخدميه وكأنه بيتك . .. وعندما أنتهي من عملي ربما نجلس ونفكر في الأمر.

هزّت « سكاي » رأسها:

- شكرًا لكِ، ولكن يجب أن أبقى هنا في حالة ما إذا عاد أدراجه.

اكفهرّت «ليزا»:

- لست متأكدة من أن هذه فكرة طيبة. لا أقول إنه ربما يتعرض لكِ بالأذى، ولكنه لم يعد « دانيل » الذي تعرفينه، أليس كذلك؟

أومأت «سكاي»، لا يمكنها أن تعارضها فيما قالته:

- حسنًا، سأنتظر حتى المساء ثم آتي إليكِ إذا كان هذا مناسب لكِ.

أمسكت «ليزا» بحقيبتها ثم أخرجت مفتاحًا من سلسلة مفاتيح.

- هذا مفتاح احتياطي للباب الأمامي، احتفظي به حتى ينتهي هذا الأمر.

تحسّست ذراع « سكاي » برفق:

- أراكِ لاحقًا.

وقفت عند الباب وقالت:

- اتصلي بي إذا ظهر أو إذا عثرت الشرطة عليه، اتصلي على الخط المباشر لمكتبي.

أومأت « سكاي » ثم قالت:

- انتظري يا «ليزا»، ربما ينبغي أن تحصلي على مفتاحي هنا أيضًا. في ظل كل ما يحدث أعتقد أنه من الأفضل أن يمتلك شخصٌ أثق فيه مفتاحًا احتياطيًا، هذا إن لم تمانعي.

ابتسمت «ليزا»:

- بالطبع لا . .. معكِ حق.

ذهبت « سكاي » إلى المطبخ وفتحت خزانة صغيرة وفتَشت بين الأغراض حتى وجدت ميدالية تشبه الهلال بها مفتاحين لامعين. أخذتها إلى «ليزا»:

- الفضي للباب الأمامي والبرونزي لباب المطبخ.

وضعت «ليزا» المفاتيح في حقيبتها ثم فحصت ساعتها:

- اللعنة! يجب أن أنطلق حالًا. اتصلي بي!

أومأت « سكاي » والباب ينغلق خلف المرأة الطويلة الجدعة التي تحوّلت فجأة من رئيستها إلى ملاكها الحارس.

عادت إلى المطبخ وقرّرت أن تصنع كوبًا من القهوة. شعرت وكأن إعصارًا يداهم عقلها. يحدث حولها أمور كثيرة ولا يمكنها التحكم بأيٍ منها.

غلت المياه وفجأة رنّ جرس هاتفها:

- «سكاي»، عذرًا على الإزعاج، ولكنني شعرت بالقلق حيالك. جاءت الشرطة إلى وحدتي مجددًا ويقولون إن « دانيل » مختفٍ.

- «مارك»؟

حاولت « سكاي » أن تقاوم ضيقها من أن « دانيل » ليس من يتصل:

- نعم، كان هنا أمس، ولكنه غادر هذا الصباح. لا أعرف أين ذهب.

بدا «مارك دوناند»، صديق «دانيل»، مرتعبًا كما هو حالها:

- ماذا يحدث بحث الجحيم؟ لماذا يظنون أن « دانيل » متورط في جريمة قتل؟ لا يمكنه أن يؤذي بعوضة.

- نحن نعلم هذا يا «مارك»، ولكن للشرطة وضع آخر. دان يتعامل بشكل غريب للغاية، أنا خائفة عليه جدًا.

- وأنا كذلك!

جاء صوته هادئًا وأضاف:

- كنت أتساءل إذا كنتِ مُتاحة لنصف ساعة. أعتقد أننا يجب أن نتحدث عن «دانيل». إذا كان في ورطة كبيرة، وأعتقد أنه كذلك، فيسعدني أن أساعد.

- الأمر يزداد سوءًا يا «مارك»، صدقني.

- قابليني في حانة جونيز واين في الثالثة. المكان هنا يعجّ بعمّال التعبئة. لدينا مأمورية توصيل إلى كولومبيا وسيعملون هنا لساعات لتجهيز الطلبات. أظن أن مكانًا هادئًا في حانة جونيز واين سيكون أفضل من هؤلاء المتصنتين.

- أتمنى، ولكنني بحاجة فعلًا لأبقى هنا في حالة عودة دانيل. ألا يمكنك القدوم إلى هنا؟

سكت «مارك» برهةً ثم وافق:

- حسنًا، ساعة فقط وسأكون لديك.

* * *

أسرعت « ماري » عبر أبواب البهو حتى كادت تصطدم بـ«جاي بريستون » الذي كان يغادر لتوّه.

قال لاهثًا:

- « دانيل » اختفى، سأذهب لأرى حال « سكاي وينيارد».

نظر إلى « ماري » بقلق وأضاف:

- أشعر بأن الطفل الغلبان على وشك الوصول إلى نقطة الانهيار، وأريدها أن تعلم أننا نقف بجوارها.

نظرت إليه بتمعّن:

- ثم؟

- ثم ماذا؟

- هناك شيءٌ آخر، أليس كذلك يا جاي؟

- الأمر ليس بيدي لأخبرك يا ماري. رئيسك في مكتبه، سيخبرك بنفسه.

كانت قد غابت لسويعات، تُرى ماذا حدث في غيابها؟

- حسنًا، سأذهب لأراه.

سارت بعض الشيء فنادى عليها:

- «ماري»!

استدارت:

- لم أكن أعرف أن زوجك تُوفى، أخبرني فريقك بما حصل له عندما ذكرته. تقبّلي عزائي، كان رجلًا مميزًا، أليس كذلك؟ وشرطيًا بارعًا.

- أعتقد هذا.

لا يهم كم مضى من وقت، فما زالت تجد من الصعب أن تقتنع بأن بيل قد رحل، كرهت أن تسمع الناس يقولون كلمة « كان » .

- شكرًا يا «جاي»، وتعازيي لك أيضًا، أعلم أنك فقدت زوجتك . .. أنت تعلم كيف يبدو الأمر.

أومأ «جاي»:

- أحيانًا يبدو الأمر أكبر من مجرد فهمه، أليس كذلك؟

ارتعد قليلًا وكأنه يجمع شتات نفسه.

- حقيقة كنت أفكر ما إذا . .. حسنًا يمكننا أن نحتسي شرابًا ونتحدث قليلًا، يبدو أن الكثير قد حصل منذ أن كنا نعمل معًا آخر مرة، وأظن أن . ..

بدأت الأجراس تضرب بداخلها. كان «جاي» رجلًا لطيفًا وجذابًا بغض النظر عن الندبة، ولكنها لم ترد أن يقتربا من بعضهما مرة أخرى، ليس كما كان الأمر من قبل. ابتسمت له بدفء قدر الإمكان وقالت:

- ربما عندما تنتهي القضية . .. الآن أنا في حاجة إلى التركيز على الإمساك بالقاتل.

وعندما تنتهي هذه القضية ستكون قد فكّرت في عذر آخر دائم.

- أوه، طبعًا . .. لم أعنِ الآن. كنت أريد فقط أن أعرف كيف تبدين، هذا كل ما في الأمر. اتفقنا!

- اتفقنا، وإذا لم تخبرني بما يجري هنا سأجد رجلًا آخر يخبرني.

رسمت ابتسامة عريضة وأسرعت بعيدًا عن بريستون:

- أراك لاحقًا.

شعرت فيما كانت تصعد درج السلم أن عيني « بريستون » لا تزال تنظر إليها.

لم ترد أن تلتفت إليه، لم ترد أن ترى عينيه المتضرعتين.

* * *

ظهر الارتياح على وجه « جاكمان » عندما وصلت « ماري » إلى مكتبه. لطالما أحب أن يعمل منفردًا طوال حياته، ولكن منذ أن ارتبط في العمل بـ«سوبر ماريو » كان يشعر بشيءٍ ما ينقصه عندما لا تكون في الجوار. وفي قضيةٍ كتلك، تكون مساعدتها ذهبية.

قال لها بدون مقدمات:

- وجدنا جثة أخرى.

- اللعنة!

- اللعنة كلمة مناسبة تصف الموقف الحالي وما سيؤول إليه حالنا إذا لم نصل إلى إجاباتٍ قريبًا جدًا.

- و«دانيل» مفقود أيضًا؟

- بالإضافة إلى هذا.

- تركتك أربع ساعات فقط وانظر ماذا حدث!

أخذت مقعدًا وقالت:

- اطلعني على الجديد.

أوجز لها « جاكمان » ما حدث لـ«سو بانستر»، ثم هزّ رأسه:

- علينا أن نستعيد «دانيل»، وسريعًا. أمرت كل شرطي، رجلًا كان أو امراة، وكل كلبٍ لدينا بالبحث عنه.

قضم شفته وقالت:

- ما زلت لا أظن أنه الفاعل، هل تتفقين معي؟

- لا أعلم يا سيدي، حقًا لا أعلم. لوهلة أرى أنه مجرد مخبول ولأخرى أرتعد لمجرد التفكير فيما هو قادرٌ على فعله.

عدلت ظهرها وقالت:

- ولكن بغض النظر عمّا نراه، علينا أن نستعيده ونضعه في زنزانة صغيرة مؤمّنة لطيفة، ثم

نأخذ قرارنا بشأنه.

قبل أن يجيبها « جاكمان » دقّ «ماكس» على الباب سريعًا حتى كاد يسقط داخل الغرفة:

- سيدي! يجب أن تنزل حالًا! هناك مشكلة!

استدار «ماكس» وجرى.

حدّق « جاكمان » و«ماري» إلى بعضهما ثم أسرعا وراءه.

- مشكلة؟

- لست متفائلًا.

كان قلبه يدقّ بشدة، هل الأمر متعلق بـ«دانيل كيندر» مجددًا؟

اندفعا عبر الممر خلف «ماكس» واقتربا نحو الرواق وسمعا صياحًا.

- ماذا بحق الـ...؟

دفعت « ماري » الباب لتجد خناقة تحدث فوق الأرضية البيضاء والسوداء.

- زين برويت، أنت مقبوض عليك للاشتباه في سطوك على بيت آل كيندر في منطقة ريفرسايد كريسنت بسالترن لو فين.

فتح « جاكمان » فاه فيما كان برويت مدفوعًا على الأرض وفوقه ثلاثة شرطيين يحاولون

تقييده. خرج من فاه سيلٌ من الشتائم الفظيعة فيما كان يحاول مقاومتهم.

- ستونر! ابق أنت الآخر، لدينا أسباب تدفعنا للشك بأنك متورطٌ أيضًا.

سُمع صدى صوت الرقيب عبر الرواق وصولًا إلى الطوابق العليا.

- « كيفن ستونر»؟

تنهّدت « ماري » وهي تنظر إلى وجه الشرطي الشاب الباهت المصدوم.

- أوه، لا . .. لا يمكن!

- إنه رفيق عمل «زين». عليهم أن يشكوا أنهما متورطان معًا، مهما كان الأمر.

نفخ « جاكمان » خدّيه وأضاف:

- غير أنني نصحت هذا الأبله أن يتخلص من ذلك القذر، والآن انظري ما آلت إليه الأمور.

ألقى «زين برويت» بسيلٍ من الشتائم المقذعة فيما كان شبه محمول ومسحوب إلى الحجز.

سار « جاكمان » ناحية الرقيب:

- ماذا حدث يا «جون»؟

لم يحاول الرجل إخفاء غضبه:

- كان هذا متوقعًا منذ زمن طويل يا «جاكمان»! ولكن أخيرًا سقط ذلك اللعين! وجد رجالنا هاتفًا محمولًا يعود إلى برويت في حديقة بيت كيندر عندما قبضنا على عصابة درو ويلسون.

سألت «ماري»:

- أليس من المحتمل أنه أسقطه هناك فيما كان التفتيش جاريًا؟

- ربما، ولكن الأمر ليس كذلك.

ابتسم الرقيب متشفيًا:

- كان الهاتف مُستخدمًا منذ أن بدأ تفتيش المنزل، واستخدم ليخبر درو ويلسون بأن البيت خالٍ وأن العملية جارية.

- ابن الحرام!

- بالضبط يا رقيب «إيفانز»، كما أن بصماته عليه، وقد عثر أحد رجال مسرح الجريمة على رزمة وزنها عشرة أرطال في الرواق. كانت ملفوفة بنفس الطريقة التي يلف بها «زين» أمواله في جيبه وعليها بصماته أيضًا.

- أليس من المحتمل أن تكون تلك الأغراض هناك منذ أن بدأ التفتيش؟

- ربما، ولكن « سكاي وينيارد» نظّفا البيت بالكامل بعدما رحل رجالنا.

رفع حاجبيه وأضاف:

- والأدهى من ذلك أن صديقنا العزيز «درو ويلسون»، فيما نتكلم الآن، يحكي لأحد فرقنا التواريخ والمواعيد وكل المعلومات عن عشر قضايا أخرى تورّط فيها خلال العامين الأخيرين عبر «زين برويت» اللعين .. أخشى أنه متورطٌ حتى أنفه.

صفّر «جاكمان»:

- لا أحب أن أكون مكانه في الشهور القادمة أبدًا.

- مهما كان، فالحقير هذا يستحق ما وصل إليه. ليس هناك أسوأ من شرطي فاسد. والآن، يجب أن أوجه له الاتهام وأرسله إلى قسم شرطةٍ آخر .. لا يجب أن يبقى هنا.

- وماذا عن « كيفن ستونر»؟

- سنسقط عنه كل مهامه بالطبع.

أخفض صوته وأضاف:

- أعتقد أنه تم توريطه في شيءٍ ما لم يعرف كيف يخرج منه. فبرويت إنسان قذر، ولا أستبعد أنه هدّد الشاب بشيءٍ ما، ولكن آمل ألا يكون الأمر كذلك. سنتحدث معه، ومن الواضح أن هذا الأمر يجب أن يتم وفق الأعراف واللوائح تمامًا – لا يمكن أن يكون بغير ذلك – ولذا سنهتم بالأمر.

أومأ «جاكمان»:

- أحب «ستونر»، ولا أحبذ أن أراه مُتهمًا بتضليل العدالة. وأتفق معك في أنه إذا عرف أن أمرًا قذرًا يحدث وغض الطرف عنه فإن هذا لم يكن سهلًا عليه. فإنه يتمتع بصفات الشرطي الممتاز، وسيكون من المؤسف أن نخسره بسبب شريكه الفاسد. لو كنت مكانك لسرت خلف سيناريو التهديد.

- سأفعل هذا، لا تقلق.

استدار الرقيب وسار ناحية درج السلم.

تمتم «ماكس»:

- اللعنة! كان هناك شيءٌ ما فاسد بين هذه الجدران، أتخيّل لو أن « دانيل كيندر » كان يبحث عن شيءٍ ما بخصوص زين.

هزّ « ماري » و«جاكمان» رأسيهما في الوقت نفسه:

- أشك في ذلك يا صديقي. فمشكلات « دانيل » أعمق بكثير من حكاية تسريب «زين برويت» المعلومات للمجرمين من أجل سطوهم القادم.

- أوه، ولكن كم أحب أن أحضر التحقيق!

ابتسم «ماكس» متشفيًا وأضاف:

- كم أحب أن أراه يحاول التملّص من هذا! فهو متورّط حتى النخاع إن لم أكن مخطئًا.

سألت «ماري»:

- متورط؟!

- دليلان في قضيةٍ واحدة يا سيادة الرقيب؟ هل يُعقل؟ لا تنسي أن برويت شرطي ناجح لسنين طويلة. هل تعتقدي أنه نسي رزمة وهاتفًا محمولاً مرة واحدة؟ هذا بعيدٌ عن شيمه. وعذرًا على ما سأقوله؛ صحيح أن برويت ملعون ابن ملاعين من الدرجة الأولى، لكنه ليس بهذا الغباء.

أومأت «ماري»:

- أفهم قصدك.

أومأ « جاكمان » أيضًا، ولكن قرّر أن يترك هذا التحقيق لآخرين. سيكون هناك الكثير من الشرطيين المستعدين للتشفي في «زين برويت»، كما أنه منشغلٌ بقاتلٍ ما. ومع ظهور جثةٍ ثالثة، أصبح القاتل متسلسلًا رسميًا، كما أن دورة قتله تتسارع وتيرتها.

* * *

الفصل التاسع عشر

أخذت « سكاي » خطوة إلى الخلف ودخل

«مارك». احتضنها بسرعة وتمتم:

- آسف جدًا.

ابتسمت بضعف:

- لا أعرف ماذا أقول.

فكّ رباط معطفه وتبعها نحو الرواق:

- يا إلهي! يا لها من فوضى. ما الذي حدث له بحق الجحيم؟

- يا ليتني أعرف.

تحوّلت « سكاي » إلى المطبخ وسألت:

- هل تشرب شيئًا، شايًا أو قهوة؟

- هل لديكِ أي شيءٍ أقوى؟ لديّ صداع شديد.

- ليس لديّ إلا النبيذ للأسف. لا أنا ولا « دانيل » نشرب كثيرًا.

- حسنًا، نبيذ إذًا. أشعر الآن أنني قد أشرب أي شيءٍ به نبيذ.

ألقى مارك نفسه على الأركية ومرّر يده عبر شعره الجامح:

- لم يزدد الأمر سوءًا إلا عندما جاءت الشرطة وفتّشوا مكتب دان مرة ثانية.

توجّهت « سكاي » إلى المطبخ من أجل كأس ثم

قالت:

- ما زلت أحاول أن أعقل الأمر، ولكنني لا أقدر على هذا.

لم تقدر على شرب النبيذ فأخذت الغلاية لتصنع نفسها كوبًا من القهوة الجاهزة.

- هل يناسبك كأسٌ من الفيتو؟ إنه مفتوحٌ للتو، لكنه جيد.

- رائع!

كان مارك خلفها يميل من الباب:

- كما قلت لكِ، سأشرب حتى الميث إذا قدمتيه إليّ.

سكبت « سكاي » الماء الساخن في كوبها وفتحت برطمان السكر.

- ألن تنضمي إليّ؟

- عليّ أن أركّز وأستعد للقيادة إذا اتصل « دانيل » واحتاجني.

- لا أعتقد أن رشفة واحدة ستوصلكِ إلى الثمالة.

أخذ مارك الزجاجة التي أعطته إياها.

- تبدين مرهقة تمامًا.

أخذت كوب قهوتها وتحركت أمامه إلى الرواق.

- الكافين كافٍ بالنسبة لي، فالنبيذ بالنهار يصيبني بالنعاس.

جلسا معًا فيما كانت « سكاي » تفكّر فيما تقول لـ«مارك». لم يكن لديها أي أجوبة بشأن سلوك « دانيل » الغريب، وكانت قد تعبت من التقلّب بين النظريات المختلفة. حقيقةً كانت قد تعبت من وجود «مارك» معها وتمنّت لو أنها تهرّبت منه.

- هل يمكنني أن أسألكِ سؤالًا شخصيًا؟

كان «مارك» قد أفرغ نصف كأسه في رشفةٍ واحدة.

نظرت « سكاي » إليه وتمنّت لو أن أفكارها لا تبدو عليها.

- أنتِ لا تعتقدين أن . ..؟ في قرارة نفسك، هل هناك أي احتمال . ..؟

أوقفته وكلّمته بحدّة:

- منذ متى وأنت تعرف «دانيل»؟

- أعرفه منذ عشر سنين. ربما أكثر.

- حسنًا، ها قد أجبت سؤالك. لقد قلت من قبل إنه لا يمكنه أن يؤذي بعوضة. إنه فقط يعاني بشدة الآن، كما أن توقيت تلك الجرائم سيئ للغاية. أوصلوه إلى حالةٍ يُرثى لها.

نظرت إلى «مارك» موبّخة:

- لا تشك فيه أنت الآخر!

سكب «مارك» كوبًا آخر من النبيذ وقال:

- لا أشك فيه، كنت أريد أن أعرف ما إذا كان الشك ينتابك. فأنتِ أقرب شخص إليه قبل أي شيء. فإذا كان قد فقد عقله كنت أريد أن أعرف إلى أي درجة وصل.

وضع الكأس على طاولة القهوة ونظر إليها متمعنًا:

- حسنًا، أرى أن أفضل شيءٍ أن نحاول العثور عليه.

قضمت « سكاي » شفتها السفلى:

- نصف العاملين في قسم شرطة فينلاند يبحثون عنه. لقد شحذت زمام فكري لأفكر في مكانٍ قد يكون ذهب إليه، مكان خاص، مكان يعني شيئًا ما بالنسبة له، ولكن بدون فائدة على الإطلاق. وإذ كان قد انتابته واحدة من تلك النوبات فقد يكون في أي مكان.

- يجعلني هذا أشعر بعدم الفائدة.

تنهّد وقام من مكانه وبدأ يسير:

- معكِ حق، إنه صديقي فعلًا، ويجب أن أقوم

بشيءٍ إيجابي لا أن أقترح سيناريوهات سخيفة. أريد أن أقوم بشيءٍ عملي.

شعرت « سكاي » بدفقة تعاطف:

- أعرف ما تشعر به تمامًا، ولكن لا أعرف ماذا أقول لك. فحتى يعثروا عليه أو يعود إلى البيت ليس بيدنا الكثير.

جلس «مارك» مرة أخرى على الكنبة.

- منذ أن جئت تسألين عن دان وعن نشاطه الأخير كان هناك شيءٌ يضايقني.

أسند ظهره على وسائد الأريكة الناعمة وأردف:

- أحد عمّال التعبئة لديّ بدا مهتمًا بـ«دانيل». كلّما جاء إلى العمل كان ذلك الشاب هناك يطرح عليه أسئلة. تكرّر هذا الأمر حتى طلبت منه أن يترك «دان» لحاله.

وقفت «سكاي»:

- من هو؟

- إنه يعمل لديّ منذ ستة أشهر، عاملٌ قوي جيد لا يتركنا أبدًا، حتى إذا جاءت شحنة مبكرًا أو متأخرًا جدًا.

- ولماذا يهتم بدان؟

- يقول إنه معجب بعمل «دان»، كما أن كارلا،

مديرتي، تصدّقه. تقول إنه بإمكانه أن يقتبس من كتابات دان.

- هذا غريب بعض الشيء، أليس كذلك؟ حتى أنا لا أفعل ذلك.

- ولا أنا، ولكنني أعتقد أنه يعاني من وسواسٍ قهري، يدقّق في كل شيء. وعندما يأخذ طلبيات التوصيل يمارس دقّته هذه بشدة. تقول «كارلا» إنه لم يرتكب أي خطأ، وهذا أمرٌ نادر، صدقيني.

- ما اسمه؟ وكيف يبدو؟

- اسمه «نيك برور»، يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، ربما خمسة وعشرين. ليس من منطقةٍ محلية، ولكنه بريطاني. إنه ذكي للغاية. سألته «كارلا» عن سبب امتهانه وظيفة عامل تعبئة في حال أنه يمتلك إمكانيات كثيرة.

- وماذا قال؟

- قال إنه قليل الحيلة لا يملك خيارات كثيرة. وإذا أراد أحدهم العمل فليقبل بأي شيء.

- حسنًا، معه حق. ربما لهذا السبب يعجب بـ«دانيل». فـ«دانيل» يبحث في كل شيءٍ بعمق، ولطالما كانت لديه وجه النظر الدقيقة المتأنية تلك.

أخذت « سكاي » رشفة من مشروبها:

- ربما الأمر ليس بهذه الغرابة. فهناك معجبون بدان . .. عليك أن ترى صفحته على الفيسبوك.

- أعرف هذا، ولكن هناك شيءٌ ما مريب حيال «نيك». «كارلا» تتفق معي في ذلك.

- هل تعتقد أن «دان» لاحظ هذا؟

اهتزّ «مارك» وقال:

- لطالما كان «دان» مهذبًا معه، وبالتفكير في الأمر ربما يكون «دان» هو من شجعه على الحديث معه.

- «دان» يحب الناس، يهتم كثيرًا بمشاعرهم ومواقفهم الغريبة. ولهذا السبب يكتب جيدًا. إنه يستمع لما يقوله الناس، لأنه يهتم بهم بصدق.

- ربما أخبره «نيك» بشيءٍ ما يهتم به كثيرًا!

- ربما، ولكنني لا أعرف كيف لهذا المُعجب أن يكون على صلة بهوس «دان» بالقتل، هل تتفق معي؟

اهتز «مارك» ثانيةً:

- حسنًا، أنا أمسك بأقل قشة. أحاول فقط أن أجد رابطًا قد يساعدنا.

نظر إلى « سكاي » وسأل:

- هل ترين أنه من الضروري أن أتحدث إلى

«نيك»؟

رنّ جرس الباب قبل أن تجيبه، فانتفضت وركضت ناحية الباب ومن خلفها «مارك».

- بروفيسور بريستون، هل من جديد؟

أخبرها وجهه بكل شيء.

- لا، ولكن في ظل اختفاء « دانيل » الأخير شعرت بالقلق عليكِ.

نظر متأملًا إلى «مارك» الواقف صامتًا في ممر الصالة.

- أوه، عذرًا .. كان يجب أن أتصل أولًا، هل جئت في وقتٍ غير مناسب؟

هزّت « سكاي » رأسها وقدّمت «مارك» للمعالج النفسي.

- نشعر بعدم الحيلة. نحاول وضع خطة للمساعدة في العثور على «دانيل».

- للأمانة، أفضل شيء أن تنتظروا هنا. أشعر أنه سيعود قريبًا.

ابتسم « بريستون » حزينًا ثم أضاف:

- هذا هو الجزء الأصعب، أليس كذلك؟ مجرد الانتظار.

رأت « سكاي » أنها تحب ذلك الطبيب. يبدو

متعاطفًا بدون تكلّف.

- هل يمكنك أن تشرح لـ«مارك» تلك النوبات التي تصيب ذاكرة «دان»؟ النوبات التي أخبرتنا بشأنها. كنت على وشك إخباره بها، ولكنك ستقوم بذلك أفضل مني بكثير.

أومأت « بريستون » وشرع في وصف ما قد يحدث عندما يسرق التوتر الذاكرة.

تمتم «مارك»:

- اللعنة! أتعرف شيئًا؟ انتابته واحدة من تلك في المكتب مرة. وجدته «كارلا» على السطح. بدا وكأنه لا يعرف أين كان. حاول أن يخبئ الأمر بعدها، ولكن كان من الواضح أن هناك خطبًا ما. هل هذا الشيء نفسه؟

قال «بريستون»:

- هذه مجرد البداية، ولكن بإمكان تلك النوبات أن تشتد كثيرًا.

- وهل تعتقد أن هذا هو السبب وراء اختفائه مبكرًا؟

- بالفعل، وأعتقد أن السبب كان ذلك السطو على بيته. هذا كافٍ لمضايقة أي شخص، فما بالك بشخص ضعيف مثل «دانيل». لا يمكن لعقله أن يتحمّل هذا. ينغلق عقله ويظهر « دانيل » جديد ويأخذه إلى حيث لا يمكنه التصرّف بعقلانية.

شعرت « سكاي » بسحابةٍ سوداء تغطّي رأسها:

- و«دانيل» الآخر هذا، هل يمكنه أن يقوم بأشياءٍ فظيعة؟

شعرت « سكاي » بذراع «مارك» يحيط بها.

- ربما، لا أنكر ذلك، ولكن دعنا لا نستبق الأحداث. أنا متأكد من أن « دانيل » غير مسؤول عن أي شيء أكثر من تصديقه كذبة وتسببه في ذلك الرعب لنفسه ولنا جميعًا.

- يا إلهي! أتمنى أن تكون محقًا يا بروفيسور.

أسندت « سكاي » ظهرها على «مارك» وأخذت تبكي.

* * *

رأى « دانيل » جسمًا ضبابيًا يقترب من خلفه فتراجع على الفور.

فاجأه ألمٌ شديد عبر ذراعه فحاول أن يصرخ.

- مهلًا، أخيرًا عدت إلينا . .. كنا قد فقدنا الأمل فيك.

حدّق « دانيل » بعينين نصف مغمضتين محاولًا التعرف على ذلك الجسم الظلامي المائل أمامه.

- ظننت أنك هربت يا صاح!

- أين أنا؟

سمع « دانيل » نفسه حتى كاد يضحك. لم يكن يتخيّل أن بعضهم قد يقول هذا.

- عذرًا، ولكن من أنت؟

- أنا الذي أنقذ حياتك . .. على ما أعتقد.

كان صوت شاب يسكن في المدينة:

- الشيء الوحيد الذي لا أتيقّن منه هو ما إذا كنت تحبني أو تكرهني لأجله.

قاوم « دانيل » ليعدل وضعه، ثم لاحظ شيئًا على ذراعه. كان شيئًا كبيرًا يقطر دمًا.

- ماذا حدث لي بحق الجحيم؟

جاء صوته مرعوبًا.

- مرحى، اهدأ! وابق هذا الذراع مرفوعًا. لقد مر وقت طويل للسيطرة على هذا النزيف. يجب أن تذهب إلى المستشفى، ولكن بالنظر إلى الموقف قرّرنا أن نترك لك فرصة لتأخذ قرارًا.

ضحك الولد . .. تأكد « دانيل » من أنه مجرد ولد.

- إذا نجوت، كان بها.

مال « دانيل » إلى الخلف:

- نجوت ممّا؟

نظر حوله، الظلام يحيط بالأرجاء وسط رائحة رطوبة منتشرة، وفي الخلف سمع هدير ماءٍ جارٍ.

- وأين نحن؟

- بالقرب من النهر، أحد البيوت الكبيرة على طول الضفاف يضم مرفأ. لم يُستخدم من قبل، ولذا نأتي إلى هنا أحيانًا.

- نأتي؟

- «إيلي» وأنا، إنها صديقتي.

نظر « دانيل » حوله ولم يجد أحدًا.

- أخبرني بما حدث، رجاءً.

حدّق في ذراعه وقال:

- وماذا فعلت بنفسي بحق الجحيم؟

- لقد جرحت ذراعك، فوق المعصم تمامًا. وجدتك أنا و«إيلي». وبما أن المكان يعجّ برجال الشرطة، وأنت اخترت يومًا سيئًا لتنهي حياتك، فظننّا . ..

- أنهي حياتي؟

حدّق الولد فيه عبر الظلام وقال:

- أوه، اللعنة! لا تخبرني أنها كانت مجرد مصادفة عجيبة!

كان رأس « دانيل » يدور. لم يكن يعرف. كل ما يعرفه أن ذراعه أصيب بجرح عميق. نعق وقال:

- أرجوك أخبرني.

أعطاه الولد زجاجة مياه ثم شرب « دانيل » منها شاكرًا.

- وجدناك على الطريق عبر ضفة النهر أسفل الجسر الحديدي. سمعناك تصرخ ووجدناك تمسك بذراعك. كان أمرًا فظيعًا، الدماء كانت تتدفق في كل مكان. ثم سمعنا دفقة، فظننا أنك ألقيت بالسكين أو الشيء الذي استخدمته لتجرح نفسك في المياه. ثم صرخت عاليًا وأغمى عليك كشوال بطاطس.

- ولكن . ..

أشار إلى ملابسه المبقّعة.

- عذرًا، ستجد عشرين جنيهًا مفقودة من محفظتك. أعرف رجلًا يجلب أغراضًا طبية من صيدليةٍ ما ويبيعها بالسعر المناسب.

اهتز الولد وأضاف:

- خمّنت أنك تملك مالًا وفيرًا.

- وهل أوقفت النزيف؟ وكيف؟

- لم أقضِ حياتي كلها في الشارع.

بدأ « دانيل » يشعر بصداعٍ في رأسه، تُرى ماذا فعل هذه المرة؟

- انظر، أعتذر على سوء المقابلة يا صديقي.

هزّ الولد رأسه وأضاف:

- ولكننا فكّرنا في كل الأسئلة التي ستُطرح علينا في المستشفى، وكانوا سيتصلون بالشرطة . .. حسناً، لم نظن أنك ستحتاج إلى كل هذا.

- هذا ليس ذنبك . .. يا الله! لقد أنقذتما حياتي. لم أكن لألومكما على أي شيء. ومعك حق، لا أريد أي أسئلة من الشرطة الآن.

نظر إلى الولد وسأله:

- ما اسمك؟

- تيز.

- وأين إيليا؟

- إنها تذهب وتجيء. ستعود بعض قليل.

توقف برهة وقال بصوتٍ حزين:

- أو ربما لا، فهي لا تحب الدماء.

- كيف حملتماني إلى هنا؟

- إنها مجرد أمتارٍ قليلة، وقد ساعدتنا كثيراً على السير. ذهبت «إيلي» لتجد ضمادات، وعملت ما

بوسعي لأوقف نزيفك.

- ممتاز يا «تين»، شكرًا جزيلًا.

- كانت المستشفى ستقوم بعملٍ أفضل.

- إن لم تعثرا عليّ فما كانت أي مستشفى ستنفعني. كنت سأنزف حتى الموت.

عاد جزءٌ بسيط من « دانيل » القديم إلى الحياة. لا بد أن قصة «تين» وضعت خطوطًا عريضة لمقالةٍ شجاعة وعاطفية. قابل لتوّه شابًا يشبه روبن هود، أحد أبطال الشوارع. أراح نفسه برفق حريصًا على ألا يحرّك ذراعه أكثر من اللازم.

- ها أنت ذا يا صديقي.

ضحك «تين» وأضاف:

- بالمناسبة، أنا لا أتعاطى المخدرات.

- ولماذا تعيش في الشارع؟

- دعنا لا نتطرّق لهذا الأمر. والآن أخبرني ماذا تريد أن تفعل. سأساعدك، ولكن ليس أمامك وقتٌ طويل. إذا تأخرت عن المكان الذي أختبئ فيه سيأتي لعين آخر ويأخذه مني. إنه أدفأ مكان في المدينة، ولذا فهناك حربٌ عليه.

- لقد فعلت ما فيه الكفاية، وأنا شاكرٌ لك حقًا.

لم يكن « دانيل » يعلم ماذا سيفعل بعد. كان النهار قد انتصف وملابسه مغطاة بالدماء. لم يكن ليسير إلى أي مكانٍ بهذا الشكل. وما زال هناك ذلك السؤال الأساسي، لماذا كان في تلك الحالة؟ لماذا كان ينزف كخنزيرٍ مُصاب؟ هل جرح نفسه؟ هل جرحه أحدهم؟ آخر شيء يتذكره « سكاي » وهي تحتضنه مع القطة بدفء في شرنقةٍ آمنة دافئة. كم مرّ من الوقت منذ ذلك الحين؟

بالتفكير في كل هذا شعر بهدوءٍ غريب. نعم، صحيح أن عقله كان في فوضى عارمة، إلا أن الوضع كان مخيفًا على نحوٍ طبيعي، لا شيء زائد عن الحد. كان يشعر بألم في معدته، ولكن من الطبيعي أن يشعر بهذا أي شخص في محلّه. يبدو أن أحدهم أربكه، بإمكانه أن يرى ذلك. كان قد قرأ قبل سنين مقالةً عن إيذاء النفس، وتذكر مراهقة جرحت نفسها وقالت:

- إنه ذلك الوقت الوحيد الذي أشعر فيه بالسيطرة على نفسي. جرحي يسكت تلك الصرخات بداخلي، ومن بعدها أشعر بتحسن لمدة طويلة.

كان يكتب بيده اليمنى، والجرح بذراعه الأيسر. ربما هذا ما قد فعله، وربما لا. كيف يعرف؟ تنهّد «دانيل». انتهى الأمر، لقد طاحت حياته خارج حدود السيطرة، والآن فإن المكان الوحيد الذي

يريد الذهاب إليه هو بيت جاي بريستون. يجب أن يتوسل لبريستون ليوفر له مكانًا لسلامته.

مكان لسلامته! تبدو فكرة جميلة. مكان بعيد عن الأذى . .. أذى الآخرين. وإذا كان محظوظًا حقًا، ربما يعثر على بعض الإجابات.

تحسّس محفظته. لا يزال هاتفه في مكانه، وكذلك محفظته. لا بد أن «تين» ذلك بعيد كل البعد عن طفل الشوارع المعتاد. أخرج « دانيل » المحفظة وفتحها بيدٍ واحدة. وضعها على رجليه ونزع خمس ورقات مالية وأعطاهم «تين»:

- هذا المكان لا ينفع للعيش . .. إذا كان شخصٌ آخر هو من عثر عليّ لكان أخذ مني هذه، لذا خذها رجاءً.

لم يمد «تين» يده، بل قال:

- أهذه مائة جنيه؟

أومأ «دانيل»، فقال «تين»:

- لا، شكرًا. أعطني عشرين فقط وسآخذها، لو أخذت أكثر من هذا سأتسبب في مشكلة لنفسي هنا.

أعطاه « دانيل » ورقة بقيمة عشرين جنيهًا وبطاقة عمله.

- إذا كان بإمكاني مساعدتك بأي شكل سأفعل

بالتأكيد. وإذا تمكنت من الخروج من أزمتي سآتي إليك يا «تين» .. لا ينبغي أن تبقى هنا.

أخذ تيز الورقة وقال:

- ألم يخطر ببالك أن بعضنا هنا لأن هذا المكان أفضل بكثير من المكان الذي قدمنا منه؟

أومأ «دانيل»:

- ولكنه لن يكون أفضل من أي مكانٍ آخر، أليس كذلك؟

أطلق «تيز» ضحكة قصيرة:

- محض أحلام يا صديقي. ونحن قومٌ لا نؤمن بالأحلام، بل نعيش اليوم بيومه.

اقترب منه وقال:

- علينا أن نتحرك، هل يمكنك الوقوف؟

- يمكنني. ولكنني لا أعرف إلى أين سأذهب.

نظر إلى قميصه المنقوع في الدماء وقال:

- هلّا أعطيتني زُنطك؟

- خذها، وسأحصل على غيرها.

أخرج دان ورقة أخرى من محفظته وقال:

- اذهب إلى محل الملابس الشعبية واشترِ شيئًا يدفئك. أنا أشتري منك الزُنط، هذه ليست هبة

إذا كنت تظن ذلك.

- الأمر ليس كذلك. لقد رأيت أطفالًا يُطعنون بالسكين للحصول على مبلغ أقل من هذا. ليس من الآمن أن أحمل معي مالًا في الشارع.

- أنفقه إذًا . .. اشترِ معطفًا ووجبة لك وستعتني «إيلي» بذلك.

أعطى «دان» الورقة لـ«تين» الذي أخذها مترددًا ووضعها في معطفه.

- طلب أخير.

- بشرط ألا يأخذ وقتًا طويلًا.

- اذهب فقط إلى العنوان الذي سأعطيه لك، إذا كنا بالقرب من الجسر الحديدي فالطريق لن يأخذ منك أكثر من خمس دقائق سيرًا. هل يمكنك أن تخبرني إذا كان هناك شرطة تراقب المكان؟

نظر «تين» إليه متمعنًا:

- هل أنت السبب في انتشار الشرطة في كل مكان في سالترن؟

- ربما أكون كذلك، ولكنني لن أذهب لنفسي لأعرف.

أعطى «تين» العنوان في ريفرسايد كريسنت. وفيما همّ «تين» بالرحيل وضع «دان» ذراعه السليم داخل كُم معطفه وسحب الجانب الآخر

فوق كتفه وأغلق المعطف. لم يكن أمرًا مثاليًا، ولكنّه غطّى أغلب بقع الدماء.

إذا لم يكن هناك من يراقب بيته، فإنه سيذهب إلى هناك ليفحص جرحه ويعرف مدى خطورته، ثم يستحم ويرتدي ملابس نظيفة ويعيد تقييم هذا الموقف. كان لا يزال يعتبر جاي « بريستون » أفضل خيارٍ له، ولكنه كان في حاجةٍ ماسةٍ لأن يدع « سكاي » تعرف أنه بأمان. ولكن يجب ألا تراه في هذه الحالة. مهما كان ما فعله يجب أن ينظف نفسه أولًا.

استند على جدار المرفأ. أصبح ذهنه صافيًا. قلقه الوحيد الآن كم سيظل الأمر كما هو عليه.

* * *

الفصل العشرون

جلس « كيفن » ستونر في مكتبٍ شاغر وانتظر المفتش. كانت الغرفة أعلى الدرج المؤدي إلى الحجز. كان بإمكان « كيفن » أن يسمع عبر الباب المفتوح جزئيًا رفيقه السابق بالأسفل يصرخ ويصيح. ملأت تهديداته وشتائمه القذرة أرجاء القسم.

« رفيقه السابق ».. للكلمتين رنينٌ غريب. لم يكترث « كيفن » بفكرة إقباله على أسوأ تحقيقٍ في حياته. كان يعرف ماذا سيقول بالضبط،

وتمنّى أن يبرئه كلامه من تورّطه في جرائم «زين بروويت». هناك احتمالان! إما سيُلقى به إلى الذئاب وإما سيشفع له سجل حسن سيره وسلوكه. في كلا الحالين سيضع هذا نهاية لعلاقته بـ«بروويت».

انفتح الباب ودخل كبير المفتشين إلى الغرفة ومعه رقيبه. قام « كيفن » من فوره ووقف انتباه فيما كان الرقيب جون كادمان يغلق الباب خلفهما.

- ما الذي يحدث بحق الجحيم يا «ستونر»؟ هل كنت تعلم بشأن هذا؟ لأنك لو كنت تعلم ستكون نهايتك وخيمة بغض النظر عمّا إذا كان أبوك أسقفًا أم لا.

أخذ « كيفن » نفسًا عميقًا وضمّ يديه بقوة خلف ظهره وقال:

- سيدي، أعترف أنني كنت أشك أن الشرطي بروبت يمارس أعمالًا فاسدة، ولكنني عندما واجهته تعرّضت لتهديداتٍ خطيرة تمسني أنا وعائلتي.

سحب المفتش «جيم جيلبرت» مقعده وتنفّس بصوتٍ مرتفع:

- أوه، عظيم! هذا ما كنّا نريده. اشرح لنا يا «ستونر». بالتفصيل الممل!

أومأ «كيفن»:

- بالطبع يا سيدي، ولكن قبل أن أتحدث هناك أمرٌ ينبغي عليك أن تعرفه، وأريد أن أطلب مساعدتك فيه.

تردّد ثم أضاف:

- إنها مسألة حساسة جدًا.

نظر المفتش قلقًا إلى الرقيب وضاقت عيناه:

- لن أعدك بشيء قبل أن أسمع منك كل شيء، اتفقنا؟ كما أنك لست في موقف يسمح لك بطلب أي رعاية.

أخبر «كيفن»، **الذي ظل منتصبًا رغم أنه تمنّى لو أن يتحول إلى كرة ضئيلة، الشرطيين بشأن الصور التي حازها «زين». صاغ لهما الأمر بحرص، تمامًا كما استعد قبلها، وأنهى حديثه**

باعتذارٍ متواضع:

- لم أكن لأقبل على أي شيءٍ يعيب قسم شرطة فينلاند يا سيدي! تلك كانت لحظة خاصة حميمية، كما أن «برويت» دفع لأحدهم ليتجسس عليّ بكاميرا مراقبة. لقد تم إذلالي وإهانتي كثيرًا بسبب هذا يا سيدي. إذا وقعت تلك الصور في يد الإعلام تعلم كم الفوضى التي ستسببها، وليس لي فقط، بل لعائلتي وللشرطة كلها، وللشخص الآخر في الصور كذلك.

ضاقت عينا المفتش حتى أصبحتا كنقطتين ضئيلتين:

- هل يمكننا أن نعرف ذلك الشخص الآخر يا «ستونر»؟

- نعم يا سيدي، إنه ابن أحد كبار الضباط.

صرّ المفتش «جيلبرت» على أسنانه وأطلق وابلًا من الشتائم، ثم التفت إلى «جون كادمان» وقال:

- سيادة الرقيب، أريدك أن تأخذ شرطيًا تثق فيه وتذهبان معًا إلى بيت برويت وتستعيدان تلك الصور. كما أريد الكاميرات والقرص الصلب من حاسوبه وأي أقراص صلبة خارجية وأي شرائح ذاكرة أو أجهزة تخزين خارجية، أي شيء يمكن تخزين الصور عليه. أحضر كل شيء إليّ هنا. تحرّك الآن قبل أن يجري أي فريق تفتيشًا شاملًا لبيت «برويت».

أومأ الرقيب وفتح الباب وقال:

- حالًا يا سيدي.

- أوه، «جون»! عندما تعود اطلب من أحد الموثوقين أن يتأكد من أنه لم يحفظ تلك الصور عبر الإنترنت. وإذا كان قد فعل سنحتاج إلى حق الوصول من خلال الشركة التي تقدّم الخدمة.

نخر وقال:

- حقيقةً، أعتقد أن «برويت» ذكي كفاية ليشفّر تلك الصور ويرفعها على موقع تسجيل مأجور، ولكن من يعلم؟ نتمنى ألا يكون بهذا الذكاء.

أسرع «كادمان» فيما بدا القلق على المفتش جيلبرت وكأن الحياة تفارقه. هزّ رأسه وقال:

- اجلس يا «كيفن». كنت قد ذكرت أن أسرتك تعرضت للتهديد، أظن أنك لا تتحدث فقط عن إرسال تلك الصور إلى أبيك.

- لا يا سيدي، إلا أن «زين» كان سيتعرض لأبي أولًا.

استقام ظهر «كيفن»، لم يجرؤ على إراحة عضلة واحدة قبل أن ينتهي الأمر.

- لدي ابنة أخٍ صغيرة يا سيدي، اسمها صوفي، تبلغ من العمر تسع سنين. أعتقد أنه كان ينتوي إيذاءها إذا تحدثت. كنت مرعوبًا، ونظرًا لأنني لا

أمتلك دليلًا دامغًا على أنشطته الفاسدة لم يكن بإمكاني أن أقول شيئًا، كما أننا لم أكن لأخاطر بأي شيءٍ قد يحدث لابنة أخي.

نظر « كيفن » إلى رئيسه وأضاف:

- اعذرني يا سيدي . .. لقد خذلت الجميع. حتى المفتش « جاكمان » لاحظ أن هناك شيئًا ما خاطئًا وحذرني بأن أبتعد عن «زين برويت». كنت أريد أن أحكي كل شيء له، ولكنني فكّرت في تلك الأمور التي قال إنها سيفعلها لـ«صوفي». قال إنه سيفعل أشياءً ستغيّر حياتها إلى الأبد . .. هكذا قال بالضبط.

- هل تقسم على أنك لم تتورّط في أي من أنشطته مع درو ويلسون أو أي جرائم من هذا النوع؟

- أقسم يا سيدي.

أراح المفتش ظهره على مقعده وضمّ يده على حجره.

- أصدقك يا «كيفن»، فقبل أن تنضم إلى برويت – المثير للسخرية في الأمر أننا كنا نهدف أن ينصلح حاله – كان لديك سجلٌ ناصع البياض. سيكون هناك تحقيق بالطبع، وسيكون لزامًا عليك أن تجيب على الكثير من الأسئلة، ولكن آمل ألا يتعرّض مستقبلك المهني لأي مشكلات.

بلع « كيفن » ريقه وقال:

- شكرًا لك يا سيدي.

تردّد راغبًا بشدة في أن يسأل عن الصور.

- أريدك أن تنسى تمامًا أن تلك الصور أخذها أحدهم، فلدينا ما يكفينا من مشكلات الآن مع قاتلٍ ثلاثي طليق في سالترن، ولذا لا يمكننا تحمّل أي فضيحة أخرى. بنهاية اليوم ستكون تلك الصور قد انتهى أمرها، ولا أظن أن «زين برويت» سيذكرها علمًا بأنه كان سيستخدمها في ابتزاز ضابطٍ زميل.

نخر مشمئزًا:

- اللعنة! كنا نعلم أنه مثير للمشكلات، ولكن لم يشك أحدنا في أنه فاسد.

قرأ « كيفن » الندم في وجهه:

- آسف على انضمامك لـ«برويت». فعلنا هذا بحسن نية، ولكنك تعرّضت لموقفٍ في غاية السوء . . أعتذر لك.

كان هذا أكثر مما آمل فيه «كيفن».

- لا داعي للاعتذار يا سيدي. كان ينبغي عليّ أن أتحلى بالشجاعة لأبلغ عن الأمر، لذا فأنا أتحمل خطئي.

نظر إليه المفتش متمعنًا:

- هل يعلم والدك بشأن ميولك الجنسية؟

بلع « كيفن » ريقه بصعوبة:

- لا يا سيدي، سيحطمه هذا الأمر.

ابتسم «جيلبرت» بحزن:

- أختلف معك. صحيح أنه ربما لم يكن ليختار هذا الطريق بالنسبة لك، ولكنني أظن أنك تدين له ببعض التفاهم. قد يكون على درايةٍ بالأمر بالفعل ولكنه ينتظر منك أن تصارحه.

نظر إليه المفتش نظرةً أبوية:

- وأقترح عليك أن تخبره قريبًا جدًا. نحن في القرن الحادي والعشرين يا كيفن، أصبح الناس أكثر تحررًا من العشرين عامًا الماضية.

أومأ «كيفن»:

- سأفعل يا سيدي .. لقد سئمت من الأسرار.

- عليّ أن أوقفك عن العمل مؤقتًا، هل تعرف هذا؟

- بالطبع يا سيدي، وسأفعل كل ما هو متوقعٌ مني.

وقف « كيفن » ونزع بطاقته من جيبه ووضعها على مكتب المفتش.

- هل انتهى الأمر يا سيدي؟

- حتى الآن . .. عد إلى البيت واعترف لأبيك وتذكّر ما قلته لك بشأن تلك الصور. لن يعرف أحد . .. انس تمامًا . .. كأنها لم تكن.

اغرورقت عيناه بالدموع وهو يغادر الغرفة. حتى مع نجاته من هذا الأمر – وكان متأكدًا من ذلك – فإن «زين برويت» دمّره. لن ينسى أبدًا تلك الصور اللعينة طوال حياته.

* * *

أخذ « جاكمان » المصعد المؤدي إلى القبو مترددًا. كان لا يزال يحاول التعامل مع خوفه غير المنطقي من التعامل مع «أوراك». ربما لا يكون « الخوف » الكلمة المناسبة، ولكنه كان يشعر باضطرابٍ ما حين يقابلها. بدت « ماري » مرتاحة في التعامل معها، ومن خلال كم المعلومات التي وفّرتها «أوراك» ظهرت علامات علاقة عمل جيدة تجمع بينهما.

لا بد أن السر في عينينها، أم في ثقتها الزائدة عن الحد؟ بدأ نبض « جاكمان » تزداد وتيرته فيما تباطأ المصعد. ربما السر لا في عينيها ولا في ثقتها، فـ«أوراك» نفسها شخص مميز، مختلفة عن أي شخص مرّ بحياته كلها، حتى في الجامعة. هزّ رأسه محاولًا قمع إثارته غير المقنعة، ثم سار باتجاه مكتب إدارة تكنولوجيا

المعلومات.

فتح الباب ليجد أمامه محطة عملٍ شاغرة. للوهلة الأولى لم يكن يعرف ما إذا كان يشعر بالراحة أم خيبة الأمل.

- هل يمكنني مساعدتك يا سيدي؟

ظهرت امرأة من مكتبٍ مجاور، كان شعرها الأسود الطويل ملفوفًا خلف أذنيها من خلال شريطٍ قرمزي. كانت أشبه بأليس في بلاد العجائب بالنسبة لـ«جاكمان».

- آه، حسنًا . .. شكرًا. أبحث عن مشغّل نظام الدعم.

- أوه، حسنًا . .. كنت أظنك تبحث عن «أوراك»، لقد أخذت راحة لعدة ساعات.

مدّت يدها وقالت:

- أنا سيلفيا شيروود . .. أم نظام الدعم.

ابتسم « جاكمان » كمن حصل على إرجاء لتنفيذ الحكم.

- رائع، أنا مفتش المباحث «جاكمان». أحتاج إلى مساعدتك. لدينا الآن ثلاث جرائم قتل في دائرتنا، ونشتبه في قاتلٍ متسلسل . .. وهذا تخصصك طبعًا.

أشار إلى المستند السميك الذي يحمله:

- هذا كل ما لدينا حتى تاريخه.

- توقعت مجيئك في الحقيقة، وصلنا إلى ثلاث جرائم قتل، ها؟

اكتسى وجه مشغّل النظام بالجد على الفور:

- حسنًا، سأعمل على هذا فورًا. أصبح النظام أسرع بكثير مما كان عليه. سأبدأ في عملية البحث وأخبرك بالمستجدات يا سيادة المفتش «جاكمان».

سلّمها المستند واستعد للرحيل:

- أوه، وعندما ترين «أوراك» أخبريها أنني اتصلت لأشكرها على المعلومات التي وفّرتها لنا . .. أقدر لها هذا حقًّا.

ابتسمت المرأة وقالت:

- سأوصل الرسالة لها بالتأكيد يا سيدي . .. ستقدّر ذوقك بالتأكيد.

وفي حين أغلقت أبواب المصعد ظنّ « جاكمان » المرتبك أنه سمع ضحكة مكبوتة من غرفة الحاسوب. كشّر ثم ارتعب من فكرة أن خوفه غير الطبيعي من التواجد في نفس الغرفة مع «أوراك» قد انتقل إلى القسم بأكمله.

- أوه، رائع!

* * *

رفعت « ماري » ناظريها عن مذكرات بيتر هودر ثم حدّقت في الحائط بلا هدف. كانت قد شهدت أمورًا فظيعة في حياتها، ولكنها لا شيء بالمقارنة بما شهده ذلك الرجل.

أسندت ظهرها في عجبٍ مما أبداه الرجل من قوة في التعامل. فبدون الرجل وهدوئه ومثابرته الدؤوبة وعمله الشرطي المنظّم لاستمرت فرانسواز ثابيه في جرائمها لسنين.

ارتعدت وهي تغلق الكتاب الأول. كان هناك العديد من الكتب الأخرى، ولكنها لم تكن متأكدة من أنها ستتآلف معها في جلسةٍ واحدة.

- سيادة الرقيب!

جلس «ماكس» في مقعدٍ مقابلٍ لها وقال:

- لديكِ دقيقة؟

- بقدر ما تريد يا صديقي. إذا قرأت المزيد عن فرانسواز ثابيه سينتهي بي الأمر مثلها تمامًا.

- حاولت البحث في حياة أليسون فليت الباكرة، ورغم أنني لم أصل إلى زوجها الأول، إلا أنني تحدّثت طويلًا مع أخت زوجها، لوسي ريتشاردز، وأعتقد أنني بدأت أجمع الأجزاء مع بعضها.

فرك «ماكس» رأسه.

- أخبرني إذاً.

- كان عمل بروس فليت على وشك الانتهيار بالكامل أكثر مما يتخيّل أحدهم. وبدون علم زوجته كان قد رهن بيتهما بالكامل، وبالتالي طالب البنك بالبيت. ولكنه لم يكن يعرف أن أليسون قد بدأت تلاحظ اختفاء المال من حسابهما وشكّت أن زوجها على علاقة حميمية بأخرى.

رفع «ماكس» حاجبه وأردف:

- أخبرت «لوسي» بشكوكها، لكن «لوسي» أقنعتها بأن بروس لا يمكن أن يخونها لأنه يعشقها. إذاً، فلا بد من سببٍ آخر.

- ألهذا بدأت تتناول مضادات الاكتئاب؟

- انتظري يا سيادة الرقيب، سأصل إلى هذا.

أسند «ماكس» ظهره وأكمل:

- فضفضت أليسون للوسي أن شيئًا فظيعًا ما وقع عندما كانت متزوجة من راي سكينر. لم أكتشف هذا الشيء بالضبط، كما أنها لم تخبر «لوسي» بأي تفاصيل، ولكن لا بد أنه كان شيئًا خطيراً لأنها ظلّت على تواصل بسكينر منذ ذلك الحين. وأظن أن هذا الشيء هو سبب اختفاء مالها.

كشّرت «ماري»:

- لم يعرف بروس فليت أبدًا؟ ألم تخبره أخته؟

هزّ ماكس رأسه وقال:

- هكذا كانت العلاقة بين «لوسي» و«أليسون» . .. علاقة قوية جدًا.

نفخت « ماري » خديّها وسألت:

- تُرى ما الشيء المهم الذي يجعلها على اتصال مع طليقها الذي ادعت أنه كان يسيء إليها في حين أنها كانت تعيش حياة زوجية سعيدة مع بروس؟

- ولكن بغض النظر عمّا حصل، ظلّ هذا الشيء يسبب اضطرابًا لـ«أليسون» فترةٍ ما. قالت «لوسي» إن «أليسون» اعترفت بأنها بحاجة إلى بعض العقاقير المهدئة، ولكن «لوسي» لم تعرف من أين تجلبها أو السبب وراء انهيارها. و...

توقف «ماكس» برهةً ثم أضاف:

- بعدما حصل، أيًا كان ما حصل حينها، قضت «أليسون» وقتًا في مستشفى سالترن العام.

- صلة أخرى بذلك المستشفى اللعين.

أضافت « ماري » وهي تقضم شفتيها:

- ولكنني ظننت أننا فحصنا المستشفى عندما كنا نحاول العثور على مصدر عقاقيرها.

- بالفعل، ولكنها كانت في المستشفى باسم « أليسون سكينر » ، أليس كذلك؟ كنت قد طلبت ملفاتها ولكن كان هذا قبل وقتٍ طويل وقبل حوسبة السجلات. قالت موظفة السجلات الطبية أنها ستبذل قصارى جهدها للعثور عليها، ولكن بصراحة كان من الواضح أنها غير مستعدة للمساعدة.

- كلما سمعت عن مشكلات آل فليت فهمت السبب وراء انتحاء بروس.

تنهّدت « ماري » والصداع يداهم رأسها. كل طرف معلومة يحصلون عليها يؤدي إلى غموض تلو غموض، ومن السهل عليهم أن ينشغلوا بأمورٍ فرعية.

- حسنًا، على الأقل نعرف الآن أن «أليسون» كانت تتعاطى العقاقير لتساعدها على التعامل مع أمرٍ ما، رغم أننا لا نعلم ذلك الشيء أو مصدر تلك العقاقير.

- حسنًا، أعتقد أن هذا يستبعد فكرة أنها تعرضت للتخدير على يد قاتلها. ولكن من أين حصلت على تلك العقاقير؟ أراهن أنها من طرف راي سكينر. أعتقد أنها ظلت على صلة به لأنه كان يمدها بالأقراص.

أومأت «ماري»:

- وربما كان قاتلها كذلك.

- ربما.

- علينا أن نعثر عليه يا «ماكس».

- لقد وضعت كل بياناته في البحث وحدّدت له أهمية قصوى.

- جيد.

علمت « ماري » أن أسلوب البحث مرتبط بالتعرف التلقائي على بصمات الأصابع وقاعدة بيانات الحمض النووي.

- أين ومتى شوهد آخر مرة؟

- قبل أسبوع من مقتل «أليسون» في متجر بيتربورو، وهو ما يتطابق مع آخر اتصالٍ من حاسوب «أليسون» المحمول. حاولنا الاتصال به من هاتفها، ولكن بلا فائدة. ظلّ مختفيًا منذ ذلك الحين.

- إما لأنه القاتل وإما لأنه تاجر مخدرات.

- أو كلاهما.

- صحيح . .. حسنًا، من الأفضل أن نخبر سيادة المفتش بهذا. سيرغب في أن يعطي اسم راي سكينر لمشغّل نظام الدعم الذي ربما يجد صلة بين سكينر وضحيتينا الأخريين.

- سيكون هذا رائعًا، أليس كذلك؟

ابتسم «ماكس» ابتسامةً عريضة.

- ولكن بناءً على الوضع الحالي، لا أظن أن حظ تلك المرأة وفير.

- أوه، يا كئيب!

وضع «تشارلي باتون» يده على كتف «ماكس» وابتسم له:

- انسى مسألة البحث . .. حزّر فزّر من وصل إلى السيد راي سكينر؟

رفع «ماكس» حاجبه وقال:

- حسنًا، بالنظر إلى ابتسامتك المغرورة أقول إنك من وصلت إليه، أيها المتكبّر!

لكم ذراع «تشارلي» وسأل:

- حسنًا، كيف وصلت إليه؟

- قرّرت أن أسلك مسلكًا مختلفًا.

أخذ «تشارلي» مقعدًا آخر وأضاف:

- كلنا معتادون على التعامل مع الحقيرين لدرجة أننا ظننا أن الرجل مختفٍ لأنه حقير، إما أنه كان يهددها أو كان يزودها بالعقاقير، لذا . ..

توقف برهةً ثم أردف:

- تخيّلت ماذا لو كان شخصًا عاديًا لطيفًا . ..

وإذا كان كذلك، فما سبب تواصلها معه بدون علم بروس فليت؟

مالت « ماري » إلى الأمام:

- ولكن ماذا عن اتهامات العنف المنزلي؟

- لم يكن هو يا سيادة الرقيب، بل كانت أليسون فليت هي من تضربه.

- ماذا؟ أليسون فليت؟ الزوجة المخلصة الناشطة في العمل الخيري؟

اتسعت عيناها.

- لم يكن خطؤها يا سيادة الرقيب.

توجّه تشارلي بناظريه إلى رزمة أوراق وأردف:

- كما أن راي سكينر تأثّر كثيرًا بموتها. ولكنه آتٍ إلينا الآن، وأنا متأكد من أنه بمعرفته بوفاة بروس سيخبرنا بكل الأسرار والتفاصيل. كل ما في الأمر أن «أليسون» و«راي» أنجبا طفلًا حملت فيه قبل أن يتزوجا وقد كانت شابة صغيرة حينها . . لم تتمكن من التعايش مع الأمر. عانت من اكتئاب شديد وانتهى الأمر بمشكلة جعلت «راي» يخشى على سلامة الطفل.

أخذت « ماري » نفسًا طويلًا:

- انفصلا واحتفظت هي بالطفل، ولهذا لم تقطع أليسون اتصالها به، ومالها المفقود كله كان يذهب

لرعاية طفلها.

- فعلًا، ولم تخبر زوجها الثاني بهذا أبدًا.

- بشكل أو بآخر، كانت «أليسون» في موقفٍ لا تُحسد عليه لوقتٍ ليس بالقصير. من الواضح أنها كانت في حالة تُرثى لها، وهذا بيت القصيد.

- حسنًا، قضت ما تبقى من حياتها تحاول التكفير عمّا فعلته في مراهقتها.

أومأت « ماري » وأضافت:

- بدأنا نفهم الآن . .. متى سيأتي «سكينر» يا «تشارلي»؟

- غدًا في الصباح الباكر.

سحب «تشارلي» ورقة من حزمة ورق:

- بالمناسبة يا سيادة الرقيب، كان حزينًا جدًا عندما علم أنها كانت لا تزال تعالج نفسها. كان يظن أنها ابتعدت عن العقاقير منذ وقتٍ طويل.

- لا يعرف مصدر تلك العقاقير إذًا؟

- لا فكرة لديه.

- حسنًا، أحسنت يا «تشارلي» . .. كيف توصّلت إليه؟

- عرفت عمريهما عندما تزوّجا ثم استخدمت الفيسبوك وموقعي تواصل اجتماعي آخرين

فوجدت صديق دراسي قديم لراي كان على اتصال به. صحيح أنه ليس عملٌ شرطي بارع، بل أقرب لقنوات الكرتون.

تدخّل «ماكس» فرحًا:

- ولكنك أفلحت يا صديقي. من يحتاج «أوراك» والإصدار الثاني من نظام الدعم في وجود تشارلي باتون والسوشال ميديا.

ضحكت « ماري » وتخلّصت من الرعب الذي قرأته في مذكرات بيتر هودر القديمة. ولكن الأمر لن يستمر طويلًا، صحيح أن العثور على «راي سكينر» أمرٌ حسن، ولكنه لن يساعد في القبض على قاتلهم، أو « دانيل كيندر».

خفتت إثارتها، لم يتحركوا إلى الأمام قيد أنملة.

- حسنًا يا شباب، حان وقت العمل. لدينا ثلاث قتيلات وما زلنا لا نعلم شيئًا وكأننا في اليوم الأول.

وفيما عاد المحققان الشابان إلى مكتبيهما رنّ هاتف «ماري».

- أنا «جاي»! أخبركِ أنني قابلت « سكاي وينيارد» للتو.

- كيف حالها؟

- مضطربة ومرعوبة، ولكنها بخير على كل حال.

لم أتمكن بعد من الحديث معها مطولًا في ظل وجود أحد أصدقاء « دانيل » معها.

ظنّت « ماري » أن « بريستون » يبدو مضطربًا بعض الشيء.

- لذا عدت إلى البيت. لا أظن أن « دانيل » سيأتي في موعده، ولكنني سأظل هنا في حالة ما إذا عاد إلى رشده، أو ربما ليس لدي مكان لأذهب إليه . .. رأيت أن أبقى هنا من أجله.

- فكرة جيدة يا «جاي». سأتصل بك إذا عثر عليه أحد رجالنا.

- شكرًا، وفي الوقت نفسه سأطلع أكثر على ملفه.

صمت برهة ثم أضاف:

- «ماري» . .. أعتذر لكِ لو كنتِ أسأتي فهمي باكرًا. كنت أقترح عليكِ أن نحتسي كوب قهوة لنتكلم قليلًا لا أكثر. كل ما في الأمر أنه قد مرت سنين على آخر مرة عملنا فيها معًا.

صرّت « ماري » على أسنانها وقالت:

- لا تقل هذا يا «جاي»، نحن نعرف بعضها منذ وقتٍ طويل، أليس كذلك؟ بالتأكيد لم أسئ فهمك. عندما ينتهي هذا الأمر سنحتسي مشروبًا.

كانت قد أخبرت « جاكمان » أنها لن تجد مشكلة

في العمل مع هذا الرجل، ولكن أكانت صادقة في هذا؟ حتى بعد مرور كل ذلك الوقت ما زال لـ«بريستون» القدرة على التأثير فيها، ولم تكن متأكدة من أنها تحب هذا. آخر رجل في حياتها كان «بيل»، ولكن الآن لا أحد . .. بخلاف «جاكمان». كان بالتأكيد عطوفًا ومستمعًا جيدًا، ولكن نظرًا لفداحة القضية التي يعملون عليها لم تكن متأكدة من أنه من الصواب أن تنجرف إلى مشكلاتها الشخصية.

قالت «ماري»:

- عذرًا، ولكن عليّ أن أذهب الآن يا «جاي».

وضعت السمّاعة وأطلقت زفرة طويلة متعبة. كان كل شيء يضايقها، كل ذلك بسبب أنهم فور إطلاقهم سراح « دانيل كيندر » تعرضت امرأة أخرى للقتل. ربما يكون بريئًا من دمها، ولكن الأمر لا يبدو حسنًا، وعندما تعلم الصحافة بالأمر . .. كان الله في عون شرطة فينلاند حينها!

* * *

الفصل الحادي والعشرون

كان « دانيل » مرعوبًا. أخبره «تين» بأن ظهر منزله خالٍ من رجال الشرطة، ولكن عندما تسلّل إلى الحارة الخلفية لبيته وجد سيارة دورية

بيضاء تغلق المخرج. للوهلة الأولى غلبته الرغبة في أن يركض ناحيتها وأن يلقي بنفسه في أحضان الشرطيين المنتظرين، ولكن شيء ما منعه.

والآن يختبئ في منطقةٍ ظليلة عفنة الرائحة داخل حديقة أحد جيرانه الخلفية. علم أن تلك الحديقة تم تفتيشها بالفعل، فآثار الأقدام الموحلة ما زالت مطبوعة على الأرضية الخشبية التي وطأتها الأحذية الرطبة.

كان قبل ساعات قليلة يتوسّل للشرطة أن تحتجزه، والآن يتجنبهم. كان ذراعه يؤلمه، وكأن قطعًا من الفحم الساخن تضغط على بشرته الجريحة. كان متعبًا لدرجة أن كل ما يريده أن يستلقي على الأرضية الرطبة وينام. ولكن لا يمكنه ذلك حتى. كان يخشى النوم وكل ما يأتي معه.

سحب معطفه عفن الرائحة أكثر وحاول التفكير جيدًا. وبعد دقائق استسلم، ماذا حدث لذراعه؟ لماذا جُرح بهذا السوء؟ حدّق في الضمادة الرطبة الدامية الملفوفة حول ساعده وحاول أن يتذكر. ولكن ذاكرته لم تسعفه ليسترجع ما حصل، رغم أنه متأكد من أنه لم يجرح نفسه . .. ليس عن عمد.

أسند ظهره على الألواح الخشبية فيما كانت الدموع تترقرق من عينيه المُتعبتين. يجب أن

يعالج ذراعه قبل أن يُصاب بعدوى، هذا إن لم يكن قد أصيب بها أصلًا.

قاوم بمجهودٍ خرافي أن يقوم على قدميه. لم يكن هناك إلا مكانٌ واحد يفكر في الذهاب إليه، ولم يكن بعيدًا جدًا، ولن يعرفه أحد بمعطف «تين» القديم . .. أو هكذا كان يأمل. أطلق «دان» ضحكة حزينة. الأكيد أنه لم يعد يشبه ذلك الصحفي الشاب الذي كان عليه قبل أسبوع.

تسلّل «دان» عبر البوابة الخلفية وتوجه إلى الشخص الوحيد الذي بإمكانه مساعدته.

* * *

مرّت ثانية أو اثنتان قبل أن يتعرّف «جاي بريستون» على الشكل المتساقط المنحني بشدة على بابه.

- لم أعرف إلى أين أذهب.

جاء صوته منكسرًا متألمًا مُعذبًا. علم «جاي» أن الشاب أوشك على الانهيار.

أمسك بذراعيه ورحّب به.

- ادخل، ادخل يا «دانيل».

نظر إلى جسمه المتهالك:

- ماذا حدث لك بحق الجحيم؟

دفع « دانيل » نفسه عبر المدخل وتحرّك إلى الداخل:

- يا ليتني أعلم.

قاده «جاي» إلى المطبخ وسحب مقعدًا جلس عليه «دان» من تلقاء نفسه. خلع عنه «جاي» معطفه الوسخ عبر ذراعه الأيسر:

- هل تسمح لي بالاعتناء بهذا؟

- ظننت أنك تعالج العقول!

- تدرّبت كطبيبٍ بدني قبل أن أدرس علم النفس.

ابتسم لـ«دانيل» محاولًا ألا يظهر وكأنه يحلّله.

نزع المعطف الوسخ وتركه يسقط على الأرض:

- ليس ذوقك المعتاد يا «دان»!

- أعطانيه صديقٌ ما . .. جبت الشوارع بالكاد وأنا أشبه ضحايا الحروب.

- ألا تعرف كيف حصل هذا؟

لم يجبه «دانيل».

- واحدة من نوباتك على ما أعتقد؟

أومأ « دانيل » في صمت.

تفحّص «جاي» الضمادة المنقوعة بالدماء بشيءٍ من الارتباك.

- حسنًا، إذا كان صديقك الذي وضع لك هذه هو نفس الصديق الذي أعطاه معطفه، فهذا شيء عجيب. لقد وضع لك الضمادة بعناية فائقة، بغض النظر عن المعطف سيئ الذوق.

- عذرًا، ولكن متجر المعروضات المستخدمة ليس أشبه بأرماني مثلًا.

حاول «جاي» أن يكتشف مدى سوء الجرح قبل أن يزيل الضمادات. كان « دانيل » قد نزف كثيرًا، ولكن النزيف توقف الآن.

- أعتقد أن أفضل شيء الآن أن تأخذ حمامًا وتنظف نفسك، ثم سأعتني بجرحك.

تحرك ناحية الباب وقال.

- تعال، سأحضر لك ملابس نظيفة وبعض المناشف.

خلع « دانيل » ملابسه في الحمام حتى ملابسه الداخلية، ثم رفع ذراعه لجاي كي يزيل الضمادات. كانت تلك أول مرة يرى فيها « دانيل » الجرح، وفور التخلص من الضمادات أخذ الدم ينزف من الجرح المتسع الممزّق في ذراعه.

- حسنًا، استحم سريعًا واشطف الجرح بالماء جيدًا. عليّ أن أخيطه.

فتح «جاي» كابينة وأخرج صندوقًا عليه صليب

أحمر.

- لحسن حظك أنني أحتفظ ببعض الغرز والإبر للطوارئ.

ذهب ناحية الباب وقال له:

- نادي عليّ عندما تستر نفسك وسأعيدك مرة أخرى.

- أتمنى لو تفعل ذلك لعقلي.

- ليس مستحيلًا يا «دانيل». أعطني وقتًا وسأحاول، أعدك.

تحرّك «جاي» ناحية الباب ثم قال «دانيل»:

- بروفيسور بريستون! أرجوك لا تتصل بالشرطة الآن. أعلم أنه ينبغي عليك، ولكن هل يمكنك أن تعطيني بضع دقائق لأتحدث معك أولًا؟

أومأ «جاي»:

- لا مانع.

تنفّس «جاي» الصعداء خارج الباب. كان جرح « دانيل » نعمةً من الله على نحوٍ غريب. فإذا تمكن من مساعدته الآن سيثق « دانيل » فيه أكثر. وإذا أراد أن يعطي تقييمًا صحيحًا لحالته العقلية عليه أن يكتسب ثقته أولًا.

ذهب «جاي» إلى غرفة نومه وأخرج من دولابه حاوية بلاستيكية بها عددٌ من الضمادات. سيؤلمه الجرح كثيراً، ولكن أفضل ما لديه أن يعيطه بعض الباراسيتامول ويطلب منه أن يعض على أسنانه. إما ذلك وإما يذهبان إلى المستشفى. كان جاء متأكدًا من الخيار الذي سيفضله «دان».

نادى « دانيل » عليه من الحمام:

- أنا جاهز!

- حسنًا!

أخذ «جاي» الصندوق وقال:

- هيا لأعالجك!

أخذت خياطة الجرح وتضميده عشرين دقيقة تقريبًا. وبعدما تأكد «جاي» من أن « دانيل » تلقّى حقن التيتانوس كان لا يزال أمامه مهمة واحدة.

- أتريد أن تتكلم؟

نظر « دانيل » إلى ذراعه وقال:

- إذا وافقت على الذهاب إلى مستشفى الأمراض النفسية هل ستعتني بي؟

قضم «جاي» على شفته السفلى:

- ليس لدي صلة بمستشفى سالترن، لذا إذا

ذهبت إلى المستشفى ستكون مسؤوليتك على عاتق فريق الطب النفسي هناك. رغم هذا، أعرف مستشفى خاص صغير عند حافة القفار. اسمها مستشفى بانر هاوس ومديرها صديقي. أعرف أنه سيسمح لي بالعمل على حالتك.

نظر « دانيل » إليه آملًا:

- لدي مال . .. أعرف أنني أحتاج إلى مساعدة.

- لست أتصرف كوليّ عليك . .. ولكن آخر جملة قلتها بداية العلاج.

أسند «جاي» ظهره وأخبر « دانيل » بشيءٍ ما بخصوص مستشفى صديقه ونوع العلاج المناسب له.

- لن أكذب عليك وأخبرك أن العلاج سهل، لأنه لن يكون سهلًا . .. ولكن بقبولك للعلاج ستكون في طريقك لاستعادة حياتك.

- هذا كل ما أريده.

نظر « دانيل » إليه آملًا:

- أستعيد حياتي! لا يمكنني أن أستمر فيما أنا عليه . .. لم أعد أعرف نفسي.

- أريد أن أخبر الشرطة بمكان تواجدك، أنت تفهم ذلك يا «دان»، أليس كذلك؟ نصف رجال قسم الشرطة يجوب الشوارع بحثًا عنك.

- لاحظت هذا.

قالها « دانيل » مع ابتسامة بسيطة ثم أضاف:

- هناك شيء أعرفه يا بروفيسور بريستون . .. أنا ابنها . .. ابن فرانسواز ثابيه . .. دمها يجري في عروقي.

- هل تفكر في الدماء كثيرًا؟

اكفهرّ وجه « دانيل » وضاقت عيناه ثم همس:

- أحلم بها.

- فعلًا؟ أخبرني عن أحلامك!

جلس «جاي» واستمع لـ«دانيل» وهو يصف له كوابيسه المليئة بالدماء، ثم بدأ يشعر بالتوتر. هل يمكن أن يكون « دانيل » مُصابًا بجنون الدماء أيضًا؟ لا يمكن أن تكون هذه مصادفة! وماذا عن جرحه الأخير؟ هل من الممكن أنه جرح نفسه بهذه الشدة؟ على أي حال، هل كان « دانيل » محقًّا بشأن فرانسواز ثابيه طوال الوقت؟ بلع «جاي» ريقه وحاول أن يخفي مشاعره. هل يجلس بالفعل قبالة ابن تلك القاتلة المجنونة؟

امتلأ عقله بمزيجٍ من الأفكار. حاول «جاي» أن يقرر ماذا يفعل. قال أخيرًا:

- اجلس هنا وارتاح. سأتصل بصديقي وأتأكد من قبولك في المستشفى. أعتقد أننا يجب أن

نتحدث كثيرًا يا «دان». لدي كل الوقت الذي في العالم من أجلك.

أومأ «دانيل»:

- وماذا عن الشرطة؟

- يمكنهم الانتظار قليلًا.

ذهب «جاي» إلى الغرفة التي يستخدمها كمكتب مؤقت وأغلق الباب. كان رأسه يدور! لم يصدِّق قصة « دانيل » أبدًا . .. حتى الآن! سيطر عليه شعورٌ بالإثارة. ابن ثابيه؟ ألا يمكن أن يكون هذا شيئًا كبيرًا؟ هزّ رأسه ثم التقط الهاتف واتصل بزميله.

عاد بعد ثلاث دقائق إلى « دانيل » وقال:

- كل شيء على ما يُرام. فور ما تنتهي الشرطة من الحديث معهم – طالما لن يأخذوا قرارًا باحتجازك – سآخذك مباشرة إلى بانر هاوس وستبدأ في العلاج على الفور، اتفقنا؟

أومأ « دانيل » ببطء وقال:

- موافق . .. هل الشرطة في طريقها؟

جلس «جاي» قبالته وقال:

- أعتقد أننا يجب أن نتحدث أولًا. سيأتون بسرعة البرق فور ما أخبرهم أنك معي. دعني أخبرك أولًا أنني أفكر في حالتك، ثم سأتصل

بالشرطة.

اقترب من «دان» أكثر وقال:

- هكذا أرى الأمر . ..

* * *

- تقارير الطبي الشرعي!

رفعت « ماري » ناظريها إلى « جاكمان » الواقف عند مكتبها.

- تقارير مثيرة جدًا في الواقع.

وضع « جاكمان » نسختين أمامها.

- ربما لا يكون لدينا دليل دامغ يربط القاتل بقتيلاتنا الثلاث، ولكن أصبح لدينا الآن شيئًا واضحًا يربط بين ثلاثتهم.

طالعت « ماري » الورق وقالت:

- تقارير السُميّة!

تفحصت الورق ثم تنهّدت:

- ثلاثتهم لديهم عقاقير مضادة للاكتئاب في دمائهم؟ ونفس نوع العقار . .. كلوميبرامين هيدروكلوريد.

- إذا تتبعنا من أين حصلوا على تلك العقاقير سنقترب كثيرًا من القاتل، أنا متأكد.

- لا بد أنها المستشفى.

عدّت « ماري » الاحتمالات على أصابع يدها.

- أولًا، زوج سو بانستر يعمل هناك. ثانيًا، جوليا هوب كانت ممرضة هناك. ثالثًا، أليسون فليت كان لديها أعمال خيرية هناك، وكذلك كانت مريضة هناك منذ سنين، على الرغم من أن الجزء الأخير ضعيف بعض الشيء.

- حسنًا، إذا كنّا سنسلك طريق المستشفى فلا تنسى تحقيقنا الآخر. فـ«دانيل كيندر» يُعد رمزًا كبيرًا هناك، كما أن رفيقته « سكاي وينيارد» أخصائية علاج هناك.

وقبل أن ترد « ماري » نادى «ماكس» عبر المكتب:

- يا زعيمة! هاتف مكتبك يرن.

أسرع « جاكمان » إلى مكتبه واختفى بالداخل تاركًا « ماري » تفكر في مضادات الاكتئاب. عرفت أن هناك سببًا دفع أليسون لتتعالج ذاتيًا، ولكن ماذا عن الآخرين؟ أي أسرار سوداء دفعت «سو» و«جوليا» لتعاطي مضادات الاكتئاب لم يصفها طبيبيهما المعالجين أو استشاريهما المتخصصين؟ فتحت ملف «جوليا هوب». أسرة طيبة، ولا مشكلات مالية، ولا ديون، وصحة ممتازة، وشخصية اجتماعية للغاية تحب الحفلات. كانت معروفة جدًا ولم يكن أي ممن

تحدثت معهم يعرف أي مشكلات كبيرة في حياتها.

نخرت « ماري » وأغلقت الملف، ثم فتحت ملف سو بانستر . .. مرة أخرى، لا شيء خاص.

- «ماري»! إلى مكتبي.

وضعت « ماري » ملفها وذهبت إلى مكتب «جاكمان». كان قد وضع هاتفه للتو.

- الشرطة التايلندية تواصلت معي . .. عرفوا مكان والدة دانيل.

- توقيت مثالي! أين هي؟

- كانت في مكانٍ ما غير مأهول في الغابات. وهي الآن في طريقها إلى مكانٍ به تغطية شبكية ملائمة. يقولون إنها ستكون هناك في غضون ساعات ثم ستكون هناك مكالمة فيديو عبر سكايب.

تنفّست « ماري » الصعداء:

- مذهل! على الأقل سيكون لدينا بعض المعلومات عن خلفية «دانيل».

- دعينا نأمل في ذلك. الشرطة التايلندية حجزت لروبي كيندر تذكرة على طيران آسيا من شيانج ماي إلى بانكوك وهناك ستأخذ أول طائرة إلى هنا. ربما حينها ستتكلم مع ابنها بالعقل.

- كم سيأخذ هذا من وقت؟

قطب حاجبيه وقال:

- حسنًا، بضع ساعات من الشمال إلى بانكوك، ثم بناءً على موعد مغادرتها على طائرة العودة، أظن اثنتي عشرة ساعة إضافية حتى مطار هيثرو بلندن.

- إذًا فنحن نتحدث عن وقت الغداء غدًا إذا حالفنا الحظ.

تعجّبت «ماري»..

أومأ «جاكمان»:

- اتصلي بـ«سكاي» وأخبريها بشأن والدة «دانيل». أخبريها أننا سنناقش أمر السطو على البيت وسنؤكد على أن « سكاي » لا علاقة لها بالموضوع.

- حالًا يا سيدي.

عادت « ماري » إلى مكتبها واتصلت بـ«سكاي وينيارد».

أجابت « سكاي » مع أول رنّة وطلبت فورًا أن تأتي إلى قسم الشرطة وتحضر مكالمة الفيديو. وافقت « ماري » وأغلقت الخط. رنّ هاتفها مجددًا على الفور.

- إنه معي يا «ماري» . .. « دانيل كيندر » بأمان

معي.

تنفّست « ماري » الصعداء:

- حمدًا لله! «جاي»، هل هو بخير؟

- جرح نفسه ولا يعرف كيف.

سكت برهة ثم أردف:

- تعرّض لجرح كبير عبر ساعده الأيسر. قمت بخياطته، وهناك أخبار جيدة أيضًا. لقد وافق على أن يذهب إلى الوحدة النفسية بمستشفى بانر هاوس طواعيةً.

- بالفعل؟

شعرت « ماري » براحة لكن غير كاملة. فبفرض أنه ليس القاتل، فإن مسألة رؤيته لأمه وحصوله على مساعدة احترافية وزيارات منتظمة من « سكاي » في بيئةٍ آمنة، كل هذا سيضعه من جديد على الطريق إلى الشفاء.

- هذه أخبار ممتازة! ولكن علينا التحقيق معه بشأن جريمة القتل الثالثة، هذا إذا رأيت أنه جاهز، أليس كذلك؟

سكت برهة ثم أضاف:

- إنه ضعيف جدًا. يتردّد بين العقلانية والوعي والاضطراب الشديد في بعض اللحظات، ولكنه يعلم أنه لم يمكنه أن يكمل هكذا . .. كما أنه يريد

إجاباتٍ أيضًا.

- حسنًا، سنأخذه.

- كنت أتساءل ما إذا أردتِ أن أجلبه معي؟ ربما أحافظ على حالته مستقرةً لكي تتحدثي إليه. ربما يضطرب ويهرب مجددًا عندما يرى الشرطة خارج الشقة.

قطبت « ماري » حاجبيها:

- هل أنت سعيد بهذا؟ أن تجلبه وحدك؟

- لم أكن لأقترح هذا إذا لم يكن من مصلحته. ولكن شكرًا لكِ على اهتمامك بسلامتي. أعلم سبب هذا، ولكن « دانيل » شخص مختلف تمامًا عن تيرينس أوستن. سأكون بخير.

صرّت « ماري » على أسنانها في توتر. لم تكن تفكر في أوستن مطلقًا، ولكنها لم ترد أن تفقد « دانيل كيندر » مجددًا. سيارة دورية شرطة وشرطيان ربما يكونان أكثر أمانًا.

- حسنًا يا «جاي»، إذا كنت ترى أن هذا هو الخيار الأفضل. متى ستغادر؟

- بعد خمس دقائق . .. أراكِ بعد ربع ساعة.

* * *

كان الليل يداهم الأرجاء، وفيما كان « كيفن ستونر» يفرغ محتويات خزانته، كان الشرطي

«ماكس كوهين» يتسكّع في غرفة تبديل الملابس.

- إنهم ينقلونه يا رفيق، شاهدت للتو رقيب الاحتجاز يودّعه . .. يمكنك أن تتنفّس الصعداء الآن.

ابتسم « كيفن » لابتسامة «ماكس» العريضة وقال:

- ربما يمكننا جميعًا أن نتنفس الآن.

جلس «ماكس» على أحد مقاعد غرفة الملابس وحدّق في «كيفن»:

- لا أعرف كيف فعلتها، ولكن أحسنت!

توتّر «كيفن»:

- ماذا تقصد؟

اتسعت ابتسامة «ماكس»:

- مهلًا، لا تخجل! القسم كله يجب أن يشكرك على التخلص من ذلك الحقير. أنت بطل يا رفيق!

- لا أعرف عمّا تتحدث يا «كوهين». وسأكون شاكرًا إذا احتفظت بأفكارك الخاطئة لنفسك.

بدأ الخوف يظهر على «ستونر».

- اهدأ يا رفيق. هذا بيني وبينك. أعرف أنك ستلتزم بقصتك لتحافظ على عملك، ولكن عليّ

أن أعرب عن احترامي لك يا رجل! هذا كل ما في الأمر. يمكنك أن تنام وترتاح. لن أشارك أفكاري بشأنك مع «زين برويت» حينما يخرج من سالترن. لقد أسديتنا جميلًا.

وضع «ماكس» يده على كتف « كيفن » وهمّ بالخرج، لكن قال:

- كما قلت لك، احترامي!

جلس « كيفن » وحيدًا في غرفة الملابس. إذا كان أحد المحققين تمكّن من اكتشاف أمره فلا بد أن رؤساءه سيعرفون. كان يعرف أن المفتش «جيلبرت» في صفه، ولكن حتى «جيلبرت» نفسه يخضع لرؤساء أعلى منه رتبة. تخلّلت رأسه فكرة أخرى. ماذا لو خمّن «برويت» واكتشف الأمر؟ هل سينجو حينها هو أسرته من تهديدات «زين»؟

قبل أن يكوّن إجابة انفتح الباب مجددًا. كان الرقيب «كادمان» هذه المرة:

- آه، جيد أنني لحقتك قبل أن تغادر يا «ستونر».

همّ « كيفن » بالقيام، ولكن الرقيب لوّح له بالبقاء جالسًا ثم جلس على مقعدٍ قبالته.

- ظننت أنك ستودّ أن تعرف أن برويت تم ترحيله إلى لينكولن.

توقف برهة ثم أضاف:

- رجعت لتوّي من شقة «برويت». وجدنا كل شيء نريده، إذاً فهمت قصدي.

أومأ « كيفن » وتنفّس الصعداء. كان هذا السبب الذي جعله يجوب الأرجاء الساعات القليلة الماضية. لم يرد أن يغادر القسم قبل أن يعرف أن مهمة الرقيب غير الرسمية تمت بنجاح.

- شكرًا، سيدي. لا أصف لك مقدار شكري وتقديري.

- عفوًا يا بني، لا بد أن حياتك كانت جحيمًا طوال الأشهر القليلة الماضية، أليس كذلك؟

- بالتأكيد يا سيدي.

تنهّد «كادمان» وهزّ رأسه:

- كنت أتمنى أن تأتي إليّ وتخبرني بما حصل. إدراكك المتأخر أمرٌ رائع، ولكن كان عليّ أن أعرف أن شيئًا ما يحصل. كنت أظنه، كما هو حال الآخرين، مجرد شرطي لعين مغرور كسول. لم أتخيّل أبدًا أنه بهذا الفساد وتأثيره المدمر هذا عليك.

- هذا خطئي يا سيدي، لم تكن لدي الجرأة لأتصدّى له.

بلع ريقه ثم أضاف:

- الحق يُقال إن الأمر أصابني بشدة . .. جعلني

أشك في قدراتي كشرطي جيد. حقيقةً ربما أعيد التفكير في مشواري المهني كشرطي.

- هراء! أنت شابٌ رائع ولك مستقبل باهر. عندما يهدد أحدهم أحبابك فالعقل والمنطق حينها يفقدان قيمتهما. إذا كان التهديد موجهًا إليك لكنت تعاملت بشكلٍ مختلف، ولكن «زين» جعلك تخاف على ابنة أخيك الصغيرة، أليس كذلك؟ كان ذكيًا يا «كيفن»، ولكن الأمر انتهى الآن، بعيدًا عن الأمور القانونية. غير أن الأمر لن يكون لطيفًا مطلقًا، وأراهن على أن «برويت» سيعاني لمدةٍ طويلة.

- أنا متأكد من أنه سيرى طريقة لتوريطي.

- ربما، ولكن لا أحد سيصدق كلمةً منه. لقد ورّط نفسه ولن يلوم إلا نفسه. وبيني وبينك، ليس لديه حجة غياب في تلك الليلة التي اقتحم فيها بيت «كيندر»، لن يهرب من هذه، أعدك.

وقف الرقيب وقال:

- والآن، عد إلى بيتك وانس كل ما قلته عن ترك الشرطة. عندما ينتهي هذا الأمر سنعجلك تعمل مع شريكٍ بارع، وسيختفي «زين برويت» كرائحةٍ كريهة.

توقف في الممر وقال:

- أو ربما تخضع لاختبارات الانضمام إلى إدارة

التحقيقات. أعرف أن المفتش « جاكمان » سيدعم هذا القرار.

رفع «كادمان» حاجبه وقال:

- فكّر في الأمر.

أسند «كيفن»، الجالس وحده، ظهره على باب الخزينة. كان قد فكّر في ترك الشرطة ليس بسبب الضرر الذي ألحقه به زين برويت، ولكن بسبب الطريقة الشيطانية التي تعامل بها. إذا كان قد تمكّن من وضع خطةٍ محسوبة ومخادعة لتوريط ضابطٍ زميل، فربما لا يكون أفضل من «زين». ولكنه حينها فكّر في «صوفي»، لم يكن لديه أدنى شك أن «زين برويت»، أو أي من رفقائه، سيتسببون في أذى يغيّر حياتها إلى الأبد. مجرد التفكير في هذا كان يرعبه.

تنهّد « كيفن » بصوتٍ مرتفع، انتهى الأمر. عليه أن يتعايش مع الأمر. علم أمرًا واحدًا عن «زين برويت» لم يعلمه الآخرون. إن السبب الذي مكّن « كيفن » من الإيقاع بـ«زين» بكل ثقة كان أنه يعلم مكان زين وقت الاقتحام. قال الرقيب «كادمان» إنه ليس لديه حجة غياب، ولم يكن لديه فعلًا. ولكن تلك الحجة لم يكن ليفصح عنها، لأنه كان يتفاخر لـ«كيفن» بأنه يضاجع زوجة أحد المفتشين.

ابتسم «كيفن» . .. كان قد قرأ الرسالة التي تحدد

لقاءهما التالي عندما أخذ هاتف «زين» وأرسل النص إلى درو ويلسون يخبره بأن بيت «كيندر» خال.

جمع « كيفن » أشياءه. أحيانًا كان يتمنى لو أن أباه قد اختار طريقًا آخر. ربما العمل في المكتبات أو البستنة. أي شيء يحرّر « كيفن » من شعوره الثقيل بالحلال والحرام. كان أبوه قد ربّاه على تجنّب الخطيّة . .. يعلم « كيفن » الآن أنه قد ارتكب خطيّة.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

- أين «جاي بريستون » بحق الجحيم؟ كانوا من المفترض أن يصلوا قبل نصف ساعة. حاولي الاتصال بهاتفه يا «ماري».

أخذ « جاكمان » يجوب مكتبه رواحًا ومجيئًا.

- فعلت للتو، ولكن بلا فائدة . .. هناك خطبٌ ما يا زعيم!

زمجر «جاكمان»:

- أليس كذلك؟ أليس من الأفضل أن يحدث شيءٌ طيبٌ واحد في هذه القضية؟

- كان عليّ أن أرسل سيّارة.

بدا اليأس على «ماري».

توقّف « جاكمان » وقال:

- ليست مشكلتك، فتبريره كان ليقنعني أنا أيضًا.

- سرت وراء حدسي وسمحت لبريستون أن يقنعني. لا عذر لي، يا لي من حمقاء!

نظر « جاكمان » إلى ساعة الحائط. كان رابط الفيديو مع تايلاند قد تأخّر ساعة لأن رحلة روبي كيندر من الغابة أخذت أكثر مما كان متوقع. كما أن مدتها أصبحت نصف ساعة. عاد يجوب المكتب مرة أخرى. أكّد له شرطي أن سيارة «جاي بريستون » ليست عند بيته، كما أن جارًا له قال إنه شاهد « بريستون » وشاب صغير يقودان السيارة قبل ساعة إلا ثلث. المشوار لا يأخذ أكثر من عشر دقائق، فأين هم بحق الجحيم؟

طرق أحدهم الباب وظهر وجه مألوفًا.

- جاي!

وقفت «ماري».

- الحمد لله! ظننا أن أمرًا ما وقع لكما، ولكن . ..

سأل «جاكمان»:

- أين « دانيل كيندر»؟

- لقد أضعته!

نظر «جاي بريستون » إلى « ماري » في حالةٍ يُرثى لها.

- أعتذر لكِ . .. كان من المفترض أن أتركك تتعاملين مع الأمر.

- ولكن كيف حدث هذا؟ لقد غادرتما معًا، أليس كذلك؟

أدرك « جاكمان » فجأة أن « بريستون » ليس في حالته النظيفة. أكمام معطفه كانت ملوّثة بالوسخ وبنطاله مبقّع بالتراب وحذاؤه غارق في الطين.

- أوه، كنا قد غادرنا بشكل طبيعي ثم قال إنه يشعر بتوعّك.

بدا أن «جاي» غاضب منه نفسه.

- وبما أنه قد خيط ذراعه قبل قليل بدون أي مسكنات باستثناء قرصين من الباراسيتامول، فقد صدّقت كلامه ووثقت فيه. وما إن توقفت حتى وجدته خرج من كرسي الراكب. أوقفت محرّك السيارة، ويا لغبائي! تركت مفاتيح السيارة في المحرّك وذهبت لأساعده.

زاد غضبه أكثر.

- تمكّن مني ودفعني أرضًا على جانب طريق

سلويس، وقبل أن أقوم كان قد أخذ السيارة وهرب.

تنهّد وأضاف:

- أخذت الطريق سيرًا من هناك لدى بوابات بلاكلاند سلويس.

اكفهرّ وجه «ماري»:

- أظن أن هاتفك في السيارة، أليس كذلك؟

- للأسف!

- وتقول إنه في حالة مستقرة؟

- حقيقةً ظننت أنه في حالة مستقرة فعلًا . .. كان تحت السيطرة كما قلت لكِ.

نفخ « جاكمان » خدّيه:

- أتظن أنه خطط لهذا؟

جلس « بريستون » على كرسي:

- أتفق . .. لا بد أنه ظن أنكم ستعثرون عليه إذا ذهب إلى الطوارئ، لذا استغلني لأعالجه، وما إن أصبح جاهزًا حتى هرب . .. بسيارتي. وأيضًا، بعض ملابسي.

- علينا أن نوزّع تعميمًا على المرور لإيقاف السيارة.

فتحت « ماري » مذكرتها وسألت:

- ما نوع السيارة ورقم الرخصة؟

- لقد تحدثّت للتو مع الرقيب المناوب في طريقي إلى هنا.

اهتز وأضاف:

- واهتم بكل تلك التفاصيل.

تمتم «جاكمان»:

- جيد، سيعرفون مكانه قريبًا.

بدا التعب على «جاي» فجأة:

- أتمنى ذلك. أتعلمون شيئًا، كنت متأكدًا من أننا اقتربنا من الحل. بدا مختلفًا جدًا، وصادقًا جدًا. تحدثنا كثيرًا. الغريب في الأمر أنه سنحت أمامه فرصتان للهرب، في المرتين ذهبت إلى مكتبي لعمل اتصالات هاتفية، وفي المرتين كانت مفاتيح سيارتي على طاولة الصالة. كان من الأسهل له أن يتسلّل بهدوء . .. ولكنه لم يفعل.

نظرت « ماري » إليه:

- ربما شيءٌ ما في محادثتكما جعله يهرب.

نظر إليها بتمعّن:

- لا أظن هذا.

ارتعد وأضاف:

- **لو كان هناك ما استفزّه، فلا أعلم ما هو. لقد خدعني تمامًا.**

تحسّس جاي عضلات مؤخرة عنقه وسأل:

- **كيف لي أن أكون بهذا الإهمال؟ لا، الأسوأ من هذا، كيف لي أن أكون بهذا الغرور؟ أن أكون بهذه الثقة العمياء في إمكانياتي؟**

ردّ عليه «جاكمان»:

- **لا تثريب عليك يا «جاي»! صحيح أن « دانيل » مضطرب، لكنه يبقى ذكيًا وشابًا محبوبًا، ولا يعلم أحدنا نيته عندما نتكلم معه. دقيقة واحدة! أنا مقتنع بأنه شابٌ حزين لديه هوس مرضي بماضيه الغامض . .. وأؤمن بأنه قاتلنا!**

- **حسنًا، ولكنني المعالج النفسي . .. وإذا لم أفهم طريقة تفكير « دانيل » فلا فائدة مني، أليس كذلك؟**

لحسن الحظ رنّ هاتف « ماري » قبل أن يقول « جاكمان » أي شيء آخر.

- **«سكاي»؟ ما الأمر؟ لا تقلقي . .. سأرسل لكِ أحد رجالنا ليقلك . .. نراكِ بعد قليل.**

نظر إليها « جاكمان » متسائلًا، فقالت:

- **انفجر أحد إطارات سيارتها في حين أنها مصرّة**

على مقابلة روبي عبر الرابط.

نظرت إلى « جاكمان » بهدوء:

- وإذا كان « دانيل » قد هرب ولديه خطة ما داخل عقله المضطرب، أرى حينها أنها في أمانٍ معنا، أليس كذلك؟

- بالطبع . .. وفري لها سيارة على الفور.

غادرت « ماري » ثم نظر « جاكمان » إلى «جاي بريستون»:

- وسأطلب من «ماكس» أن يوصلك إلى البيت لكي تنظف نفسك. بالمناسبة، هل قلت إن « دانيل » لديه بعض ملابسك؟

- كانت ملابسه مغطّاة بالدماء. إنه يرتدي الآن بنطال جينز أزرق وقميص بولو رالف لورين أزرق باهت ومعطف رمادي فاتح.

- مغطاة بالدماء؟

- من الجرح في ذراعه.

- هل ما زالت ملابسه القديمة لديك؟

- في حمّامي. كنت سأتخلّص منها عندما أعود.

- حسنًا، على «ماكس» أن يحصل عليها ويجلبها إلى هنا. من المحتمل أن يكون هناك ما هو أكثر من مجرد دمائه على تلك الملابس. نحتاجها من

أجل الطب الشرعي.

أومأ «جاي»:

- آه، فهمت. لم أفكّر في هذا. حسنًا، سأعطيها لـ«ماكس». لحسن الحظ لم يلمسها أحدٌ غير «دانيل» . .. لذا لم تتعرض لأي تلوث.

- هل أردت أن تكون هنا من أجل مكالمة الفيديو؟ لأن الوقت اقترب فعلًا.

هزّ «جاي» رأسه وقال:

- لقد نلت ما يكفي من إثارة ليومٍ واحد . .. يمكنك أن تخبرني غدًا يا سيادة المفتش. أعتقد أن حمّامًا ساخنًا طويلًا هو ما أحتاجه الآن فور وصولي إلى البيت.

- سنخطرك بمجرد ظهور سيارتك، وفي حالة عدم ظهورها سأمر عليك بنفسي في الصباح في طريقي.

- شكرًا لك.

نفض «جاي» معطفه المتسخ بلا فائدة وقال:

- مجددًا، أعتذر لك عمّا حصل. أتحمل الخطأ بالكامل، لولاي لكان « دانيل » بالأسفل في غرفة التحقيقات. كان من الواجب أن أنصت لـ«ماري».

- لا تحمل همًا!

ابتسم « جاكمان » بالكاد متفقًا معه وقال:

- « ماري » دائمًا على حق . .. أمر غريب، أليس كذلك؟

بدا التوتر على «جاي بريستون»:

- سيادة المفتش! عليّ أن أقول إنني لم أعد أثق حيال « دانيل كيندر». ذلك الجرح في ذراعه مثلًا؟ هل كان حادثًا؟ هل أصابه أحدهم فيما كان يدافع عن نفسه؟ أم جرح نفسه؟ الأهم من ذلك هو كيف تمكّن مني! إذا كان قد تمكّن مني بهذا الذكاء يا سيادة المفتش، فما بالك بالآخرين؟

وفيما سار «جاي بريستون » بعيدًا أخذ « جاكمان » يحدّق فيه ويفكّر في « ماري » وعلاقتها القديمة بالمعالج النفسي.

ورغم أنها أخبرته بما حصل أثناء قضية تيرينس ماركوس أوستن، إلا أن « جاكمان » كان يشعر بعدم راحة غريبة تجاه عملهما معًا. كان من الصعب أن يصدّق أن تلك النظرات القصيرة الخفية التي يلقيها عليها لا تعبّر عن آماله في علاقةٍ بينهما. كانت « ماري » قد قالت إن الأمر ليس كذلك، ولكن هل كانت محقة؟ رغم أنها تتعامل مع الأمر جيدًا. لطالما كانت لطيفة، ولكنها عاملته كأي زميلٍ آخر. تمكنت من أن تبقي « بريستون » وماضيهما معًا بعيدًا عن مسرح العمل، ولكن بلطف . .. لم يكن هذا سهلًا.

زمّ شفتيه بإمعان . .. لماذا يفكر هكذا بحق الجحيم؟ كان في وسط تحقيقٍ في جريمة قتلٍ ثلاثية، كما أنه مفتش مباحثٍ وليس جليسة أطفال لماري! ولكن ماذا لو كان « بريستون » يهواها فعلًا؟ ليس من شأنه إطلاقًا. فـ«ماري» امرأة جذابة حقًا ومن الطبيعي أن يهواها «بريستون». تذمّر « جاكمان » والتقط تقارير الطب الشرعي أمامه وأجبر نفسه على التركيز في عمله. وفيما همّ بالقراءة انتابه حلمٌ ما.

كان يجلس فوق فرسه الأثير « جلوري » يرمح على رمال بيته القديم الرطبة. ومن خلفه « ماري » على النارية السوداء والخضراء اللامعة. شعرها الكستنائي تداعبه الريح ناعمًا ولامعًا كشعريات جلوري المتطايرة.

وفجأة، فهم « جاكمان » أن شيئًا ما لم يحدث له من قبل قد حدث للتو. كان لكليهما خلفية مختلفة، وكلاهما سلك طريقًا مختلفًا ليصلا إلى ما وصلا إليه. ولكنهما يشبهان بعضًا على نحوٍ أخذ أنفاسه بعيدًا. كانت « ماري » قد وصفت له من قبل ذلك الشعور البهيج الذي ينتابها عندما تركب دراجتها بسرعةٍ فائقة على طريقٍ شاغر. كان يعلم بالضبط ما تشعر به. فهو الآخر كان يشعر بكل دقة قلب فوق حصانه وكل دفقة بهجة تخالج صدره عندما يحمله جلوري فوق الشاطئ. أغلق عينيه وتنفّس بعمق. ما بك يا «جاكمان»؟ الكل سيظن أنك تغار من «جاي

بريستون»! ولكن لا، كل ما في الأمر أنه صاحب خبرة في الحياة وصاحب وعي عميق. هزّ رأسه . .. إن الضغط الذي تولده تلك القضية اللعينة يكاد ينال منه. لم ينخرط من قبل في أفكارٍ خيالية وسط تحقيقٍ ما. حقيقة الأمر أنه لم ينخرط في أفكارٍ خياليةٍ أبدًا.

أخذ تقرير السُميّة وبدأ يطالعه بصوتٍ مرتفع محاولًا جاهدًا أن يعيد عقله إلى تركيزه . .. أخذ وقتًا لكي يعيده إلى حالته.

* * *

كان وجه «روبي كيندر» منكمشًا ومصفرًا ويعتريه القلق. نظرت « ماري » إلى صورة الفيديو المهتزّة قليلًا لترى ما إذا كانت «روبي» قد وجدت علاجًا لحزنها . .. ولكن لا.

كان الاتصال مهتزًا بعض الشيء وغير متزامن قليلًا مع الصوت، ولكن بما أن الطرفين كان يمنحان بعضهما الوقت للحديث كان الكلام مفهومًا.

شرح « جاكمان » الأمر المتعلقة بابنها بحكمة قدر الإمكان . .. لم تصدّق «روبي» الكلام إطلاقًا. انفجرت:

- ولكنه لم يبدِ أدنى اهتمام بوالديه الأصليين!

همست « سكاي » من وراء كتف «جاكمان»:

- لأنه لم يرد أن يجرحها أو يجرح والده، لأنه يحبهما وظن أنه لو أخبرهما بشأن أمه الحقيقية لاعتبر ذلك خيانة لكل ما قدّمه آل كيندر له.

فهم « جاكمان » كلام «سكاي».

- آه يا « دانيل » لو كنت تحدثت معي! لكنت وفّرت عليك كل هذا! أعرف كل شيء عن حياته الأولى يا سيادة المفتش «جاكمان».

توقفت ثم تنحنحت وقالت:

- لم يكونوا ليسمحوا لي أنا وسام بتبنيه إن لم نكن على دراية كاملة بتاريخه الصادم.

مال « جاكمان » إلى الأمام وسأل:

- صادم؟

تنهّدت «روبي»:

- نصحنا الأطباء النفسيون بألا نخبره عن ماضيه أبدًا، لأن هذا قد يسبب مشكلات كبيرة في حياته بعد ذلك. ظل تحت المتابعة الدقيقة لسنين . .. سنين طويلة.

شعرت « ماري » بتوتر « جاكمان » وهو يحاول تجنّب استعجالها.

- والدة « دانيل » كانت مدمنة مخدرات يا سيادة المفتش . .. وقد تمكّنت بشكل أو بآخر، رغم وجود الخدمات الاجتماعية، من أن تحتفظ

بأبنائها الثلاثة.

سألت «ماري»:

- أولديه أشقاء؟

ظلّت «روبي» صامتة برهة، ثم أضافت:

- كان له! لم يكن أحد يعرف كم كانت والدة « دانيل » قريب من نقطة الانهيار، ثم في ليلةٍ ما أخذت أبناءها الثلاثة إلى غابةٍ قريبة ثم ربطت خرطومًا بأنبوب العادم وأغلقت على أربعتهم السيارة.

شهقت «ماري». تذكّرت على التو رائحة العوادم داخل جراج بروس فليت المُغلق.

- حدث هذا في ديربيشاير. ربما سمعتم عن الحادث. كان اسمها لوسي كاريك. قتلت نفسها وشقيقي دانيل. أما « دانيل » نفسه فكان الناجي الوحيد. كان هناك رجلٌ يبحث عن كلبٍ ضائع، فكسر شبّاك السيارة وأخرجه منها.

- أوه، يا إلهي!

قاومت « سكاي » دموعها، ولكن بلا فائدة.

- يا حبيبي «دانيل»!

استمرت «روبي». ربما شعرت أنها لو توقفت لن تجد القوة لتبدأ مرة أخرى.

- يبدو أنه ظلّ مريضًا بشدة لمدة طويلة بعدها. شكّوا في أنه أصيب بتلفٍ في القلب والمخ بما أن أول أكسيد الكربون تسبب في ضررٍ بالدم، كما أن قلّة الأكسجين كادت تتسبب في فشل أعضائه الحيوية. إلا أنه قاوم، غير أنه قيل له إن آثار التعرض الطويل لأول أكسيد الكربون أدّى إلى فقدان شديد في الذاكرة. قالوا أيضًا أنه ربما يعاني من اكتئاب واضطرابات بصرية وعدم تركيز وتوتر وأمور أخرى كثيرة.

- ورغم ذلك، أخذ « دانيل » مشوارًا مهنيًا يتطلب ذكاءً وتركيزًا وذاكرة جيدة وقدرة على فهم الآخرين . .. ونجح في هذا.

فركت «روبي» عينيها من فرط التعب وقالت:

- نعم، بالفعل، بفضل الله. ولكن سنينه الأولى معنا كانت مليئة بالتوتر، كما أن الأطباء كانوا محقين بشأن بعض مشكلاته.

- فقدانه للذاكرة؟

- إنه لا يتذكر أي شيء إطلاقًا عن الخمس سنين الأولى من حياته، ولكننا اعتبرنا هذا نعمة من الله. ولكن المشكلة كانت في تلك النوبات القصيرة غير المنتظمة . .. هذا ما أخفانا.

سألت «ماري»:

- لماذا؟

- لأن هناك أشياء كانت تحدث أثناء تلك النوبات، ولم يكن « دانيل » يتذكر شيئًا عنها.

- أي أشياء؟

سألها « جاكمان » وهو ينظر إلى « ماري » متوترًا.

- نوبات غضب، وهجمات مفاجئة، وفورات جنون، وأحيانًا ما كان يجوب المكان بدون أن يتذكر إلى أين ذهب.

همست «ماري»:

- يجب على «جاي بريستون » أن يكون هنا . .. يجب أن يسمع هذا.

- لا تقلقي، المكالمة مُسجّلة. سنعيدها مرة أخرى معه.

عاد « جاكمان » إلى «روبي كيندر» وسأل:

- هل كنتِ تعرفين أن تلك النوبات كانت لا تزال مستمرة؟

- لا يا سيادة المفتش، لم أكن أعرف. ولا أعرف لماذا يهتم كثيرًا بتلك المرأة المجرمة المُسمّاة فرانسواز ثابيه. لم أسمعه يأتي على سيرتها أبدًا.

- أولم تدخلي غرفته العليّة في بيتك؟

بدت «روبي كيندر» مرتبكة تمامًا:

- لا، ولكن لماذا؟ أخبرني « دانيل » أنه يحتفظ بأبحاثه القديمة لمقالاته هناك في حالة ما إذا احتاجها مرة أخرى، وكذلك حواسيب وطابعات قديمة، أمور كهذه. قال إنها أشبه بمقلب للأشياء القديمة وكان يغلق الباب عليها لأنه كان يجري أبحاثًا عن حياة أشخاص آخرين. لماذا؟

شرح لها « جاكمان » فيما كان وجهها يتقلّب بين الارتباك والألم. تمالك نفسها وسألت:

- والآن تقول إنه اختفى؟

- أخشى هذا. لدينا شرطيون في كل أنحاء المدينة والريف المجاور يبحثون عنه. شوهد قبل ساعات، لذا سنعثر عليه، لا تخافي.

- حسنًا، يجب أن أخبرك أنه ربما عاد إليه قسطٌ من ذاكرته عن طفولته الفظيعة.

بدا الجد على وجه «روبي» وأضافت:

- قال الأطباء أن هناك احتمالية ضئيلة لأن يحدث هذا، ولكن يبدو أن يسيء فهم ما يتذكره. لقد عومل بسوء شديد على يد أصدقاء أمه المدمنين. لا يمكنني أن أصف الحالة التي كان الطفل عليها عندما شاهدته أنا وسام في المستشفى. عليكم أن تتحدثوا مع شخص أكثر خبرة مني، ولكنني أشك أنه ربما بدأ يتذكر أمه

الحقيقية وبعض الأمور الفظيعة التي رآها. إنه شابٌ ذكي ومحب للاطلاع يا سيادة المفتش. وأعتقد أنه صادف قصة ثابيه في بحثه وربط بينه وبين القاتلة على سبيل الخطأ، ألا تتفق معي؟

تنهّد « جاكمان » بصعوبة:

- ربما.

- إذاً، إنه مخطئ تمامًا بشأن أمه الأصلية، سيعاني كثيرًا يا سيادة المفتش. يجب أن تعثروا عليه وأن تخبروه الحقيقة.

حاول « جاكمان » جاهدًا أن يطمئنها، ولكن « ماري » شعرت بيأسٍ في كلامه. أخذ يخبرها عن محاولة اقتحام بيتها.

- لست قلقة حيال البيت، كل ما أريده أن أرى ولدي سليمًا.

توقفت برهة وسألت:

- هل « سكاي وينيارد» معك؟

- بالفعل، هل تريدين التحدث معها؟

- أوه، نعم. إنها تحب ابني يا سيادة المفتش. لا بد أن الأمر يؤلمها أيضًا.

استمعت « ماري » للمحادثة وكأنها تتنصّت عليهما لتسمع مشاعرهما:

سألت «سكاي»:

- ذلك الجرح في رأي «دانيل»، هل سقط من أرجوحة فعلًا؟

- آه، فعلًا، هذا حقيقي. ما زلت أذكر صراخه حتى اليوم. شعرت بالذنب كثيرًا. كان قد عانى الأمرين، وكل ما كنت أريده هو أن أقدم له الحب والحماية، ولكنه كاد أن يموت بسبب تلك السقطة.

ابتسمت متعبةً:

- «سكاي»، عليّ أن أذهب الآن. لا يمكنني أن أتأخر عن طائرتي في شيانج ماي. اعتني بنفسك يا عزيزتي، وسأراكِ فور وصولي.

أغلق « جاكمان » الاتصال وجلسوا جميعًا في صمت. لم تر « ماري » إلا هؤلاء الأطفال الثلاثة محبوسين في سيارة مليئة بالعوادم القاتلة. كانت تعرف أن « جاكمان » يتخيّل الأمر كذلك.

تثاءب « جاكمان » بصوتٍ واضح ثم قال:

- ماذا سنفعل حيال «سكاي»؟

تمدّدت « ماري » وقالت:

- الوقت تأخر . .. كنت أفكر في أن نحضر شيئًا نأكله. يمكنها البقاء وتناول الطعام معنا. لا أحبذ فكرة عودتها إلى البيت في ظل وجود «

دانيل » بالخارج طليقًا.

- ولا أنا. ولكن لا يمكننا أن نجبرها على البقاء إذا لم ترد ذلك.

- سأسألها.

وقفت « ماري » ثم قالت:

- بالمناسبة، هل توصلّت إلى «جاي بريستون»؟

- نعم، ما زال غاضبًا بشدة من نفسه بشأن ما حصل. والآن يركل نفسه لعدم حضور المكالمة.

داعب « جاكمان » القلم على مكتبه وأضاف:

- يعتقد أن «روبي» قد تكون محقة بشأن ابنها. قد تؤدي عودة الذاكرة لعقل « دانيل » إلى خلق أمٍ هجينة نصف حقيقية ونصف فرانسواز ثابيه. يقول «جاي» إن الأمر يضايقه كثيراً.

- يضايقني أنا أيضًا. علمًا بأن سيارة «جاي» لم يرها أحد، رغم أن كاميرات المراقبة منتشرة في كل أنحاء سالترن، يبدو أن « دانيل كيندر » قادها إلى ثقبٍ أسود.

أخرجت « ماري » محفظتها لتتفحص مالها وسألت:

- ماذا تريد أن تأكل؟

- سمكة قاروص مقلية شهية مع البطاطس

المهروسة بالزيتون وصلصة الفرجيل. أو ربما شرائح اللحم البقري مع هريس وصوص المشروم البري وشوربة خضراء.

- سأخبر الفريق.

أضافت « ماري » بصوتٍ جاد:

- غير أنني أشك أنهم سيصوتون لصالح شطائر هامبرجر مشوي مع بطاطس مقلية وسلطة كول سلو.

- حمقى!

كانت « سكاي » تتحدث عبر هاتفها المحمول عندما وجدتها «ماري».

- كان هذا «دوناند»، صديق «دانيل». سيأتي ليأخذني بعد الانتهاء من أعمال الشحن. عرض عليّ أن يوصلني إلى بعض الأماكن التي كان « دانيل » يتردد عليها لنرى ما إذا كان هناك. لا أعقد آمالًا كبيرة، ولكن هذا أفضل من لا شيء.

- إذًا لديك وقت لتأكلي شيئًا . .. أخشى أننا لا نطلب إلا طعامًا جاهزًا سريعًا.

أومأت « سكاي » سريعًا:

- لا أتذكر آخر مرة أكلت فيها . .. هذا رائع، شكرًا لكِ.

أخذت « ماري » « سكاي » إلى غرفة التحقيقات

وطلبت من «تشارلي» أن يذهب ليحضر الهامبرجر. وفور ذهابه قالت «سكاي»:

- لا أعرف إذا كان ما سأقوله له فائدة، ولكن «مارك» أخبرني عن أحد العاملين في التعبئة لديه يبدو أنه كان يهتم كثيرًا بـ«دانيل». هل تظنين أن هذا يستحق بعض التحقيقات؟

نظرت « ماري » إليها:

- أي نوع من الاهتمام؟

- قال «مارك» إن ذلك الشاب يقتبس من مقالات « دانيل » كلمة بكلمة، كما أنه كان يحوم حول « دانيل » عندما يكون في مكتبه.

- ما اسمه؟

قلّبت « سكاي » في حقيبة كتفها وقالت:

- كتبت اسمه هنا يا سيادة الرقيب.

أخرجت ورقة صفراء وأعطتها لـ«ماري».

- «نيك بروور».

- يبدو شخصًا ذكيًا، أفضل بكثير من كونه عامل تعبئة، ولكن «كارلا»، مديرة «مارك»، قالت إنه يقبل أي عمل لينفق على نفسه.

- لا أظن أن هذا أكثر من مجرد إعجاب، أو ربما عبادة من نوعٍ ما. أنا متأكدة من أن « دانيل »

يتلقى رسائل وتعليقات كثيرة بشأن مقالاته الصحفية، أليس كذلك؟

- أوه، فعلًا . .. لديه الكثير من المتابعين.

لسببٍ ما لم تهتم « ماري » بأي شكل بخصوص «نيك براوور» وإعجابه بـ«دانيل». من ناحية أخرى، كانت أكثر اهتمامًا بـ«مارك دوناند». لم تكن قد قابلته أو تحدثت معه، كما أنها تحب أن تعرف وجه كل اسمٍ تسمعه.

- هل تعرفين «مارك» منذ مدة طويلة؟

- حوالي ثلاث سنوات على ما أعتقد. ولكن «دان» يعرفه منذ مراهقته.

- هل يعرف «مارك» بشأن « دانيل » و...

حاولت « ماري » إيجاد كلمة أفضل فقالت:

- هوسه فرانسواز ثابيه؟

- أوه، لا. أنا الشخص الوحيد الذي وثق فيه «دان» بشأن الغرفة العليّة. وأعتقد أنني أخبرت العالم كله بهذا السر.

اقتربت « ماري » منها وأمسكت ذراعها بلطف:

- لقد فعلتِ كل شيء صحيح حيال «دانيل». أنتِ تحبينه، وتحاولين أن تصححي له الأمور. لا شيء لتلومي نفسك عليه.

- أشعر أنني زدت الأمور سوءًا.

- ليس أي من هذا خطئك، كما أنكِ تعرفين الآن أنه ليس خطأ « دانيل » أيضًا.

فاجأتـها صـورة الأطفال الثلاثـة داخـل سيارة مغلقة مليئة بالغاز.

- لقد عانى كثيرًا . .. لا عجب في أنه اضطرب هكذا.

قالت « سكاي » بحزن:

- والأسوأ حتى الآن أنه يسيء فهم الأمور.

- ليس كليةً. بالعكس، كان محقًا جدًا، أليس كذلك؟ فأمه مجرمة حقًا، ولكنها ليست فرانسواز ثاييه. لم تكن لوسي كاريك مجرمة ميتة القلب معدومة المشاعر ذات شهوة مرضية للدماء. كانت فتاة تدمن المخدرات يئست من الحياة.

- ليست نفس المرأة، ولكنها تظل قاتلة. يا لها من فوضى!

تنهّدت « سكاي » ثم أومأت « ماري » وقالت:

- هل ترتاحين لخروجك مع «مارك» الليلة؟ لدينا الكثير من الشرطيين بالخارج يبحثون في كل مكان.

- لا مشكلة. كما قلت لكِ، أن أبقى هكذا لا أفعل شيئًا ولا أعلم مكان «دان» يدفعني إلى الجنون.

- «سكاي»، إذا وجدتيه عديني ألا تقتربي منه. أعرف أن الأمر يبدو سخيفًا، ولكن اتصلي بنا حينها على الفور. لا أقول أنكِ في خطر، ولكننا فقدناه مرة، ولا يمكن أن يحدث هذا ثانية. تحتاجين إلى محترفين معكِ لكي يعيدوه بأمان، اتفقنا؟

- فهمت . .. ولكن لا شيء سيقنعني أن «دان» قد يؤذيني.

ابتسمت لها « ماري » في قلق وقالت:

- أتمنى أن تكوني محقة.

* * *

جلس « دانيل » وسط الظلام يستمع إلى الصمت.

لأول مرة منذ أسابيع لم يكن عقله يضخ الأكاذيب أو يربكه بأفكارٍ ملطّخة. شعر بذهنٍ صافٍ ومسالم تمامًا تمامًا.

الكلمات الوحيدة التي يسمعها الآن هي كلمات «جاي بريستون». كلماته أسكتت ذلك الاضطراب بداخله. عرف أنه تصرف بشكل سليم عندما توجه إلى المعالج النفسي، ليس فقط من أجل جرحه الذي عالجه، ولكن من أجل ما قاله.

ابتسم بأسف . .. كان آسفًا لأنه دفع الطبيب

أرضًا، ولكنه كان متأكدًا من أنه لن يؤذيه. كانت دفعة ضعيفة كما أن الأرضية ناعمة بعد هطول المطر. الشيء الوحيد الذي كان متأكدًا من أنه تضرّر هو كرامة الرجل نفسه . .. وربما حذاؤه الباهظ.

لم يكن تصرفًا متعمدًا، بل عفويًا بالكامل بسبب ما أخبره الطبيب عن حالته. كان بحاجة إلى بعض الوقت مع نفسه قبل أن يذهب إلى الشرطة. والآن، بما أنه يعلم الحقيقة انزاح هذا الحمل من على كاهله.

أغلق « دانيل » عينيه وشعر بالظلام يتخلّله. هناك مكان يجب أن يذهب إليه وشخصٌ مميز يجب أن يراه، ولكن قد ينتظر هذا قليلًا. أراد أن يستمتع بالسلام لدقائق معدودات . .. السلام والظلام والصمت.

ارتفع ركنا شفتيه في ابتسامةٍ بطيئة.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

جلست «ليزا هيرلي» في مقعد السائق في سيارتها وراقبت البيت الصغير في تافرنير كورت. كان مكانًا لطيفًا بالفعل. يسحبك الطوب الأحمر الدافئ لمباني السكة الحديدية القديمة إلى زمنٍ ترى فيه الغيوم المليئة بالبخار وتسمع

المحركات تقلّب الفحم.

ولكن «ليزا» كانت تشعر بشيء مخالفٍ تمامًا للبهجة. كان ظهرها مستقيمًا وكتفاها متصلبان كقضبان التيتانيوم وعيناها مجهدتان من كثرة التحديق في الظلام.

كانت ليلة باردة ذات رياحٍ قارسة قادمة من بحر الشمال حتى سرعان ما تغطّى زجاج سيارتها بنقاط الندى.

كانت قد جلست هناك لساعةٍ تقريبًا. سوف يأتي، كانت متأكدة، وتعلم أنه سيأتي قريبًا. نظرت سريعًا في ساعتها، ثم تمدّدت وأخرجت من جيبها سلسلة المفاتيح ذات القمر الرمادي.

نزلت من سيارتها وأغلقتها. ابتعدت عن البيت حتى وصلت إلى ممشى ضيّق يؤدي إلى الجراج. كانت سيارة « سكاي » الكيا لا تزال هناك في مكان ركنها المُرقّم بالقرب من البيت. كانت « سكاي » نفسها قد غادرت في وقتٍ باكر في سيارة دورية شرطة يقودها ضابط.

بعد جولةٍ فاحصة هبطت «ليزا» الطريق الإسمنتي. وقبل أن تصل إلى الجراج انحرفت في طريقٍ آخر حول الحدائق الخلفية. عدّت البيوت ثم فتحت البوابة الصحيحة ودخلت الحديقة الصغيرة. عنوان سهل، هكذا فكّرت وهي تسير بهدوء ناحية البيت المظلم. الأرض مُمهّدة

بالحجارة الجميلة والحصى الملون والأحواض ذات الجدران الأنيقة، كل هذا مناسب لـ«سكاي»؛ تلك الفتاة المكافحة الدؤوبة. كادت «ليزا» أن تهمس باسمها، وارتعدت عندما همست بالفعل.

التفّ المفتاح في القفل بسهولة. تذكّرت ألا تقفز إذا احتضنت قدميها قطة « دانيل » فجأة. لم تكن لتصرخ وتثير انتباه الجيران . .. ليس الآن.

أغلقت «ليزا» الباب ووضعت المفتاح في القفل الداخلي، ولكنها تركته مفتوحًا . .. تمامًا كما كانت ترى « سكاي » تفعل. لم يكن غلق الأبواب أولوية أبدًا عندما تكون لك خلفية ريفية.

في زيارتها السابقة لـ«سكاي» لاحظت «ليزا» شكل البيت الصغير بحرص، والآن يمكنها أن تتحرك بسهولة خلاله في الظلام. وكما توقعت، فور دخولها طاردتها القطة وصرخت وهي تترنّح عبر الأرضية.

همست «ليزا»:

- أهلًا بكِ.

توقّفت لتمسك بالقطة وتحتضنها ثم قالت:

- عذرًا يا عزيزتي، ولكن لا يمكننا أن نتركك تحومين هكذا بحريّة. لا أريد ترحيبًا من حيوانات هنا.

دفعت القطة إلى غرفة الطعام وأغلقت الباب.

ثم أسرعت ناحية درج السلم وتوقفت عند آخر درجة. كان هناك ضوءٌ من الشارع يأتي عبر النافذة الطويلة يمنحها إضاءة كافية لترى ساعة يدها بوضوح. صرّت على أسنانها . .. حان الوقت!

انتقلت إلى غرفة نوم « سكاي » وجذبت الستائر لتتأكد من أن الطرفين قابلا بعضهما. ثم أضاءت المصباح المجاور لفراشها وهي تأخذ نفسًا عميقًا.

أسرعت من هناك إلى الحمام المرفق بغرفة النوم، وبعدما تأكّدت من أن المكان مظلم بالكامل أضاءته هو الآخر. أصابها ضوء مصابيح الهالوجين المعلّقة بالسقف بإثارةٍ في عينيها. ثم مالت داخل زاوية الاستحمام وشغّلت مذياع « سكاي » المقاوم للمياه، قطعة بلاستيكية مرحة على شكل دولفين. ضج في الغرفة الصغيرة صدى صوت لموسيقى ضعيفة فيما فتحت «ليزا» المياه. وبعد أن وضعت قماشة استحمام سميكة بالقرب من باب الحمام، عادت إلى غرفة النوم وتركت الباب نصف مغلق. وفي خلال خطواتٍ معدودات كانت بالأسفل عند آخر درجة تتحرّك سريعًا إلى غرفة الضيوف. كانت تقابل غرفة « سكاي » تمامًا، وإذا تركتها مواربة الباب سيكون بإمكان «ليزا» النظر إلى السلم وباب « سكاي » المفتوح قليلًا.

حسنًا، هكذا ظنَّت، بما أنها أراحت ظهرها على

الحائط، ستبدأ سهرتها الآن. دعنا نرى ماذا في عقلكِ العجيب هذا . .. هيا بنا!

علمت أنه ستكون هناك خطواتٌ ناعمة تصعد درج السلم. كانت متأكدة من أن تلك الخطوات ستتوقف خارج الباب، وسيمسك أحدهم بمقبض الباب ويدخل خلسة إلى الغرفة. ولكن ما لم تخطط له هو أن ذلك الرعب الذي سيتولّد من سماع الخطوات سيحوّل دماءها إلى مياه. لم تكن قد عوّلت على ذلك الرعب الذي يصيب القلب والبطن.

لم يشجعها ويهدئ من روعها إلا فكرة وجوده هناك. سيكون هذا إثباتًا إيجابيًا على أن « سكاي » في خطرٍ داهم مثلما كانت «ليزا».

حاولت أن تبقى هادئة. تصرّفت وكأنها تشاهد فيلم رعب لا أكثر.

لكن «ليزا» لم تكن مستعدةً أبدًا لمن رأته يصعد سلم «سكاي».

عبر الفجوة الضيّقة رأت «ليزا» خيالًا طويلًا يتحرّك نحو آخر درجة. توقعت أن يكون رجلًا يرتدي بنطال جينز وحذاءً رياضيًا وقميص بزُنط. بدلًا من ذلك، كان الخيال يرتدي قميصًا مألوفًا مفتوح الصدر أخضر اللون وبنطالًا بنفس اللون. كان شعره مُغطى بقبّعة مربوطة من الخلف ووجهه يختبئ خلف قناع عمليات.

وفيما حاول عقلها المرتبك أن يفهم هذا المشهد غير المتوقع، لاحظ أن أيًا كان هذا الخيال كان يمسك بسكين مرعب ذي شفرةٍ طويلة بيده اليمنى المُغطّاة بقفاز.

فيم ورّطت نفسها؟

بعدما أخبرتها « سكاي » بأن « دانيل » لا يزال مختفيًا كانت «ليزا» تخشى أن تكون صديقتها في خطرٍ منه إذا انتابته واحدة من تلك النوبات. ولكنها لم تتخيّل أبدًا ما يحدث لها الآن.

دخل الرجل إلى غرفة النوم، علمت «ليزا» أنها يجب أن تتصرّف بسرعة. جذبت هاتفها المحمول من جيبها. كانت قد أغلقته عندما دخلت شقة «سكاي»، وكان يصدر صوتًا مزعجًا ضعيفًا عندما تضيء شاشته. ولكن لا خيار أمامها. وضعت إصبعها على زر التشغيل ودعت أن

يغطّي الصوت القادم من الحمام عليه صوته.

أعطته «ليزا» الوقت ليدخل غرفة النوم، ثم تسحّبت خارج غرفة الضيوف، وبعد أن أخذت نفسًا عميقًا تسحّبت حتى الباب المفتوح.

إذا تمكّنت فقط من النزول إلى الطابق السفلي ثم إلى الخارج، سيكون بإمكانها حبسه بالداخل، فتحصل على وقت كاف لتتصل بـ(999) وتختبئ أو تصل إلى سيارتها.

لمحت غرفة « سكاي » ورأته يقف وظهره لها خارج كابينة الاستحمام. كان رأسه مائلًا يسمع، رأت أصابعه متشنّجة ممسكة بشدة بمقبض السكين. لم يكن أمامها إلا ثوان قبل أن يدرك أن « سكاي » ليست هناك. دعت بصوتٍ خافت ثم أسرعت نحو الممر وهبطت السلم. وفيما كانت تركض ضربت رقم (999) على هاتفها. كان هذا أفضل ما يمكنها.

وفي منتصف الرواق علمت أنها لن تنجح. ضرب الحذاء ذو النعل الناعم على درج السلم من خلفها. خطواته أسرع بكثير مما تخيّلت. شعرت لوهلة أنها في كابوسٍ من تلك الكوابيس التي تحاول فيها الهرب من شيءٍ ما ولكنك لا تقوى على التحرك. وصلت إلى المطبخ وسمعت صوتًا بعيدًا يسألها أي نوعٍ من الطوارئ تريد.

صرخت:

- الشرطة . .. عند تافرنـ...

سقط الهاتف من يدها وهي تسمع صوت قدمه تضرب على الأرض فور هبوطه.

كان شعورًا غريبًا. لا ألم . .. ليس على الفور. مجرد برد! فكّرت في كلمة « تمزيق » فيما كان السكين يخترق لحمها بين رقبتها وكتفها.

كانت « سكاي » الهدف!

استدارت «ليزا هيرل»ي المشحونة بغضبٍ جم وبقوةٍ خارقة ألقت نفسها على المعتدي.

دوهم المعتدي للوهلة الأولى فرجع للخلف حتى كاد يفقد قبضته على السكين. جذبت «ليزا» أقرب شيءٍ ممكن . .. مقلاة حديدية كانت فوق صفيحة. لوّحت بها بقوتها المتراخية.

علمت من الصرخة المدوّية أنها سدّدت له ضربة قوية، دعت حينها أن لو كانت كافية لتخرجها من المنزل. ولكن ألم إصابتها داهمها. ألمٌ شديد موجع عبر كتفها . .. زحفت تجاه الباب الخلفي.

سحبت الباب لتفتحه ثم أطلقت أنين ألمٍ ويأس. بدت سيارتها بعيدة كبعد المشرق عن المغرب. انتابتها موجة مفاجئة من الدوار لتخبرها بأنها لن تبقى في حالة وعي لمدة طويلة. الطعنة الثانية من السكين الدامية ضربتها في مكانٍ ما في ظهر قفصها الصدري.

آخر ما رأته «ليزا هيرلي» قبل أن يحملها الظلام بعيدًا كان الخيال الأخضر المتراجع يجري في الحديقة ويختفي عبر البوابة إلى الظلام.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

- هجوم بسكين في تافرنير كورت يا زعيم!

كاد «تشارلي» يسقط على قدميه فيما كان يركض بين المكاتب داخل غرفة التحقيقات.

- إنه بيت « سكاي وينيارد».

قفز « جاكمان » من مجلسه عند حافة مكتب «ماري».

- بيت «سكاي»؟ ولكن، أليس معنا هنا؟

- نعم يا سيدي، إنها بالأسفل في البهو تنتظر وصول من يقلها. ولكنها ليست « سكاي » يا سيدي. إنها امرأة أكبر سنًا. اسمها «ليزا هيرلي». تحمل بطاقة هوية مستشفى سالترن.

- ذلك المستشفى اللعين مجددًا!

شتمت « ماري » وهي تأخذ معطفها من خلف مقعدها.

- هل أصيبت بشدة؟

- نقلوها إلى وحدة العناية المركز يا سيدي. الرقيب ماسترز يظنّ أنك ستود الحضور.

- بالفعل.

أخرج « جاكمان » مفاتيح سيارته من جيبه وقال:

- «تشارلي»، تأكد من أن تبقى « سكاي وينيارد» في مكانها. لا تتركها تجوب الشوارع بحثًا عن « دانيل » وأن تخبر أيًا ما كان سيقلها أن يعود أدراجه، اتفقنا؟ أريدها هنا.

نظر إلى « ماري » وقال:

- هيا بنا.

فور وصولهما إلى موقف سيارات المستشفى كان هناك نقّالة مُحاطة بعدد من المسعفين تُجرّ من خلف سيارة إسعاف. أسرعا ناحية الجمع، وحاولت « ماري » أن تسمع ما يقولونه. فهمت من المصطلحات الطبية أن المريض ما زال على قيد الحياة.

- هل ستنجو؟

سأل « جاكمان » ملوّحًا ببطاقة هويّته الشرطية للأطباء.

لم يرفع الطبيب عينه عن «ليزا» وقال:

- نحن نحاول! إنعاش قلبي رئوي! حالًا!

شاهد « جاكمان » و«ماري» عبر الممر. عمل الفريق الطبي بجنون حتى قال أحدهم:

- الحالة مستقرة!

- أحسنتم جميعًا . .. هل الجناح جاهزٌ لاستقبالها؟

- بعد خمس دقائق يا سيدي.

- ممتاز.

خلع الطبيب قفازه ومعطفه المنقوع في الدماء وألقاهما في حاوية صفراء. رفع حاجبيه وسار باتجاه « جاكمان » و«ماري».

- تحتاج إلى جراحة في كلا الجانبين. إصابة الكتف والرقبة هي الأقل ضررًا! نعتقد أنها إصابة بتلف في الأنسجة لا أكثر. ولكن الطعنة الثانية أعمق بكثير وأخافتنا كثيراً.

دفع شعره الأسود إلى الخلف من جبهته:

- اخترق السكين شريحة عضلية عميقة في الظهر واخترقت القفص الصدري وتسبّب في تمزّق أحد الأجزاء الرئوية السفلية من الرئة اليمنى. نأمل في أن يتمكن الجراحون من إزالة الجزء المتضرر بدون التأثير سلبًا على الأجزاء الأخرى.

أخذ نفسًا عميقًا وقال:

- كما أن هناك نزيفًا في التجويف أسفل الرئة.

أشار إلى أسفل قفصه الصدري ليوضح لهما.

- هنا . .. هذا المكان اسمه « الردب الجنبي ». .. إنه المسافة التي تتمدّد فيها الرئة أثناء عملية التنفس.

سأل « جاكمان » قلقًا:

- ولكنها ستنجو؟

- لدينا كل الأسباب التي تدفعنا للإيمان بهذا . .. ما لم يكن هناك أي تلف داخلي لم نره.

- هل يمكننا الحديث معها؟ هل أفاقت بعد؟

- أخشى أن الإجابة لا يا سيادة المفتش، عليك أنت تنتظر حتى تخرج من الجناح.

أطلق « جاكمان » تنهيدة متعبة وقال:

- الكل يعرف الآن أن هذه كانت محاولة قتل . .. نعتقد أنها رأت من اعتدى عليها. من الضروري أن نتحدث معها في أقرب وقت ممكن. هل تفهمني يا دكتور؟

- بالطبع.

- سنعيّن هنا بعض الشرطيين على مدار الساعة. اعذرنا على الإزعاج، ولكن هكذا تسير الأمور.

اكفهرّ وجهه وأضاف:

- في آخر مرة تواجدنا هنا كان هناك شعورٌ غير طيب حيال رجالنا. حتى إن بعض الممرضات كن يعطلوا أعمالهم. أتمنى ألا نتعرض لسلوكٍ كهذا مرة ثانية.

- علمت بهذا. اعذرني، وأعدك بأن تحصلوا على كل المساعدة التي تحتاجها. صدرت الكثير من التحذيرات يا سيادة المفتش. لن يتكرر هذا.

عادا إلى الخلف فيما كانت «ليزا هيرلي» تُسحب والمحاليل مربوطة بجسمها بجانب مختلف أنواع الشاشات فيما كان يتم تجهيزها لنقلها للجناح.

نظرت « ماري » إلى وجهها الأبيض وتساءلت عن سبب تواجدها في بيت « سكاي وينيارد» لتتعرض للطعن بهذه البشاعة.

- ستحتاجون إلى هذه.

أعطاها الطبيب سلسلة رقبة وبادج عليه تصريح.

- إنها واحدة منها يا سيادة الرقيب . .. هذه هويتها. إنها المدير الإداري لقسم العلاج الوظيفي.

ارتعش وأضاف:

- من الصعب أن تعمل على زميلٍ لك . .. ينال منّا جميعًا.

أومأت «ماري». هكذا يكون الأمر عندما يُصاب زميلٌ في الشرطة.

نظرت إلى « جاكمان » وقالت:

- إنها رئيسة « سكاي » إذاً . .. القضية تزداد إثارة!

- «سكاي»!

كانت أكثر من تنهيدة . .. ولكن الكل استدار ناحية المرأة الراقدة على الفراش.

- ارتاحي يا «ليزا». أنتِ في أمان الآن! أنت في الطريق إلى جناح العمليات! ستكونين بخير.

أمسك الطبيب بيدها.

- «سكاي»؟ أين «سكاي»؟

انتقل « ماري » و«جاكمان» إلى جانب فراشها.

- نحن الشرطة يا «ليزا»، و«سكاي» بخير. هي لدينا الآن في أمان في قسم الشرطة.

- أبقوها هناك! كان يحاول أن يقتلها! غير أنه وجدني أنا . ..

بدأ صوتها يخفت.

- من كان يا «ليزا»؟ من أذاكِ؟

- اعتنوا بسكاي . .. اعتنـ...

مالت « ماري » بالقرب منها . .. ماذا كانت الكلمات الثلاث الأخيرة؟ هل سمعتها جيدًا؟

- تحمّلي يا «ليزا»، ولا تقلقي بشأن «سكاي» . .. إنها في أمان.

اندفع الفراش ومن حوله لفيف من الأطباء.

استدار « جاكمان » و«ماري» إيذانًا بالذهاب، سأل «جاكمان»:

- ماذا قالت؟

اكفهرّ وجه «ماري»:

- غير متأكدة. لم أفهم منها. ولكنني سأخبرك ما يدور في بالي عندما نخرج. إذا كنت محقّة فإن هذا الشيء لن تودّ «ليزا» أن ينتشر في المستشفى.

أومأ «جاكمان»:

- حسنًا، انتظري حتى نكون في السيارة. الآن، عليّ أن أجهّز المراقبة على «ليزا هيرلي» على مدار الساعة، ثم سنعود إلى قسم الشرطة. سيتوجب على الطب الشرعي أن يتوجه إلى ذلك البيت في تافرنير كورت ومعهم أدواتهم. إذا كان نفس القاتل، فلا بد أنه لم يتمكن من إتمام مهمته، لذا لا بد أنه ترك أثرًا ما.

فيما كان « جاكمان » يجري مكالماته، استغلت «

ماري » الفرصة لتتصل بـ«تشارلي» وتطمئن على «سكاي».

جاء صوت «تشارلي» مترددًا:

- حاولت الاتصال بسيادة المفتش كثيرًا، ولكن هاتفه كان مشغولًا، وهاتفك كان مغلقًا. « سكاي » ذهبت عندما نزلت إلى الاستقبال. لا بد أن صديق « دانيل » أقلّها.

- أوه، اللعنة! «تشارلي»! «ليزا هيرلي» لم تكن الضحية المقصودة في هذا الهجوم، بل « سكاي وينيارد»!

- اللعنة! حسنًا، لقد طلبت من أحد رجالنا أن يطلق تنبيهًا لمتابعة كل السيارات. علينا أن نخطرها بما حدث في بيتها قبل أن تدخل مسرح جريمة مهم.

- ألا تجيب على هاتفها؟

- لا يا سيدتي، إنه مغلق.

- في هذه الحالة لن يعمل بريدها الصوتي، اللعنة!

فكرت ثانية أو اثنتين:

- اكتب لها رسالة. ستقرأها عندما تشغل هاتفها. أخبر رجالنا أن العثور عليها أصبح أولوية الآن. هناك رجلٌ بالخارج معه سكين حاد يستهدف

«سكاي»، هل فهمت؟

فكّرت لحظة:

- ماذا عن صديقها هذا؟ «مارك دوناند»؟ هل لدينا رقم هاتفه؟

- أعرف أن لدينا رقم عمله يا سيدتي، ولكن لست متأكدًا من هاتفه. سأخبر رجالنا بشأن الفتاة ثم أرى الأمر.

فيما أغلق «تشارلي» الخط نظرت « ماري » إلى « جاكمان » في قلق:

- ليتنا ما وعدنا «ليزا» بأن تكون « سكاي » في أمان!

أغلق « جاكمان » هاتفه واصفرّ وجهه:

- أرجو ألا تخبريني أنها غادرت القسم!

أومأت « ماري » بحزن:

- هل يمكن أن يزداد هذا سوءًا؟

- ليس كثيراً.

أسرعا عبر موقف السيارات وسأل «جاكمان»:

- ماذا قالت «ليزا»؟

قالت « ماري » ببطء:

- أعتقد . .. أعتقد أنها قالت « اعتنوا بطفلتي! »

- ولكن « سكاي » قالت إن أبويها في فرنسا في مكانٍ ما يجدّدان استراحة إجازتهما.

- هذا صحيح، في دوردوني، ولكن في وقتٍ سابق، عندما كنا نتكلم عن سبب هوس « دانيل » الشديد بمعرفة أمه الأصلية قالت لي إنها تُبنيت أيضًا ولكن لم يكن لديها أي غربة في معرفة أمها الأصلية. فحسب كلامها، أيًا كان من تخلّى عنها قد أسدى لها معروفًا. فقد قضت طفولة سعيدة، وتلقت تعليمًا جيدًا، وكان أبواها يحبانها.

فتح « جاكمان » السيارة وفتح الباب وقال:

- ربما الألم والعقاقير جعلا «ليزا» ترتبك. ربما لا يكون لها ابنة ولكن اختلط عليها الأمر.

- وهل تصدق هذا؟

جذبت « ماري » حزام الأمان.

- حسنًا، من الواضح أنكِ لا تصدقين.

نظر إليها ورسم نصف ابتسامة.

- بالطبع لا أصدق، ولكنني أمسك بأي قشة أمل، أليس من حقي؟

شغّل السيارة وقاد ناحية المخرج.

شغّلت « ماري » هاتفها واتصلت بـ«تشارلي»:

- هل من جديد؟

ساد الصمت طويلًا حتى بدأت « ماري » تشعر بالقلق، ثم قال «تشارلي»:

- عذرًا يا سيادة الرقيب، ولكن الأمر أسوأ مما ظننت.

- أممكن؟

- أوه، فعلًا. تحدثت لتوي مع شرطي الاستقبال ومن الواضح أنه فيما كانت « سكاي » تنتظر في البهو تلقّت مكالمة هاتفية وغادرت بعدها فورًا. وبعد مدةٍ قصيرة ظهر الرجل الذي كان من المفترض أن يقلّها. كان متضايقًا. يقول الرقيب إنه كان مهتمًا بـ«سكاي» من الطريقة التي تعامل بها.

صرّت « ماري » على أسنانها وقالت:

- إذًا، لم نتصل بها، و«دونانd» لم يتصل بها، ورئيستها لم تتصل بها بالتأكيد، لا بد أنه «دانيل»، ألم يكن هو؟

- أو ربما البروفيسور. كان يهتم بها كثيرًا منذ اختفاء «دانيل»، أليس كذلك؟

- امم، فعلًا.

فكّرت « ماري » بتمعّن:

- اسمع يا «تشارلي»، نحن في طريق عودتنا إلى

القسم. أكّد على رجالك أننا من الضروري أن نجد «سكاي»، وسنراك في العاشرة.

أغلقت الخط وشرحت لـ«جاكمان» ما حصل.

- هل أتصل بـ«جاي بريستون»؟

أومأ «جاكمان»:

- لا أظن أنه هو ولو للحظة، ولكن الأمر يستحق الاتصال.

ردّ «جاي» بعد رنتين:

- عذرًا يا «ماري»، ولكن لا، لم يكن أنا من اتصل بها.

غضب وقال:

- أوه، يا إلهي! هل نعتقد أنها ذهبت لتقابل «دانيل»؟

- يبدو كذلك، ولكن اسمع يا «جاي» . .. إذا سمعت منهم، ومن المحتمل أن يأتوا إليك، اتصل بي على الفور، هلّا فعلت؟

ضحك نادمًا:

- أوه، لن أُخدع هكذا مرة ثانية يا «ماري». إذا ظهرا سأحبسهما إذا اضطرني الأمر، وإذا لم يتصل بي أحدهما سأكون في خدمتك فورًا.

شكرته « ماري » وأنهت المكالمة ثم حدّقت في

الهاتف.

- لم يتصل بها «جاي» أبدًا. لا بد أنها مع «دانيل».

اكفهرّ وجه « جاكمان » ولم يرفع ناظريه عن الطريق.

- إنها تثق به، حتى بعد كل ما حصل. إنها تؤمن به وتثق في أنه ليس القاتل.

- وماذا عنكِ يا «ماري»؟ ماذا ترين؟

أغلقت عينيها لثانية ثم قالت:

- لم أعتقد أنه قاتل أبدًا، ولكن الأمور تتصعّد على نحوٍ خارج على السيطرة. والآن بما أننا نعرف ما حصل له في طفولته، حسنًا . ..

ارتعدت قليلًا وأردفت:

- لا يمكن أن تثق في شخص مضطرب مثل «دانيل».

سمعت مرة أخرى كلمات المحقق العجوز المتقاعد، «بيتر هودر»، وهو يقول: « كوني قريبة منه! » .

ارتعدت مجددًا وقالت:

- علينا أن نجده حقًا.

أوقف « جاكمان » السيارة في موقف سيارات القسم.

- على الأقل، إذا كان « دانيل » و«سكاي» معًا فإن «روبي» ستخبره بما أخبرتنا به «روبي كيندر» عن أمه الحقيقية. إذا كان هناك من يمكنه إقناع « دانيل » بأنه كان يعيش في كذبة كبيرة فإنها «سكاي». هناك شيءٌ ما حيال تلك الفتاة، كما أنها تحبه فعلًا. إنها الشخص المناسب الذي يجب أن ينقل له الخبر.

لم تقتنع «ماري»:

- طالما أنه يصدّق ما تقوله له فإنه أشبه بطفلٍ صغير أخبروه للتو أن بابا نويل لن يأتي هذا العام. ربما يظن أن الأمر خدعة وأن كل ما تقوله أكاذيب. ليس لدينا أدنى فكرة عن رد فعله على تلك الأخبار المهمة.

- حقيقي.

نزع « جاكمان » المفاتيح من المحرك وقال:

- ولكن الآن من الأفضل أن نركّز على العثور عليهما. وربما ينبغي أن نستدعي «مارك دونناند» صديق «دانيل». لقد خرج مع « سكاي » ليذهبا إلى بعض الأماكن المفضلة له و«لدانيل». ربما يعرف أماكن لا نعرفها.

فتحت « ماري » باب السيارة وقالت:

- فكرة حسنة، سأجعل «ماكس» يحضر «مارك دونناند» ما لم يكن قد ذهب إلى بيته.

أسرعت خلف رئيسها فيما تحرّك سريعًا نحو باب القسم الخلفي.

- هل قابلت «دوناند» هذا؟

فتح لها الباب وقال:

- لا، ولكن أعتقد أن «تشارلي» شاهده عندما ذهبوا ليفتشوا مكتب «دانيل»، لماذا؟

- أحب أن يكون لكل وجهٍ اسم، وأحب أن يكون لي انطباع عن كل الناس. لا يمكنكِ فعل ذلك عندما لا تنظرين إلى أعينهم.

- حسنًا، لدينا أكثر من سبب لاستدعائه.

دخل « جاكمان » و«ماري» إلى غرفة التحقيقات فتوجّه «تشارلي» إليهما.

- وجدت رقم هاتف محمول يا سيادة الرقيب. ولكن «دوناند» قال إنه ذهب ليبحث عن « سكاي » بنفسه.

انفعل «جاكمان»:

- أرجو أن تكون قد قلت له ألا يتصرّف من تلقاء نفسه.

- فعلت يا زعيم، قلت له إن آخر شيءٍ نريده أن يكون هناك من هو خارج عن السيطرة يجوب الشوارع، وأننا نحتاجه ليعمل معنا، ولكنه قال

لي بشكل أو بآخر أن أغرب عن وجهه.

بدا الضيق على «تشارلي» وقال:

- كان عدوانيًا بعض الشيء، وأخبرني أن فرصة عثوره عليها أكبر بكثير من فرصتنا نحن، ثم أغلق الخط.

تضايقت « ماري » وقالت:

- هل قال بالحرف إنه سيبحث عن «سكاي»؟ لا «دانيل»؟ أم كليهما؟ « سكاي » فقط؟

حدّق «تشارلي»:

- « سكاي » فقط . .. لم يذكر اسم « دانيل » مطلقًا.

تعجّب «ماكس»:

- ولكنه صديق «دانيل». إذا كان قلقًا كثيرًا على صديقه أليس من الطبيعي أن يكون حريصًا على إيجاده هو وليس «سكاي»؟

اكفهرّ وجه « جاكمان » وتمتم:

- هذا مدعاة للقلق! أظن من الواجب أن نعرف كل شيء عن «مارك دوناند».

نظر إلى «تشارلي» و«ماكس»:

- اذهبا لتتنظرا إذا ما كان له أي علاقة بمستشفى سالترن.

- سيدي!

فكّرت « ماري » ثم أضافت:

- «مارك» يستورد أوراق شجر من الخارج، وخصوصًا من كولومبيا.

ساد الصمت وانتظرت « ماري » حتى يخمّن أحدهم مقصدها.

اتسعت عينا «ماكس» وقال:

- آه، أتفكرين في صادرات كولومبيا الأخرى؟ المخدرات؟

- ربما يكون الأمر لا شيء، ولكن من الأحرى أن نبحث إذا ما كان لديه مشكلة في الماضي.

قال «جاكمان»:

- ولكن المخدرات التي كانت ضحايانا يتناولنها كانت عقاقير دوائية، لا هروين ولا كوكايين. ولكن المخدرات تبقى مخدرات، كما أن التجّار لا يكتفون بمنتجٍ واحد. هناك الكثير من التجّار بالخارج، وطالما كان معك مال سيحضرون لك كل ما تريده.

ضرب « جاكمان » بقبضة يده على راحة يده الأخرى:

- كلما فكّرت في الأمر رغبت في استدعائه أكثر.

ابحثا في الأمر قدر الإمكان يا شباب.

التفت إلى « ماري » وقال:

- اتصلي بمشغّل نظام الدعم واجعليها تبحث عن اسم «دوناند» وسأجعل شرطيًا يعرف مكانه ويحضره إلى هنا.

تحرّكت « ماري » سريعًا إلى مكتبها والتقطت الهاتف فيما أسرع المحققان الآخران إلى حواسيبهما وبدءا يبحثان.

وفيما وضعت « ماري » السمّاعة لاحت لها فكرة. كان «جاي بريستون » قد قابل «مارك دوناند» عندما ذهب إلى «سكاي». إنه طبيبٌ نفسي، لا بد أنه كوّن انطباعًا عنه.

التقطت « ماري » الهاتف مجددًا، ثم تردّدت. هل ينبغي أن تعرض الأمر على « جاكمان » أولًا؟ تضايقت. لا سبب يدفعها لذلك. كان « جاكمان » ليطلب منها أن تتصرف. لم يكن وصيًا عليها. ولكنها لم تكن ترغب في أن تتصل بـ«جاي» لكي لا تصله فكرة خاطئة. كانت قد اتصلت به مرات عديدة تلك الليلة، وكانت حريصة على ألا تشجعه على أي شيء.

أراحت يدها على الهاتف، اللعنة! القضية أولًا! رفعت السماعة وأدخلت رقم بيت «جاي».

- عذرًا، أعرف أن الوقت متأخر يا «جاي»، ولكن

نريد رأيك في شيءٍ ما.

تحدثت على نحوٍ رسمي وأكدت على « نحن » .

- أي شيء من أجلك . .. كيف يمكنني المساعدة؟

- «مارك دونانـد»؟ أنت قابلته . .. نريد انطباعك الأول.

- حسنًا، لم أره إلا وجيزًا. لو كنت أعلم أنكِ ستتسألين عنه لكنت لاحظت أكثر.

فقد صوت «جاي» كياسته.

- وظيفتك أن تقيّم الناس يا «جاي» . .. أظن أنك بعد كل تلك السنين التي قضيتها في تحليل العقول تستطيع أن تفعل ذلك تلقائيًا.

ضحك ضحكة قصيرة وقال:

- من المفترض . .. دعيني أرى.

تردّد وقال:

- لم أكترث له كثيرًا، ولكنه مجرد شعور شخصي لا رأي مهني. غير أنه بدا « مرتبطًا » بـ«سكاي»، شعورٌ لم تبادله إياه. في الحقيقة شعرت أنها تريده أن يذهب.

توقف مجددًا ثم أضاف:

- بدا مخمورًا ومتوترًا وعصبيًا للغاية. لديه تلك العادة الغريبة بجذب أصابعه لطقطقتها. كان

أمرًا يثير التوتر لأبعد حد. كان ينظر لـ«سكاي» أكثر من اللازم، نظرة لا ينظرها صديق حبيبها، إذًا فهمتي قصدي.

- أفهمك . .. هذا الأمر لا يريحني!

- لماذا تسألين عن «دوناند»؟

فكّرت « ماري » ماذا تقول لـ«جاي»، ولكن لم تجد مانعًا من إخباره بكل شيء.

- حاول أحدهم قتل « سكاي » الليلة، إلا أنه نال من امرأةٍ أخرى. كما أن «مارك دوناند» بالخارج في مكانٍ ما في المدينة يبحث عن «سكاي».

- يا إلهي! هذا فظيع! وهل ماتت تلك المرأة الأخرى؟

- لا، الحمد لله . .. ولكنها في جناح العمليات الآن، ورغم أن الأطباء يأملون في نتائج إيجابية، إلا أنها ربما تكون مصابة بنزيفٍ داخلي.

- إذًا فلنأمل بأن تكون قد رأت المعتدي وتعطي وصفًا له عندما تفوق من المخدر. هل تظنين أنه ربما يكون «مارك دوناند»؟

- لسنا متأكدين من أي شيء. ولكن ينبغي أن نجده ونتحدث معه.

- كنت سأعرض عليكِ أن أستأجر تاكسي وآت

إليكِ لأساعد، ولكنني شربت كأسي براندي كبيرين. لا أظن أنني سأساعد بشيء. صراحةً يا «ماري»، ذلك الموقف مع « دانيل كيندر » نال مني. لم أكن لأخبر أحدًا آخر بهذا، ولكن عندما رأيته قد أتى إليّ لم أرَ إلا وجه تيرينس ماركوس أوستن. تسمرت في مكاني، وظننت أنني سأتغلب على الأمر.

تخيّلته « ماري » وهو يتحسس تلك الندبة على جانب وجهه.

- لست متفاجئة يا «جاي»، إذا كنت في موقفٍ يهدد حياتك وحدث بعدها موقف آخر، فإن ذلك يجعل الرعب يدب في قلبك.

- حمدًا لله أن أحدهم يفهمني.

تردّد «جاي» لوهلةٍ طويلة شيئًا ما، حتى شعرت بأنه على وشك أن يقول لها شيئًا آخر. داهمتها موجة إشفاق عليه. علمت أنها يجب أن تبقى بعيدةً عنه، ولكنها لا تزال تشعر به. حاول الرجل طوال حياته أن يساعد المضطربين. لا بد أنه في بعض الأحيان يحتاج إلى أحدهم من حينٍ لآخر ليستمع إليه. سألت برفق:

- ما بك يا «جاي»؟

- أوه، لا شيء متعلق بالماضي. كنت أفكر في حواري مع «دانيل». سألتيني من قبل ما إذا كنت قد قلت شيئًا تسبب في هروبه هكذا فجأةً. قلت

لكِ لا، ولكنني غير متأكد الآن.

- تكلّم.

- الحكاية أن . .. أنني اكتشفت أن لديه هوسًا مرضيًا بالدماء.

رفعت « ماري » صوتها:

- «دانيل»؟ يا إلهي! بالتأكيد لا تقصد ذلك الهوس المرضي الفظيع الذي كان لدى فرانسواز ثاييه!

- لا، ليس بالضبط، ولكنه ذكر أنه حلم بدماءٍ على يديه، وأحيانًا كان يغرق فيه.

بدا عدم الارتياح على «جاي»، ولكن أردف:

- أتمنى ألا أكون قد أكّدت بدون قصد على اعتقاده بأنه ابن قاتلة.

تحسّست « ماري » بشرتها الباردة:

- هل من المحتمل أنك فعلت؟

- لم أقل هذا، ولكنني قمت ببعض المقارنات داخل عقلي.

- ولكنه لا يقرأ عقلك يا «جاي»! هل قلت أي شيء يجعله يتأكد من تلك القصة الغبية؟

كان صمته إجابة في حد ذاته، ولكن قال:

- لا أعرف، كما قلت لكِ، ليس بالضبط، ولكن

لغة جسدي، أو ربما الشيء الذي لم أقله هو ما دفعه إلى واحدة من استنتاجاته الغريبة. لذا أعتقد أن الإجابة عن سؤالك هي نعم . .. ربما فعلت.

وضعت « ماري » السماعة وأسرعت إلى مكتب « جاكمان » لتخبره بكل ما قاله «جاي».

- ما يقلقني في هذا أن « دانيل » إذا لم يكن مع « سكاي » فإنه لم يعلم بما قالته لنا أمه.

قضم « جاكمان » على إبهامه وقال:

- وهذا يعني أنه لا يزال يعتقد أنه ابن قاتلة، وقد يكون تحت انطباع بأن المعالج النفسي يتفق معه.

زمجر عاليًا:

- اتصلي ببريستون . .. نريد أن نعرف بالضبط ماذا فعل أو ماذا لم يقل.

زمجر مجددًا:

- اللعنة! نسيت أن ليس لديه سيّارة، أليس كذلك؟

- وقد احتسى بضع كؤوسٍ يا زعيم. عندما هاجمه «دانيل»، رغم بساطة المسألة، تسبب هذا في استفزاز ذكريات سيئة لإصابته القديمة.

- طالما أنه ليس مخمورًا بالكامل، أحضري

أحدهم ليقلّه. أريد أن أعرف رأيه في حالة « دانيل » العقلية عندما سرق سيارته.

نظر إلى « ماري » بجد:

- أخشى أن هناك احتمالية كبيرة أن « دانيل » هو من هاجم «ليزا هيرلي». أُخبرت للتو أن هناك مفتاحًا كان متروكًا في الباب الخلفي، و«دانيل» لديه مفتاح بيت «سكاي».

- أوه، اللعنة!

- بالضبط. فكري في الأمر، سيكون من الأسرع أن نذهب إلى «جاي بريستون». اتصلي به وأخبريه أن يتوقع قدومنا. لا شيء لنفعله حتى يعثر شرطيونا على ثلاثتنا الغائبين. كما أنني لا أعقد آمالًا كبيرة على هذا. وصلني للتو من المفتش جيلبرت أنهم فتشوا بيت « دانيل » مرة وثانية وكل المباني والبيوت المحيطة، بالإضافة إلى أنهم في ظل غياب «مارك دوناند» تواصلوا مع رئيسته، امرأة تُدعى «كارلا»، وفتحوا مكتب « دانيل » في شركة « إيميرالد إكزوتكس » . لم يعد هناك أماكن كثيرة لنبحث فيها.

أومأت « ماري » وفتحت هاتفها.

- حسنًا، دعنا نذهب إلى المعالج النفسي، سأحضر معطفي.

وفيما كانت في طريقها إلى غرفة التحقيقات

أسـرع «مـاكس» ناحيتـها وطـرق علـى بـاب «جاكمان»:

- «ليزا هيرلي» خرجت من العمليات. العاملون بالمستشفى يريدون أن يكون الزعيم هناك عندما يجهّزها الأطباء.

- ممتاز جدًا.

استدارت وعادت إلى المكتب.

- سأذهب إلى المستشفى يا «ماري»، اذهبي أنتِ لتري «جاي». سأقابلك هنا بعد ساعة.

بدا وجه « جاكمان » مضطربًا، وعندما خرج «ماكس»، قال «جاكمان»:

- هل ترتاحين لهذا؟ لا أريد أن أضعكِ في موقفٍ صعب مع صديقك القديم.

- أعرف كيف أتعامل مع الأمر يا زعيم. المهم الآن هو التحقيق.

- حسنًا، بعد ساعة.

* * *

الـفصل الـخامـس والـعشـرون

وصلت «مارى» في موقف السيارات خارج مسكن المعالج النفسي في أقل من خمس دقائق. لم تفكر في كلمة أخرى في تلك اللحظة بخلاف « أنيق

» . كانت من الواضح أن الحدائق تلقى عناية فائقة على يد بستانيين محترفين وليس السكّان أنفسهم، كما كانت متيقنة من عدم وجود رسمٍ جداري بالس أو أسوار صدئة في منطقة هانسون بارك.

بدا صوت « بريستون » سميكًا وبطيئًا بعض الشيء عندما أجاب على رنتها:

- الطابق السفلي. الشقة المؤدية إلى خلف المبنى.

تساءلت « ماري » ما إذا كان نائمًا أو شرب زجاجة براندي أخرى.

كان من الواضح أن الساكن الحالي لم يكن ينتوي البقاء في الشقة الفاخرة. من خلال باب غرفة النوم المفتوح شاهدت « ماري » حقائب السفر والحقائب الرياضية والصناديق فوق بعضها.

- من هنا. الغرفة الأساسية مهندمة نسبيًا.

فتح «جاي» باب غرفة طعام كبيرة جيدة التهوية.

كانت الغرفة مهندمة، غير أن « ماري » ظنّت أن وصف « خالية » أفضل. بدا المطبخ وكأن أحدهم لم يدخله. من الواضح أن «جاي» لم يكن من هواه الوجبات المنزلية.

نظر إليها معتذرًا.

- يبدو البيت بسيطًا، أعرف هذا، ولكن لم أرد تفريغ كل حقائبي إذ كنت سأرحل في غضون أسابيع قليلة.

رفع حاجبه:

- ظننت أن المفتش « جاكمان » سيأتي معكِ.

- امرأتنا المصابة خرجت من العمليات، فأراد أن يكون معها عندما تفيق.

أومأ «جاي»:

- طبعًا، طبعًا.

توجه ناحية المطبخ والكأس في يده:

- هل تريدين مشروبًا؟

- لا، شكرًا. دراجتي ثمنها أكثر من تسعة آلاف جنيه . .. أريد أن أحتفظ برخصتي لأتمكن من قيادتها دائمًا.

- معكِ حق . .. قهوة؟

- ممتاز. كان يومًا مزدحمًا، أكاد لا أذكر آخر مرة تناولت فيها مشروبًا. يا للأسى!

- قهوة داكنة إذًا؟

- صحيح تمامًا.

تضايقك « ماري » من أنه لم ينس مشروبها

المفضل بعد كل هذا الوقت.

- صحيح، لقد غيّرت جرعة سكرياتي . .. اجعلها معلقتين من فضلك.

فيما كان «جاي» يجّهز المشروب نظرت « ماري » حولها لتتأمل المكان الذي يسكن فيه مؤقتًا وكم يكلّفه. إلا أنها تعترف أنه مكان لطيف حقًا. الردهة غير مجهّزة إلا بمقعدين جلد وأريكة مشابهة مما أعطى المكان مساحةً فسيحة. تؤدي الردهة إلى حديقة واسعة منظمة جدًا. كان مكانًا هادئًا جدًا لدرجة أنك لا تصدق أنك وسط العديد من الشقق الأخرى.

على امتداد جدارٍ واحد كان هناك عددٌ من الصناديق البلاستيكية المتكدّسة من الكتب. ألقت « ماري » نظرة على العناوين وفهمت أنها كلها كتب أكاديمية أو مرجعية متعلقة في الأساس بعلم النفس التشريعي أو الجرائم.

- كنت لأقلق إذا لم أكن أعرفك.

أمسكت « ماري » بمجلدٍ سميك بعنوان « داخل عقل السفّاح » ثم قالت:

- ألا يوجد لديك كتاب رومانسي واحد؟

- لم أفرغ من إخراجها كلها.

ابتسم «جاي» وهو يناولها كوب قهوة.

- ولكن من مكالمتك الأخيرة أستشف أنكِ لستِ هنا لتأسيس نادٍ للكتب، تعالي واجلسي.

أشار إلى مقعدٍ بذراعين وأخذ الآخر.

- نريد أن نعرف بالضبط الحالة التي كان « دانيل كيندر » عليها قبل أن يسرق سيارتك ويتركك أرضًا في الطين.

لم تعد « ماري » تحاول أن تتكلم بلطف في هذا الموضوع.

- كل ما في الأمر يا «جاي» أننا لا نعرف مكان « سكاي وينيارد» . .. نحن قلقون بشدة حيال سلامتها.

- من «دانيل»؟ أم من ذلك الشاب «دوناند»؟

- من يدري! « سكاي » مقتنعة أن « دانيل » لن يؤذيها، ولكننا لسنا متأكدين بعد.

وضع «جاي» كوبه على الأرض ومال إلى الخلف.

- هذه مشكلتي، أليس كذلك؟ يا ليتي سمعت كلامك عندما كان « دانيل » هنا في بيتي، لم يكن ليحدث أي من هذا؟

- انسى الأمر. أنا و«جاكمان» متفقان على أننا كنا سنتصرف بنفس الشكل لو كنّا مكانك.

لم يكن الواقع هكذا، ولكن على الموضوع أن يمر.

- حسنًا، كيف بدى لك؟ وماذا قلت له حقيقةً؟

تكلما لمدة ثلث ساعة، وفي الأخير رأت « ماري » أن «جاي» يبالغ في تفسير تصرف «دانيل». فالأخير مضطرب وكان من الممكن أن يركل أي شخص آخر.

- حسنًا، بناءً على ما قلته لي، حقيقة لا أعتقد أنك قلت شيئًا قد يغذي أوهامه.

شعرت « ماري » ببعض التعاطف مع «جاي».

- كما أنه أخافك، أليس كذلك؟ أظن لهذا السبب تشعر بهذا التوتر.

نظر «جاي» إلى يده المرتعشة وأومأ.

- تجمّدت عندما بدأ يدفعني. كنت أثق فيه، لم أكن أتخيل أنه سيؤذيني، ولكن يا «ماري»، ما رأيته أرعبني حقًا.

رنّ هاتفه قبل أن ترد. نظر في الشاشة وقال:

- إنه أحد مديري وحدة فرامبتون الجديدة. الله أعلم بما يريد في هذه الساعة، ولكن يُستحسن أن أرد.

- تفضل.

توجه «جاي» إلى الحديقة وسمعته « ماري » يتحدث عن مشكلةٍ ماليةٍ ما. نظرت في ساعتها.

سترحل فور انتهائه من مكالمته. ابتسمت لنفسها. لم ترد أن تأتِ إلى هنا وحدها، ولكن ظنت أنها ستتعامل بشكل جيد. ربما كانت سيئة الظن بـ«جاي بريستون». قبل أي شيء، كلاهما عانا من تجربةٍ صادمة. ربما تعاملا مع الأمور على نحوٍ مختلف، وربما لم تُصب بشدة مثل «جاي». رأت الجرح الدامي في وجهه المصدوم ويده المطعونة بسلاح ماركوس أوستن اليدوي الصنع مجددًا. ابتسمت لهيئة «جاي بريستون » الطويلة الواقفة بالخارج تحدّق في الحديقة الداكنة. قرّرت ألا تكون قاسية القلب وأن تحنو على الرجل قليلًا.

* * *

سكب « كيفن ستونر» كأسًا كبيرًا من الفودكا في كوبٍ صغير. شعر بإنهاك. كان حملًا ثقيلًا مظلمًا قد انزاح من على كاهله وكأنه صخرة صمّاء. وأخيرًا وجد الشجاعة الكافية ليفتح قلبه لأبيه، وأخيرًا تحوّل الأسقف إلى . .. أبيه!

تحدثا معًا لأكثر من ساعة.

كان المفتش محقًا. كان والده يعرف أنه مثلي الجنس، ولكنه احترم خصوصية ابنه. لو كان « كيفن » يريده أن يعلم بشأن ميوله الجنسية لكان أخبره.

أخبر « كيفن » والده كل ما يجرؤ على قوله. قدّم والده دعمه غير المشروط. لم يذكر الصور.

وعندما خرج من البيت فرحًا لعن نفسه على أنه لم يأتِ لوالده منذ وقتٍ طويل.

أخذ « كيفن » الكأس عبر الردهة وجلس على الأريكة. أخذ ريموت نظامه الصوتي ورشف رشفة فودكا. ملأت الموسيقى الغرفة وداعبته الراحة. رفع كأسه وقال:

- في صحتك يا «زين»! استمتع بحياتك داخل السجن!

أطلق تنهيدة طويلة راضية. مشكلته الوحيدة الآن أن سيوقف عن العمل مؤقتًا حتى يتم النظر في أكبر قضيةٍ شهدتها شرطة سالتزن.

وقف وتمشّى إلى المطبخ وسكب لنفسه كأسًا آخر. سيتحدث مع رئيس في اليوم التالي. سيعود إلى بيته بعد بضع ساعات، ولكن مع رحيل «زين»، أراد أن يكون في وسط قضيةٍ ما. قضية « دانيل كيندر » كبيرة حقًا. أراد أن يكون جزءًا منها.

جلس « كيفن » مجددًا وارتشف من كأسه، ثم داهمته فكرة فجأة. تذكر جزءًا من محادثة باكرة. قبل أن يغادر القسم كان قد سمع أحد زملائه يحكي لرفيقه عن درو ويلسون ومحاولة السطو. من الواضح أن ويلسون قال إنهم أرسلوا أحدهم أولًا ليتأكد من أن كل شيء على ما يُرام، ثم أعطاهم الإشارة عبر رنة هاتف، ثم جاءت

بقية العصابة في الشاحنة.

غمز «كيفن» . .. ولكن هذا ليس صحيحًا، أليس كذلك؟ فيما كان يختبئ في سقيفة الحافلات ينتظر الإبلاغ عنهم كان قد شاهد رجلين يدخلان بيت «كيندر». أغلق عينيه وأمعن التفكير. تساءل حينها عن هذا، ولكن الشاحنة كانت قد وصلت وبدأت عملية السطو، ونسى كل شيء. ولكن لم يكن هذا كل شيء! سمع أيضًا أن أحد رجال الشرطة الذين دخلوا البيت بيت درو ويلسون يعتقد أن « دانيل كيندر » هو من أجرى المكالمة مجهولة المصدر. لكن لماذا؟ لأنه كان متأكدًا من أنه رأى «كيندر» يتسلل خارجًا من الحديقة حينما وصلوا.

حاول « كيفن » ترتيب أفكاره بكأسٍ آخر من الفودكا.

هل رأى « دانيل كيندر » تلك الليلة؟ ممكن. فالشكل الذي رآه كان بنفس الطول ونفس الهيئة. إذا كان هو فإن «كيندر» لم يكن نائمًا في بيت «سكاي». كان في الشارع، ولذا فإن حجة غيابه وقت مقتل سو بانستر ليست صحيحة.

- اللعنة!

تمتم بصوتٍ خافت. كيف سيخبر إدارة التحقيقات بهذا الدليل الدامغ بدون أن يورّط نفسه؟

وقف « كيفن » وبدأ يجوب المكان. وفي تلك الأثناء داهمته فكرة أخرى. إذا كان قد رأى « دانيل كيندر»، فأين كان عندما وصلت العصابة؟ وكيف تمكن من تجنبهم وهرب بدون أن يروه؟ عندما رآه « كيفن » يدخل كان متجهًا ناحية الحديقة الخلفية. كشّر . .. ربما كان في منطقة السبا المغطّاة حيث الحمّام الساحن. كان هيكل على شكل شاليه خشبي به حانة وطاولة ومجلس مريح. لم يكن ذلك المكان ضمن قائمة «زين برويت» لغرف الأشياء الثمينة، ولذا لم تهتم بها عصابة درو ويلسون.

تسارع عقل « كيفن » الشرطي. لماذا كان «كيندر» هناك؟ ليخبئ سلاح قتلٍ ما؟ ليخبئ ملابس دامية؟

جلس « كيفن » ببطء وأخذ نفسًا عميقًا مهتزًا. أراد أن يشارك أحد المحققين تلك المعلومات، ولكن كيف سيقوم بذلك بدون أن يخسر وظيفته التي كان يحارب من أجلها؟

فكّر في الشيء الوحيد الممكن . .. أن يذهب بنفسه ليتفحّص الشاليه. بهذا الشكل سيقرر ما إذا كان الأمر يستحق أن يخاطر بوظيفته أم لا.

وقف «كيفن». كان وقت ارتداء ملابسه الداكنة. لم يكن سعيدًا، ولكن الأمر قد ينتهي بالقبض على قاتل، لذا لا خيار أمامه.

* * *

فيما كانت « ماري » تنتظر أن ينهي «جاي» مكالمته أخذت تتفحص الشقة. بعيدًا عمّا رأته فعلًا، بدا أن الشقة مكونة من غرفتي نوم خارج الممر الواسع، وربما يكون ملحقًا بكل غرفة نوم حمام داخلي ودورة مياه ومكتب صغير. ظل الباب مفتوحًا وبداخل الغرفة مكتب عليه حاسوب وطابعة وصناديق تعبئة أخرى.

تمنّت « ماري » لو أن «جاي» يسرع في مكالمته. كاد صبرها ينفد. أخذت الأكواب الفارغة إلى المطبخ. لم يكن لديها وقت لهذا. بحثت عن غسالة الأطباق وأدخلت الكوبين بها. ابتسمت عندما رأتها مليئة بالأكواب . .. لا بد أن «جاي» لم يكن يجيد الطبخ أبدًا.

نظرت في ساعتها وقررت أنها لن تنتظر حتى ينهي «جاي» مكالمته. ستجذب خوذتها وتلوح له لتخبره بأنها ستتصل به عندما يعرفون شيئًا. فور خروجها من المطبخ رأت «جاي» يضع هاتفه في مكانه. بدا القلق على وجهه، تساءلت ما إذا كان الأمر متعلق بمشروعه الجديد.

- عذرًا على التأخير، ولكن المدير المالي لفرامبتون يتصل في أي وقت. فهمت من خطواتك أنك تريدين الرحيل.

- بالفعل.

أخذت خوذتها ووضعتها تحت ذراعها.

- وأنا متأكد من أنك لا يوجد لديك ما يقلقك بشأن «دانيل».

أومأ «جاي» والتفت إليها.

- أقدر لكِ قدومك، لا أظن أن أحدًا آخر قد يفهم سبب خوفي من دفع « دانيل » لي.

توقف برهة ثم أردف:

- ولكنني سأتحدث معكِ دائمًا.

استدارت « ماري » لترحل وقالت:

- لا تقلق، سأذهب وسأتصل بك إذا وجدنا « دانيل » أو «سكاي». لا بد أن تتصل بي إذا سمعت منهما، اتفقنا؟

- سأفعل، أعدك.

سار ناحية الباب وقال:

- سأوصلك، يجب أن أخرجك بنفسي عبر باب الأمان الأمامي.

لمس ذراعها برفق واستمرت اللمسة أطول من اللازم قليلًا.

- شكرًا على تفهّمك!

نظر إليها بحزن غريب، ثم تحرّك ناحية لوحة

مفاتيح جهاز الأمان. وفيما كان يضرب الأرقام مالت « ماري » ناحية خدّه وطبعت قبلة خفيفة.

- عليك أن تنسى الماضي يا «جاي»، أنت معالجٌ نفسي بارع . .. ألا يقولون إن الأطباء يعالجون أنفسهم؟ عندما ينتهي هذا الأمر خذ مكانك الجديد في فرامبتون وابن حياة جديدة. انسى حكاية تيرينس ماركوس أوستن.

صمتت برهة وأضاف بصوتٍ خافت:

- وانسى حكايتي.

* * *

الفصل السادس والعشرون

وقف « جاكمان » في الممر المؤدي إلى جناح الإفاقة، مرتبكًا. أخذ الأمر وقتًا طويلًا أكثر مما توقع لنقل «ليزا هيرلي». خرج له الطبيب مرتان ليعتذر عن التأخير. كانت «ليزا» تحت تأثير المخدّر الذي كان صعبًا عليها لدرجة أنها حصلت على عناية أكثر مما كان مُتوقع.

ومع اقتراب منتصف الليل أخيرًا اقتربت منه ممرضة نحيلة الوجه.

- يمكنك الدخول الآن يا سيادة المفتش. بضع دقائق لا أكثر. تحتاج إلى راحة، ثم ستكون قادرة على الكلام معك.

تنهّد « جاكمان » وأسرع إلى الأمام. لم يكن يرغب في الكثير منها. بإمكان شخص آخر أن يجلس معها ويحصل على تفاصيل أفضل. ولكن لديه ثلاثة أسئلة مهمة . .. جلس بجوار فراشها بالقرب منها.

- هل تعرفين من فعل بكِ هذا يا «ليزا»؟

بلعت المرأة ريقها بصعوبة وقالت:

- لا، كان يرتدي أشياءً.

أشارت إلى أحد مساعدي جناح العمليات يقف بعيدًا بعض الشيء ويتحدث بحميمية مع إحدى الممرضات.

- قبعات ذات رباط خلفي وملابس خضراء وقناع وجه.

تضاءل وجه « جاكمان » في تكشيرةٍ مرتبكة. هل كانت المستشفى في قلب كل هذا؟

- هل لاحظتِ أي شيءٍ آخر حياله؟ طوله وبنيانه؟ لون عينينه؟ رائحة بعينها؟

- كنت أهرب لأنجو بحياتي يا سيادة المفتش. لم أتوقف لأسجل ملاحظاتي مثلًا.

حاولت أن تبتسم، ثم تنهدت وقالت:

- كنت متأكدة من أنه سيكون «دانيل». قالت « سكاي » إنه سيدخل في واحدة من نوباته وأنه

قلق من أنه ربما يكون عنيفًا. ثم رأيته في حالة سبات بنفسي، كنت مقتنعة من أنها في خطر . .. خفت عليها كثيرًا.

- لذا حاولتِ أن توقعيه في فخ؟

- اتصلت بي وأخبرتني أنك ستذهب لتقلها لتحضر مكالمة فيديو مع «روبي كيندر». لذا علمت أنها ستكون خارج البيت، ولكن « دانيل » لم يعلم. حاولت أن يبدو الأمر وكأن « سكاي » في البيت، وخصوصًا في الحمام. ثم انتظرت.

- هل « سكاي » ابنتك الطبيعية؟

اتسعت عينا «ليزا»:

- كيف عرفت؟

دارت عيناها في أنحاء الغرفة.

- لا مشكلة، لا أحد آخر يعلم. أنتِ أخبرتينا بنفسك قبل أن تدخلي جناح العمليات. كانوا قد أعطوكي بعض المورفين لتسكين الألم، لذا أعتقد أن هذا هو السبب.

- أوه، لا! لا أصدق! أرجوك لا تخبرها. أرجوك يا سيادة المفتش! لا تخبر «سكاي». يجب ألا تعلم . .. سيدمر هذا كل شيء.

نظر « جاكمان » حوله هو الآخر آملًا في ألا تكون فورتها هذه قد جذبت انتباه الآخرين.

- هذه ليست مشكلتنا يا «ليزا»، لن أخبر أحدًا. لا يمكنني على أي حال، فهي مفقودة.

قالها بحزن.

رمقت الممرضة المفتش لتحذّره ورفعت ثلاثة أصابع . .. ثلاث دقائق.

- «ليزا»، هل كان المعتدي لديه ضمادة على ذراعه؟ أو جرح جديد؟

كشّرت «ليزا»:

- لا، لم أرَ إلى هذه الدرجة. ولكنني كنت سألاحظ هذا لأن القميص العلوي كان بأكمامٍ قصيرة.

فكّر «جاكمان»: « إذاً لم يكن «دانيل» . .. ولكن من إذاً؟ »

أغلق عينيه وحاول التفكير. ينبغي أن يعثروا على «مارك دوناند». وفي ظل اختفاء « سكاي » كانت مخاوف « جاكمان » تزداد كل ثانية.

- ارتاحي يا «ليزا». سنتكلم لاحقًا. والآن يجب أن أعود.

غاصت في وسائدها ثم قالت:

- أمرٌ أخير يا سيادة المفتش.

جاء صوتها ناعمًا كالهمس:

- حاولت أن أضربه بمقلاة حديدية. أظن أنني جرحته قليلًا، ولكن لا بد أن الضربة كانت مؤلمة.

- أين ضربتيه؟

- قصدت رأسه، ولكنه تحرّك فلا أدري أين جاءت الضربة.

ابتسم لها « جاكمان » وطمأنها:

- سنمسك به يا «ليزا». لدينا شرطيون هناك معك طوال الوقت. لا تقلقي . .. كوني بخير.

- لا تقلق بشأني. فقط اهتم بسلامة «سكاي».

أغلقت عينيها.

انحنى « جاكمان » إلى الأمام وأمسك بيدها ثم ابتعد عن الفراش. تحدّث قليلًا مع شرطيين سيحرسانها ثم أسرع خارج غرفة الإفاقة. اختار رقم « ماري » على هاتفه وتنفّس الصعداء عندما أجابت من أول رنة تقريبًا. قال لها باختصار ما قالته «ليزا»، ثم سأل عن موعد عودتها إلى القسم.

- أنا في طريقي خارج بيت «جاي» الآن. سأعود إلى القسم في العاشرة.

توقفت برهة وأضافت:

- لمعلوماتك . .. أنا متأكدة من أن «جاي» لم يقل شيئًا قط ليضايق «دانيل»، حسنًا؟

- حسنًا يا «ماري» . .. أراكِ قريبًا.

أغلق « جاكمان » هاتفه وأسرع ناحية سيارته داعيًا أن يعثروا على «مارك دوناند» قبل أن يعثر هو على «سكاي».

* * *

مرة أخرى وقف « كيفن ستونر» عند سقيفة الحافلات المُغطاة بالرسم الجداري وراقب بيت كيندر. هذه المرة كان هناك سيارة دورية تقف عند المدخل، ولكن يبدو أن شرطييها سعداء بالبقاء بداخلها.

لم يكن في عجلة من أمره. كان يعلم أن أمامه فرصة واحدة فقط، ولم يكن ليتحمّل أن يمسك أحدهم به. إذا وجد أي شيء جنائي فسيفكر في أفضل وسيلة للتصرف. وفيما كان يستعد لليلته الأخيرة كان واثقًا من أنه سيجد سلاح جريمة أو ملابس ملطّخة بالدماء أو ربما « دانيل كيندر » نفسه حتى.

رأى « كيفن » أن الطاقم بالسيارة سيظل هناك لمدةٍ طويلة. كما كان يعلم أنه سوف يكون هناك شرطيون يجوبون طريق النهر على طول الجزء الخلفي للمباني، كان بحاجة للعثور على طريقٍ بديل للدخول.

حدّق في الحدائق الأمامية ووضع خطة. كان

هناك أمران فقط قد يفسدان خطته، كما أنه لن يمكنه التصرف بشأن الكلاب السائبة في الحدائق أو أضواء الاستشعار الخفية. لم يسمع نباحًا لا الليلة ولا أثناء زيارته الأخيرة، ولا حتى إضاءة محيطة اشتعلت عندما وصل درو ويلسون وعصابته. لذا، عليه أن يجازف.

كان هناك انحناءٌ بسيط في الطريق أخفى هيئته المظلمة من سيارة الشرطة. وفي غضون ثوانٍ معدودات كان مختبئًا في أمان داخل منطقةٍ صغيرة من الصنوبريات في الحديقة الأمامية لبيتٍ على بعد ثلاثة بيوت من بيت دانيل.

ظل الحظ حليفه فيما كان يتنقّل فوق الجدران المنخفضة وعبر الشجيرات، حتى وصل إلى الحديقة المجاورة. بينه وبين بيت كيندر كان هناك سورٌ خشبي ثابت. قدّر ارتفاعه بخمسة أقدام تقريبًا، لذا سيكون بإمكانه النظر من فوقه ليرى المنظر أمامه.

اختبر «كيندر» قوة الخشب، واطمأن عندما علم أن السكّان في المنطقة لم يبخلوا على أسوارهم. صحيح أن السور كان نحيفًا، ولكن السنين أعطته قوة في جزئه العلوي. أخذ نفسًا وشدّ ذراعيه وأمسك بأعلى السور ثم جذب نفسه إلى الأعلى في حركةٍ واحدة سلسة.

هبط في صمت تقريبًا في حوض من النباتات الأرضية، وبدون أن ينظر حوله ركض سريعًا

عبر البوصات القليلة لأحد الأحواض المهملة ثم وصل إلى عددٍ من الأشجار الكثيفة. وهناك ركع على ركبةٍ واحدة واستطلع سريعًا.

كان البيت مظلمًا تمامًا. ولكن في الحديقة كان هناك ضوءٌ خافت من مصابيح الشارع التي تضيء بعض البقاع فيما بقيت بقاعٌ أخرى مظلمة. اتبع « كيفن » المناطق المظلمة حول البيت بعيدًا عن مرأى الطريق.

كان متأكدًا من أنه لن يجد أحدهم يعسكر في الحديقة الخلفية. لابد أن هناك سيارتين تراقبان مدخل ومخرج ممشى النهر، والشرطيون سيجوبون الممشى كل حينٍ وآخر، ولكن النهر يُعد مانعًا بين الممشى وبقية المدينة.

ساعده قمرٌ خافت، مختبئٌ خلف غيومٍ خفيفة، على أن يسلك طريقه عبر الحديقة. وفي لحظات كان أمام الشاليه الخشبي الذي بداخله المسبح الساخن.

تسلّل « كيفن » إلى مساحةٍ ضيّقة بين موقد شواء من الطوب ومخزن أخشاب مرتفع مفتوح من الأمام. كانت منطقة المسبح الساخن كشاليه ثلاثي الأجزاء، والجزء العلوي ممر للأبواب المطويّة التي يمكنها أن تؤدي مباشرة إلى الحديقة. أمام الأبواب كان هناك مساحة فسيحة تطل على المكان الذي يقف فيه. كان الشاليه نفسه موصلًا بالبيت، ومن مكان اختبائه، وتحت

ضي القمر، تمكّن « كيفن » من رؤية بابين خلف الغرفة الطويلة الفسيحة. كما رأى حانة وطاولة ومقاعد حانة وكراسي تشمّس ونخل كبير داخل إصيص وكابينة خشبية أخرى بالقرب من جانب المسبح، شيء من المفترض أنه ساونا.

تذكّر في لحظةٍ سيئة «زين برويت» وامرأة كبيرة الصدر يستحمّان معًا في مياهٍ مبخّرة. أخذ يراقب الغرفة لعشر دقائق، ولكن لم يسمع شيئًا ولم يرَ حركة بالداخل. كان هناك باب صغير في جانب الشاليه. ربما يكون مفتوحًا، فالناس عادةً ما يهملون أشياء كتلك. آمل ألا يضطر لكسر القفل، تسحّب من مخبأه وعبر المساحة الفسيحة.

وقف عند الباب وجذب المقبض برفق. انفتح بسهولة، أصبح « كيفن ستونر» بالداخل في صمت.

* * *

الفصل السابع والعشرون

دخل « جاكمان » غرفة التحقيقات فوجد أمامه «تشارلي باتون» و«ماكس كوهين».

- الأمور بدأت تتكشّف يا سيدي. اكتشفنا بعض الأمور عن القتيلة.

انسعت عينا «تشارلي» المتحمّس رغم تأخر الوقت.

- فعلًا.

لم يبد «ماكس» يقظًا كفاية، ولكن عقله كان بوعيه بالتأكيد.

- زوج «سو بانستر» كان على علاقة بممرضةٍ شابة . .. عرفت «سو» بذلك.

أكمل «تشارلي»:

- صُدمت «سو» بالخبر، ولكنها لم تواجه رب الأسرة. أخبرتنا إحدى صديقاتها أنها اعترفت بأنها « وجدت مساعدة في مكان آخر » كما قالت تلك الصديقة.

- وهل تعرف هذه الصديقة من أين حصلت على المساعدة؟

- لا، ولكنها أخبرتها بأن الرجل الذي ساعدها « ملاك جاء في وقته ». .. ويبدو أن ذلك الملاك تحوّل إلى ملاك الموت.

صحّح «جاكمان»:

- لو كان ذلك الرجل هو من قتلها . .. لا يمكننا أن نجزم الآن.

- أعتقد أننا يجب أن نجزم يا سيدي، لأن صديقتنا، صاحبة الروح الاجتماعية، الممرضة المبتسمة دائمًا، جوليا هوب، كانت تعاني من صعوبات لم ترد مشاركة طبيبها إياها.

نظر إلى « جاكمان » على نحوٍ مخيف:

- كما أنها وجدت لنفسها ملاكًا . .. ملاكًا ثريًا.

- من أخبرك هذا؟

- أختها.

أمسك تشارلي بالرسالة المطبوعة وقال:

- لم تقل آنا أي شيء من قبل لأنها لم تكن تعرف. كان لديها مشكلات مع بريدها الإلكتروني، ثم وجدت بريدها مليء بالرسائل بعد بضع أسابيع. عندما فحصت رسائلها ووجدت هذه بين رسائلها الواردة اتصلت بنا. أرسلت «جوليا» هذه الرسالة قبل فترةٍ وجيزة، ولكن «آنا» لم تكن قد قرأتها. تقول في الرسالة أنها تعاني من اكتئابٍ ما وأنا خائفة جدًا ومحرجة من طلب مساعدة احترافية. قالت لآنا أن « صديقًا رائعًا يساعدها . .. شخص تثق فيه تمامًا » .

تمتم «ماكس»:

- خطأ كبير. ولكن أضف هذا إلى حقيقة أن مصدر مخدرات أليسون فليت لم يكن معروفًا، وكلنا نعرف أن الضحايا الثلاث تقربن من أحدهم كان من الواضح أنه جدير بالثقة.

أغلق « جاكمان » عينه وفكّر:

- لماذا يقتلهن إذًا؟ إذا كنّ مصدر دخلٍ له، لماذا يقتل الإوزة التي تبيض ذهبًا؟

عبس «ماكس»:

- امم . .. هذا كل ما حصلت عليه . .. لم أفكر في سبب قتله لهن.

- ربما يمكننا الاطلاع على كاميرات المراقبة لنرى ما إذا كانت إحداهن قد قابلت رجلًا.

لم يبد «تشارلي» مقتنعًا كليةً باقتراحه.

- أظن أنهن أخذن احتياطاتهن ليبقى الموضوع طي الكتمان.

- سألت مصدرًا لي إذا ما كان هناك أحد التجار المحليين يتاجر في هذا النوع من العقاقير. ولكن بصراحة لا يمكن أن نصف أيًا من هؤلاء الحقيرين المنتشرين في المدينة بالـ«ملاك» . الرجل الذي نتحدث عنه يبدو كمخادعٍ لامع بلسانٍ معسول وصلة مباشرة بموردي المخدرات.

جلس على مقعده وسأل:

- أين سيادة الرقيب يا زعيم؟ أما زالت مع المعالج النفسي؟

- في طريقها إلى القسم.

توجّه « جاكمان » إلى مكتبه وقال في طريقه:

- أخبرنا أن تأتي إليّ فور وصولها. أظن أن يرتاح كلاكما . .. لقد تعبتما كثيراً.

- كيف لنا أن نذهب وكل الأمور على وشك أن تنكشف؟

- نعم، لدينا قاتلٌ هارب، أو ربما مجرد مجنون ضائع، لسنا متأكدين تمامًا من هذا، ولدينا فتاته المفقودة، والآن صديقه اللعين المفقود الذي ربما يبحث عن صديقة صديقه المفقودين.

فرك «ماكس» عينيه:

- وتريد أن تحرمنا من هذه المتعة يا زعيم؟

- حسنًا، ساعة واحدة إضافية. وبعدها لا يهم من المفقود، اذهبا إلى بيتيكما، اتفقنا؟

قبل أن يجيب كلاهما دخل شرطي ببزةٍ رسمية المكتب يحمل مذكرة.

- عرفنا مكان سيارة البروفيسور « بريستون » الضائعة يا سيدي.

سلّم « جاكمان » المذكرة وغادر.

- في موقف سيارات، رائع!

أخرج هاتفه من جيبه واتصل برقم «جاي بريستون». أخذ « بريستون » وقتًا ليجيب، وعندما أجاب كان يتثاءب.

- عذرًا، الوقت متأخر يا «جاي»، ولكنني رأيت أن تعرف أننا عثرنا على سيارتك.

اعتذر «جاي»:

- عذرًا يا سيادة المفتش . .. غفوت قليلًا، ولكن هذه أخبار عظيمة . .. أين كانت؟

- تركها في أفضل مكانٍ تركن فيه سيارة.

توقف برهة وأضاف:

- في موقف سيارات. لم نعرف هذا إلا عندما لاحظها رجل الأمن بعد جولة. السيارة سليمة، ولكن علينا أن نجلبها إلى هنا ونفحصها قبل أن تستلمها.

- طبعًا. وشكرًا على إخطاري.

صمت ثم أردف:

- هل يمكنني التحدث مع «ماري»؟ وجدت سوارًا على الأرض بعدما غادرت. انكسر المشبك . .. أعتقد أنه لها.

- لم تعد بعد. ولكنها ترتدي سوارًا بالفعل، هل أجعلها تتصل بك عندما تصل؟

- ولكنها غادرت قبل أكثر من عشرين دقيقة. قالت أنها ستذهب مباشرة إلى القسم. لا تظن أنها ركبت دراجتها المخيفة، أليس كذلك؟

- لا تدعها تسمعك تقول هذا . .. هل رأيت « ماري » تقود من قبل؟

- ليس منذ وقتٍ قريب.

- هكذا ظننت.

قال «جاي» بعصبية:

- حتى السائق الماهر قد يصادف يومًا سيئًا.

- حسنًا، أتفق معك يا «جاي»، ولكن الأمر مختلف مع «ماري». أرى أن أمرًا ما حصل فتعاملت معه. لم أكن لأقلق . .. أنا متأكد من أنها ستكون هنا قريبًا.

- حسنًا، شكرًا على إخطاري بشأن السيارة، و...

توقف برهة ثم أضاف:

- ستخبرني إذا . .. إمم . .. إذا حدث شيء لـ«ماري»؟

- طبعًا.

جاء رد « جاكمان » مُقتضبًا. لا يهم كم تتعامل « ماري » بحرفية مع إعجاب «جاي» بها، إلا أن الرجل كان من الواضح أنه متيّم به.

أنهى المكالمة. كلما انتهت هذه القضية سريعًا كان أفضل. صحيح أن « ماري » لم تشتكِ، ولكن ليس من اللطيف أن يكون لديها مُعجب يطاردها.

إلا أنه لم يكن يعرف سبب انزعاجه من إعجاب «جاي» الشديد بها.

- سيدي!

جاء نفس الشرطي الذي أخبرهم بشأن سيارة بريستون.

- قال أحد السكان إنه شاهد دراجة نارية في المياه القريبة من بوابة بلاكلاند سلويس.

ارتعد «جاكمان»:

- ما نوع الدراجة؟ هل قالوا لك؟

- سيارة خضراء يا سيدي.

تحوّل الارتعاد إلى رعشةٍ عبر عظامه وشعر وكأن قلبه تجمّد.

- رحماك يا ربّاه! ليس هذا، ليس الآن!

بلع ريقه وسأل:

- من يتعامل مع البلاغ؟

- هناك فريقان بالفعل وتم نشر فريق حريق لالتقاط الدراجة.

فكّر « جاكمان » بصوتٍ عال:

- لا توجد بيوت في ذلك المكان . .. لا شيء إلا محطة الضخ وبعض المراسي. ماذا عن كاميرات

شركة المياه؟

- تواصل رجالنا مع مديرية المياه بالفعل في هذا الشأن. سيرد علينا أحدهم.

حدّق الشرطي في «جاكمان»:

- هل أنت بخير يا سيدي؟ ما بال وجهك مصفرًا؟

- أنا بخير.

قالها ولكنه كان بعيدًا كل البعد عن كونه بخير. حقيقةً كان يشعر وكأن عالمه يتحطّم إلى قطعٍ صغيرة متكسّرة.

- يجب أن أذهب.

- يقول رجالنا إنه من المحتمل أن تكون الدراجة فقط يا سيدي. يعتقد ترامبتون أنه لا يمكن لجسم أن يخرج من سلويس ما لم تكن البوابات مفتوحة على مصراعيها، ولن يفعلوا ذلك ما لم يتم التفتيش في المياه جيدًا. كما أنه لا يوجد أثر لأي جثةٍ عائمة.

شعر « جاكمان » بإعياء. جرت في عقله صورة وجه « ماري » في المياه السوداء الزيتية . .. تعبت معدته.

قال «ماكس» الذي ظهر بجواره فجأة:

- سأذهب يا سيدي. أعرف دراجة الرقيب جيدًا، وسأطلعك على كل شيء.

- شكرًا يا «ماكس»، ولكنني أريد أن أذهب.

- بالتأكيد، ولكن يجب أن تبقى هنا من أجل كل الاحتمالات.

اكتسى وجهه بالقلق:

- ولسببٍ ما، لا أظن أنها في المياه. أعرف هذا الامتداد من الطريق ولا يوجد أدنى سبب يدفع سائق محترف مثل الرقيب لينتهي به الأمر في المياه. لا سبب إطلاقًا. لا تقلق يا زعيم.

علم « جاكمان » أن «ماكس» محق، ولكنه أراد أن يكون هناك في حالة ما إذا أصاب « ماري » مكروه . .. هكذا ببساطة.

- أعرف فيم تفكر يا زعيم. ولكنني متأكد أن شخصًا ما يريدك أن تضيع وقتك وتتوتر أعصابك فيما يفعلون ما خططوا له، أيًا كان.

تنفّس « جاكمان » بصوتٍ مرتفع:

- حسنًا، ولكن اتصل بي إذا كانت هناك أدنى احتمالية لوجودها في المياه، اتفقنا؟

أومأ «ماكس» وتحرك ناحية الباب.

- وإذا كان الأمر كله خديعة، مثلما أعتقد، سأعود إلى هنا أسرع من يوسان بولت.

رأى « جاكمان » أنه قد حان الوقت ليتصل

بالمراقب «كروك». كانت الأمور تتصاعد وتيرتها وكان من الضروري أن تعلم بكل هذا. جلس في مكتبه وحدّق بلا هدف في الجدار فيما انتظر إجابتها. إذا لم تكن « ماري » في المياه، فأين هي بحق الجحيم؟

شرح « جاكمان » كل شيء لـ«روث كروك» الغائمة. وبعد سيلٍ من الشتائم المقززة أخبرته أن يبقى في القسم ما لم يحدث شيء خطير. أخبرته أنها ستكون معه في خلال عشرين دقيقة.

وفيما كان يضع السماعة في مكانها شعر « جاكمان » بموجة عدم راحة مفاجئة. هناك شيءٌ ما سمعه خلال الساعات القليلة الماضية لم يبدُ صحيحًا. ولكنه لا يدري ما هو.

- يا زعيم!

أخذ «تشارلي» يبحث في المكتب، لم يبد أنيقًا أبدًا، ولكن الليلة بدا وكأنه خرج لتوه من شجار.

- أهناك أخبار عن الرقيب؟

سألت آملًا فيما كان يحاول إدخال قميصه في بنطاله.

- لا شيء يا «تشارلي». سيتصل بنا «ماكس» من مكان الحادث عندما يصل لشيء.

- إنه ليس مكان حادث .. أتفق مع «ماكس» في

هذه. إذا كانت دراجتها في سلويس، فلا بد أن أحدهم ألقاها هناك ليشتّتنا.

- وإلى أين يوصلنا هذا؟

- من الواضح أن الرقيب اختطفت. يجب أن نحدد أين ومتى اختفت. ربما حينها نعثر على خاطفها.

نظر « جاكمان » إلى المحقق الشاب بإعجاب. لم يكن تشارلي باتون شابًا لامعًا، وبالتأكيد لم يكن الشرطي الأفضل، ولكن أحيانًا يكون لديه إيمان في الاستنتاجات التي يسير وفقها.

- اجلس.

أشار « جاكمان » إلى مقعد ثم جذب ورقة طباعة من الكومة أسفل الحاسوب ومرّرها إلى «تشارلي».

- حسنًا، تحدّثت معها عبر هذا الهاتف في تمام الحادية عشرة وست عشرة دقيقة. قالت إنها غادرت شقة «جاي بريستون » في هانسون بارك للتو.

تتبّع «تشارلي» الوقت.

- ثم تحدثت مع «برستون»، وقال إنها غادرت منذ عشرين دقيقة. انتظر . .. دعني أحسبها بالضبط.

فحص سجل مكالماته ثم قال:

- بعد خمس وعشرين دقيقة في الحادية عشرة وواحد وأربعين دقيقة.

كشّر وأضاف:

- طريقها المعتاد، بافتراض أنه الطريق الذي ستسلكه، أن تغادر هانسون بارك، ثم بارك فيلان، ثم تأخذ الطريق الرئيسي، وطريق سالترن السريع، وصولًا إلى بلاكلاند سلوييس، ثم حارتين إلى القسم.

- عشر دقائق بحد أقصى.

رفع تشارلي حاجبه:

- وربما أقل بناءً على عدم التزام الرقيب بالسرعات. كما لا يوجد أي مرور في هذا الوقت من الليل.

- إذًا لا بد أن أحدهم قطع الطريق عليها بين هانسون بارك والنقطة القريبة من سلوييس حيث ألقى بدراجتها في المياه.

نظر «تشارلي» إلى الأعلى:

- وكيف يمكنهم ذلك بالضبط؟ كيف يمكنك أن توقف دراجة نارية مسرعة؟ وتجعل السائق ينزل ويترك دراجته؟

- بأن تلوح له مثلًا؟ أو أن تدّعي خطبًا ما، حادث مثلًا أو سقوط. « ماري » دائمًا ما تساعد

مَن يحتاج المساعدة.

- نعم، ومن الممكن أن تتوقف لشخصٍ تعرفه أيضًا . .. مثل شخص نبحث عنه.

- شخص مثل « دانيل كيندر».

علم « جاكمان » أن « ماري » لو كانت قد رأت «كيندر» لكانت طاردته. هذا أكيد. تذكّر « دانيل » وهو يصيح في وجه « ماري » ويسألها لماذا لا تصدقه.

«دانيل» لم يحب « ماري » إطلاقًا. أطلق « جاكمان » صفيرًا خافتًا.

- احتمال بعيد.

- ماذا لو أخذت شرطيين وذهبت إلى هانسون بارك؟ ربما شاهدها أحدهم تغادر ولاحظ الطريق الذي أخذته. سنحصل على معلومة أكيدة هكذا، أليس كذلك يا زعيم؟

- يجب ألا تكون معروفًا هكذا بين العامة، ولكن معك حق. اذهب لترى ماذا هناك يا «تشارلي».

قفز الشاب من مكانه فقال له «جاكمان»:

- وحاول ألا تثير بلبلة. لا نريد شكاوى يمكننا تجنبها.

- سأكون حصيفًا ودبلوماسيًا يا سيدي.

وقف عند الباب وسأل:

- هل أتصل بالمعالج النفسي؟ أريد أن أتأكد منه ثانية من توقيت مغادرة الرقيب.

تمهّل الرقيب وهلة ثم قال:

- لا، لا تقلقه. سجل هاتفي يخبرنا بما يكفي. دعه ينال قسطًا من النوم.

- حسنًا يا زعيم.

رنّ هاتف « جاكمان » فيما غادر «تشارلي». نظر في الشاشة ليجد اسم « سكاي وينيارد». ضغط على الزر الأخضر.

- «سكاي»! حمدًا لله! هل أنتِ بخير؟

- أنا بخير يا سيادة المفتش. سمعت من «دانيل»، بدا وكأنه عاد إلى حالته الطبيعية. قال إن «جاي بريستون » ساعده كثيرًا. أنا مرتاحة كثيرًا يا سيادة المفتش، لا أصف لك.

- «سكاي»! يجب أن نتحدث معه ضروريًا. هل أخبركِ أين كان؟

- لا . .. ولكننا تكلمنا كثيرًا. أخبرته أن والدته اتصلت.

توقفت برهة ثم أردفت:

- لم أرد أن أخبره كل شيء عبر الهاتف، ولكنني

أخبرته أن لدي أخبارًا سعيدة من أجله. فبعد اختفائه المتكرر رأيت أنه من الأفضل أن أحافظ عليه.

- أتفق. ولكن أين أنتِ؟ نريدك هنا.

- أعرف . .. سأعود بعد قليل، أعدك.

لم يرتح « جاكمان » لحقيقة أنها تجاهلت سؤاله الأول.

- سكاي، اسمعي. مهما كان ما تقومين به، لا تقتربي من «دانيل»، أو حتى «مارك». لا يهم كيف تفكرين. أريدك هنا في الحال، هل تفهمين؟ ربما لا تكونين في أمان.

انتظر « جاكمان » ردًا منها، ثم أدرك أنها ذهبت.

اتصل بها بسرعة، ولكن المكالمة أحيلت إلى البريد الصوتي. أعاد رغبته في أن تكون في القسم على الفور متمنيًا أن تجيب على رسالته. وبعد دقيقة أو اثنتين وضع الهاتف في جيبه.

- اللعنة! لعنتان لا لعنة واحدة!

ترك مكتبه وركض على السلم إلى مكتب رقيب النبطشية. اتصل الرقيب في ثوانٍ بالفريق خارج بيت كيندر وأكدوا أن الأمور هادئة . .. لم يدخل أحد ولم يخرج أحد.

- الوضع هادئ تمامًا يا أفندم. ولكن إذا جد

جديد سأخبرك على الفور.

حاول « جاكمان » وهو يصعد الدرج عائدًا أن يجد عزاءً في كون « سكاي » بخير الآن، ولكنه فكّر إلى متى؟ وهل « ماري » بخير؟ شعر « جاكمان » وكأن أحدهم وضع يده داخل صدره وحبس كل ذرة هواء عن رئتيه. أينما كانت « ماري » فإنها ليست في أمان . .. ليست في أمان إطلاقًا. وإذا لم يعثروا عليها سريعًا . ..

* * *

تسلّل « كيفن ستونر» حول غرفة الشاليه. تصرف بنظام، رفع الأوسدة السميكة بحرص من قطع الأثاث ليبحث تحت المقاعد. ثم تحرّك نحو منطقة الحانة. فتح الثلاجة، أخرج زجاجتين من مؤخرة الأرفف ودلف داخل وحدة مليئة بزجاجات الخمر وبرطمانات الزيتون وصناديق الناكس الملفوفة في رقائق معدنية وبعض شرائح الليمون المعصورة. عمل ببطء وبنظام، ولكن لم يجد شيئًا.

وقف وتمدّد، شعر بسعادة غامرة فجأة عندما فكّر أنه قرر أن يفتش المكان كله بنفسه قبل أن تأتي الشرطة. سار الأمر حسب خطته تمامًا، ويبدو أنه حافظ على مهنته بألا يتورط أبدًا.

بدأ بالمسبح الساخن. كان هناك سجادة سميكة بلون الأزرق الفاتح على سطح المياه لتحافظ

على درجة الحرارة العالية وإبعاد أي ركام أو وسخ. انحنى وسحبها. شم رائحة رطوبة غير لطيفة. كان المسبح مهجورًا لمدة طويلة. أخرج مصباحه وأضاءه إلى الأسفل خشية أن يجد شيئًا مقرفًا يطفو على سطح المياه. ولكن لا شيء في أعماق جاكوزي آل كيندر.

تنهّد ثم تمدّد وتحرّك ليرى مجموعة حاويات النباتات التي تزيّن غرفة المسبح. حاول جاهدًا ألا يراه أحد، رفع النباتات الواحدة تلو الأخرى ليتأكد من عدم وجود شيء مخبأ في قعر الحاويات.

وفيما أعاد النبتة الأخيرة الشائكة الشبيهة بالصبّار في حاويتها، رأى « كيفن » أن هذه الفكرة الرائعة أصبحت حملًا لا طائل منه. ورغم ذلك، كان يجب أن يفحص الساونا، وأيضًا البابين الذين يؤديان إلى البيت نفسه حسب ظنه. نظّف يده من الطين وسلك طريقه عبر الساونا. فتح الباب ببطء آملا ألا يدخل الغرفة ضوء. لحسن الحظ ظل الجو معتمًا حتى تمكّن من التسلل إلى المساحة الصغيرة بدون أن يجذب الانتباه إلى الشاليه.

بداخل الشاليه انتشرت رائحة جميلة أشبه بالخشب الإسكندنافي. شجر الحور الرجراج ربما؟ أم شجر الصنوبر؟ كان الشكل العام تقليديًا والجدران مغطاة بألواحٍ من الخشب المُصمت،

بالإضافة إلى مقاعد علوية وسفلية ذات مساند ظهر متحركة. وفي أحد الجداران موقدٌ مليء بالفحم ومن حوله سياجٌ واقٍ من الخشب.

منظر جميل إذا كنت غنيًا كفاية لتحصل على مثله، هكذا فكّر « كيفن » فيما كان يبحث أسفل أحد المقاعد. تنهّد ثم تسحّب عائدًا إلى غرفة المسبح وبحث فيها بدون طائل. لم يعد هناك إلا بابان ليفحصهما. وبما أنه لم يرَ أنهما يستحقان عناء محاولة الوصول إلى داخل البيت، أعلن نهاية حملته التفتيشية.

كان الباب ناحية اليمين مزود بلوح زجاج، وبحرص من خلال الضوء الخافت عبره تمكّن « كيفن » من رؤيته أنه يؤدي إلى الصالة الخلفية للبيت. بإمكانه أن يرى لوحة أمان على جدار الصالة، ورغم هذا كان يحفظ الرقم من زيارته الأخيرة. لم يكن ينتوي الدخول. بناءً على ما قاله رئيسه فإن البيت خضع للتفتيش مرتين ومرة أخرى عندما بدأوا البحث عن « دانيل كيندر».

وبالتالي لم يبق إلا الباب الآخر. تضايق « كيفن » وسط الظلام. أيًا كان ذلك الباب لا بد أنه خضع للتفتيش كذلك. ولكن، هل حدث فعلًا؟ فكّر في شكل البيت ولم يفهم سبب وجود ذلك الباب هناك. لا بد أن هذا الجزء من الجدار يؤدي إلى غرفة الطعام. ولم يكن هناك باب. هذا أكيد.

أمسك « كيفن » بمقبض الباب وأداره. لم يحدث شيء. لم ينفتح ولم ينطلق الجرس. ازداد ضيقه وسيطر عليه فضوله.

اتخذ « كيفن » قرارًا سريعًا وسط الظلام. أراد أن يعرف ماذا يرقد خلف الباب، حتى أو أيقظ نصف سكان الحي.

* * *

الفصل الثامن والعشرون

كان « جاكمان » يجلس قبالة روث كروك. بقيا صامتين. كان قد أخبرها بكل ما يعرفه. بدأ يشعر بالخوف يتزايد بداخله. نظر إلى وجهها الشاحب، تأكّد من أنها تشعر بنفس السوء.

جذب هاتفه عندما رنّ جرسه وردّ:

- جاكمان!

- هذا أنا يا سيدي . .. تشارلي. تحدثت مع بعض السكان وعرفت وقت مغادرة الدراجة هانسون بارك بالضبط.

- هل يتطابق مع تقديرنا لتحركاتها؟

- كثيرًا، فارق دقيقة لا أكثر. سمعها الكثير من الناس وهي تغادر موقف السيارات، وكانوا مستعدين للاجتماع غدًا للشكوى للدكتور « بريستون » من الضوضاء.

اتسعت عينا «جاكمان»:

- أي ضوضاء؟

- يبدو أنها أسرعت بالدراجة وكأنه سباق ما.

- هل شاهدها أحدهم فعلًا وهي تغادر؟

- نعم يا سيدي، آخر شخص تحدثت معه قال إن سائق المركبة كان يرتدي خوذة سوداء تغطي الوجه بالكامل ومعطف جلدي مميز أسود وأخضر اللون مع جزءٍ أبيض.

تسارع تفكير «جاكمان»:

- «تشارلي»، اذهب لهذا الشاهد واسأله إذا ما لاحظ حذاء السائق أو بنطاله. الآن ولا تغلق الخط.

- حالًا يا سيدي.

سمع « جاكمان » أنفاس الشاب المتسارعة فيما كان يسرع عبر الطريق.

وبعد بضع دقائق طويلة عاد «تشارلي» إلى الهاتف:

- لا حذاء طويل يا سيدي . .. تقول الشاهد إن السائق كان يرتدي بنطال جينز أو بنطال أسود، وليس بنطالًا جلديًا.

ضاق صدر « جاكمان » قلقًا.

- اشكرهم وعد فورًا بأسرع ما يمكنك، ولكن تأكد من أن يبقى الفريق في الأنحاء. اجعلهم بعيدين عن الأنظار ولكن قريبين بما يكفي لتدخلهم إذا تطلبت الحاجة، اتفقنا؟

أغلق الخط، ولكن قبل أن يطلع روث كروك على المستجدات رنّ هاتفه مجددًا. هذه المرة جاء صوت «ماكس» بصدى عبر الخط:

- يا زعيم! أنا في طريق عودتي. إنها دراجة الرقيب بالفعل، ولكن لا أحد في المياه. وأمرت رجال الإطفاء أن يفحصوا الدراجة، لم تكن في طريقها نحو سلويس، بل تم إلقاؤها هناك. المركبة كانت مُعشّقة والمحرك لم يكن يعمل.

أخبره « جاكمان » أن يسرع في عودته وأغلق الخط، ثم استدار للمراقب وقال:

- منذ متى تعرفين «ماري»؟

- منذ سنين، لماذا؟

- هل سمعتِ في مرة أنها شغّلت دراجتها بعنف وقادتها وكأنها في سباق؟

- أبدًا.

- وإذا طُلب منكِ أن تصفي شكلها عندما تقود، ماذا ستقولين حينها؟

- كنت سأقول إن السائق طويل القامة، نحيف، ويرتدي طاقمًا جلديًا يتماشى مع لون الدراجة الأسود والأخضر، وخوذة تغطي وجهه بالكامل، بالإضافة إلى حذاء سباق.

اتفق «جاكمان»:

- الحذاء بارز بالفعل بسبب الأجزاء البلاستيكية الخضراء الفسفورية. لا بد أنها انعكست على مصباح الشارع، كما أنها كانت ترتدي بنطالًا جلديًا، ولكن الشاهد لم يرَ هذا. لا أظن أن « ماري » غادرت هانسون بارك أبدًا. أظن أنها اختطفت قبل أن تركب دراجتها.

- حسنًا، خذ اثنين من شبابك وقوة دعم كبيرة واقلب هانسون بارك رأسًا على عقب.

اكتسى وجه روث بالقلق.

- « ماري » في خطرٍ داهم، أليس كذلك؟

وقف « جاكمان » والتقط قميصه المقاوم للطعن من خلف بابه:

- أظن ذلك يا سيدتي.

- سأجهّز فريقًا مسلّحًا.

تبعته من المكتب وأمسك ذراعه فجأة:

- أنت تعلم أين هي، أليس كذلك؟ أرى ذلك في عينيك.

صرّ « جاكمان » على أسنانه وقال:

- لست متأكدًا يا سيدتي، ولكن لدي فكرة جيدة جدًا.

* * *

رقدت « ماري » على فراش «جاي» الكبير. بإمكانها سماعه يتحرك في واحدة من الغرف الأخرى. ما زال رعب عدم قدرتها على تحريك عضلة واحدة يهدد بالسيطرة عليها، ولكن «جاي» أخبرها أن الشلل مؤقت، ولسببٍ ما صدقته . .. ربما من أجل سلامة عقلها.

تذكّرت « ماري » كل ما حصل. من لحظة إدراكها لتلك الإبرة الرقيقة تحت الجلد وهي تخترق بشرتها.

كانت قد أغلقت الخط للتو بعدما تحدثت مع « جاكمان » وأوصلها «جاي» ليفتح لها الباب. ارتسم على وجهه حينها أغرب تعبير، علمت حينها أن هناك خطبًا ما.

استمر الخدر والدوخة يلازمانها. أصبحت الحركة صعبة، ثم مستحيلة. شعرت به يحمل جسمها بدون مقاومة على ذراعيه ويدخلها برفق إلى الصالة. ظلّت عيناها مفتوحتين من فرط رعبها.

- عذرًا يا «ماري»، ولكنكِ محقق ماكر . .. كان الأمور ستُكشف بعد حين.

جاءتها الكلمات من مسافةٍ هائلة، ولكن سرعان ما خبت فيما داهم ذلك الصوت الفظيع أذنيها وتحوّلت الصدمة وعدم التصديق إلى رعب. كان جسمها مشلولًا، ولكنها كانت واعية لكل شيء حولها. لطالما شعرت « ماري » برعبٍ مرضي من دخول جناح العمليات وعدم القدرة على التعبير عن أنها لا تزال في حالة وعي. والآن أصبح كابوسها واقعًا.

كانت متأكدة من أنها ستموت قبل أن تحرّك إصبعًا لتنقذ نفسها، ثم سمعت صوته.

- اسمعيني يا «ماري»، لن يصيبك مكروه. أعرف أن الأمر مرعب، ولكنه مجرد وسيلة للنهاية، أعدك.

بدا «جاي» هادئًا وعقلانيًا ولطيفًا على نحوٍ

غريب.

- سأعكس أثر المخدّر، ولكن عندما أتأكد من أنكِ مؤمّنة تمامًا.

سحبها «جاي» من الباب الأمامي وصولًا إلى الرواق، ثم أفلتها وفتح باب وجذبها إلى غرفة النوم الرئيسية حيث ترقد الآن، ثم أخبرها أن عليه أن يخرج.

- المخدر لن يوقف عمل رئتيكِ ولا قلبك فيما أكون بالخارج. صدقيني، لن يقتلك! إنه يسيطر فقط على حركاتك الإرادية بدون أن تفقدي وعيك، اتفقنا؟ لن تموتي يا «ماري». مشكلتك الوحيدة ستكون إذا حدث لي أي شيء، لأنني حينها سأتركك لوقتٍ طويل، حينها سيتوقف حجابك الحاجز عن العمل، وهذا ليس بشيءٍ لطيف أبدًا .

كان هادئًا عندما همّ بوضع جسمها المشلول على الفراش.

- عذرًا على هذا.

خلع معطفها الجلدي وقال:

- لديّ بضع مهامٍ قصيرة، وسنتكلم بعدها.

نظر إليها بيأس:

- لأن علينا أن نتكلم يا «ماري».

دفع ذراعه داخل معطفها وقال:

- أنا سعيد أنكِ لست واحدة من تلك النسوة النحيفات. جسمك دافئ.

عدل المعطف ثم قال:

- ارتاحي الآن، لن أتأخر عليكِ.

فور سماعها صوت محرّك درجاتها الكوزاكي علمت ما يفعله . .. لعنته في صمت.

ظلّت بلا حراك على الفراش الكبير طوال نصف ساعة تحاول مصارعة تلك الأفكار المجنونة الدائرة في رأسها. أخبرت نفسها مرة تلو الأخرى أنها لن تموت. وعدها بذلك كثيراً. عليها أن تفكّر في طريقةٍ للخروج من موقفها المزري.

هل هذا مجرد تصعيد جنوني لمشاعره نحوها؟ أم أن «جاي» القاتل؟ ماذا كان يقصد عندما قال إن الأمور كانت ستُكشف بعد حين؟ ولكن الأكيد أن «جاي بريستون » لا يمكن أن يكون قاتلهم عديم القلب! كانت قد رأته بنفسها، مليئًا بالتعاطف والإخلاص والتفاهم. لا يمكن لقاتلٍ متسلسلٍ أن يفعل هذا، هل يمكن؟ ربما كان يحمي أحدهم؟ ولكن مَن؟ وإذا كان الحال كذلك، لماذا يفعل بها هذه الفعلة؟

من تحاول أن تخدع؟ إذا كان «جاي» قادرًا على حبسها داخل جسمها – الشخص الذي من

المفترض أن يهتم به كثيرًا - فماذا سيفعل للغريب؟ كاد الرعب أن يسيطر عليها، ولكن لا يمكن أن تسمح بهذا أن يحدث. قاومت لتستعيد بعضًا من هدوئها. حاولت أن تصفي ذهنها بعض الشيء، ففكرت في «جاكمان». ليتها كانت تستطيع أن تبتسم الآن! رئيس أخلص رجلٍ قابلته، كما أنه، بالإضافة إلى زوجها، أخلص وأنظف شرطي عملت معه. فبغض النظر عن تعليمه الراقي وخلفيته المميزة، لم يشعرها بأنها أقل منه أبدًا. بالعكس، أشعرها أنها مميزة، وهي كذلك بالفعل. هذه هي العملة النادرة في شرطة فينلاند. علمت أنها لا تعشقه أو شيئًا من هذا القبيل. فهي لا تزال تعشق «بيل»، وأحست أن هذا الشعور لن يتغير أبدًا. ولكن من بين كل من يستطيعون مساعدتها في هذا العالم، لا بد أنه «جاكمان». سيجدها! سيعرف بشكلٍ أو بآخر أن « بريستون » وراء اختفائها. آملت أن يفعلها قريبًا.

دعت « ماري » في صمت بأن ينقذها «جاكمان». لم يكن الوقت في صفها، لأن المخدر حتى وإن كان غير قاتل، فإنها تعلم بعد كلام «جاي بريستون » أنه سيقتلها.

ظلت حبيسة جسمها المشلول، سمعته يتكلم في هاتفه. كان قد وضع المكالمة على مكبر الصوت، قاومت لتسمع صوت «جاكمان»، غير قادرة على أن تصرخ لينجدها.

شعرت « ماري » بغضبٍ يشتعل في جسمها المشلول، الحرارة تكاد تذيب جمود أطرفاها. كم تمنت حينها أن لو تركت تيرينس ماركوس أوستن يكمل ما قد بدأه. ندمت أشد الندمِ على إنقاذها حياته، لأنه تحوّل إلى شيءٍ أسوأ من أي مريضٍ نفسي. ظل غضبها مشتعلًا . .. ربما يكون هذا ما يفك قيدها.

* * *

- عذرًا على التأخير.

دخل «جاي بريستون » الغرفة ووضع صينية مما بدا أنه محاقن طبية على التسريحة.

- حان وقت فك وثاقك.

عمل « بريستون » سريعًا وباحترافية. ثبّت ذراعيها وقدميها بالفراش باستخدام قيودٍ سميكة ناعمة، ووضع شريطًا أعرض على وسطها. ملأ محقنًا ووضعه في ذراعها.

- سيبدو الأمر مخيفًا جدًا . .. ولكن حاولي أن ترتاحي . .. سيمر سريعًا.

فور خروج الإبرة من ذراعها بدأت ضربات قلبها تتسارع. كان أمرًا مرعبًا بقدر شللها بالضبط.

- اهدئي.

لم يفلح صوت «جاي» في طمأنتها. كانت

ستموت وابن الحرام لا يكترث لها! أيًا كان ما أعطاه إياها كان يجعل صدرها يخفق وقلبها يقفز كقطار سكة حديدية. علمت أن جسمها لن يتحمّل هذا النوع من الضغط طويلًا. لم تفكّر في الموت بهذا القدر من قبل حتى مات «بيل». من بعدها كانت تفكر في الموت كثيرًا، ولكنها فكّرت في الحياة أيضًا. أرادت أن تحيا، وكذلك ذلك القاتل المتوحش، ذلك المجرم القاسي الذي طاردها متخفيًا خلف قناع الصداقة.

- اهدئي! أخبرتك أن الأمر سيمر.

سـاد صـمتٌ طويـل، ثـم جـذب جـانب معصمها ليقيس نبضها.

- هذا العقار العاكس جديد، إنه سريع، ولكن غير مستقر كليةً.

رجع للخلف وأردف:

- ربما تشعرين بانقباض عضلي وغثيان لمدةٍ ما، ولكن ضغط دمك يهدأ.

كان محقًا. كانت « ماري » لا تزال تشعر وكأن مطرقة تضرب داخل قفصها الصدري، ولكنها أقل خوفًا الآن. أخذت نفسًا عميقًا وحاولت فتح فمها.

وضع أصابعه على شفتيها:

- لا تتكلمي الآن . .. حافظي على تنفسك وحاولي أن ترتاحي.

نعقت:

- كيف تجرؤ يا ابن الحرام!

بـدا فكّها وكأنـه سيخرج من مكانـه وعضلات وجهها المتألمة كأنها تصرخ فيها.

- لا مشكلة، لست متفاجئًا من غضب.

لوهلة عاد الغلبان المجروح إلى الصورة.

- فعلت هذا لأنني لا أريد أن أؤذيك. لا يمكنني أن أضربك.

- ولكن يمكنك فعل هذا!

أحدثت صريرًا.

- أتمنى لو ضربتني، كنت سأتفهم، ولكن أن تفعل شيئًا فظيعًا رهيبًا . ..

بصقت:

- هذا اعتداء يا «جاي»! انتهاك فظيع!

- أعتذر لشعورك هذا، توقعت أن تفهمي . .. ربما حتى . ..

- ماذا؟ أن أشكرك؟ أيها المريض ابن الـ. . .

قاومت قيودها ولكن عضلاتها المنقبضة عجّزتها. صرخت:

- هل تعرف كيف يبدو الأمر عندما تكون محبوسًا داخل جسمك؟ أن تكون مشلولًا بالكامل؟

تكوّنت الدموع في عينيها المرهقتين فيما قاومت مجددًا.

- أرجوكِ لا تفعلي هذا. آسف بشأن تلك القيود أيضًا. نستخدمها في العلاج بالصدمة الكهربائية. من المفترض أن تمنع المريض من التعرض للإصابة أثناء النوبات.

ابتسم لها بندم:

- ولكن في تلك الحالة تكون من أجل سلامتي، وليس سلامتك أنت.

- صحيح تمامًا!

حدّق « بريستون » فيها، ثم جلس على حافة الفراش بالقرب منها. تذمر راثيًا:

- ساعديني يا «ماري» . .. لا أعرف كيف أتصرف.

تحوّل غضب « ماري » إلى ارتباك. عليك أن تكون حريصة. أيًا ما ستقوله قد يفاقهم ذهانه. داهمها التوتر كموجة كهربائية.

نظرت إليه، عليها أن تكون الاستشاري الآن، ويجب أن تكون بنفس براعة «جاي بريستون » التي كان عليها يومًا ما. حسنًا، لديها نقطتان في صالحها. الأولى أنها ما زالت حية، لم يقتلها.

والثانية أنه طلب مساعدتها.

رسمت « ماري » ابتسامة على شفتيها شبه المشلولة:

- هل تريد أن تتكلم يا «جاي»؟ يبدو أنني لن أذهب إلى أي مكانٍ الآن.

وضع « بريستون » يده على يدها. رأت « ماري » حزنًا عميقًا في وجهه المرتعب على وسامته.

حدّق «جاي» بشدة في بشرته المجعدة عند الجرح القديم على ظهر يده.

- لاحظت هذا بعد وقتٍ قصير من محاولة تيرينس ماركوس أوستن قتلي.

نظر إليها وهلةً ثم أكمل:

- لا أصف لكِ كم مرة تمنيتِ لو أنكِ لم تنقذيني. كان يجب أن أموت يا «ماري». كان يجب أن تسمحي له بأن يدفع ذلك القلم في شرياني السُباتي.

بدأت يده تطبطب على يدها برفق.

- بدأ الأمر عندما رأيت عينيه. لسنين طويلة كنت أنظر في أعين المجرمين، غير أن تيرينس ماركوس أوستن حالة مختلفة.

تنهّد وأردف:

- رأيت فراغًا، ثقوب سوداء بدلًا من المكان الذي يجب أن تعيش فيه روحه. رأيت لامبالاة حقيقية، وأحيانًا شرًا صافيًا. لطالما تحدثت مع مجرمين أخبروني أن القتل لا يمثّل لهم شيئًا. إنه سهل، هكذا أخبروني. ولكن عينا أوستن كان بها شيءٌ لم أرَ مثله طوال حياتي التي قضيتها أدرس القتل والقتلة. رأيت صلة. لا أستطيع أن أصفها بأكثر من هذا، صلة بينه وبين الموت. لم يكن يحيا إلا لتلك اللحظة. كان يسيطر سيطرةً كاملة على الحياة والموت، ولم يكن يكترث إلا لشيءٍ واحد . .. نقطة الموت. هذا هو سبب استمراره في القتل.

ركّزت « ماري » بما يكفي لترى عيني تيرينس أوستن، ولكن كل ما رأته كان ذلك القاتل الماكر. لمحت وجه «جاي» المُعذب وقرّرت ألا تشاركه أفكارها. قالت:

- لا أفهم ما تقصد.

تضايق «جاي»:

- إنها عقدة! خصوصًا للشخص العادي.

تحوّل الضيق إلى بسمةٍ صبورة:

- دعيني أشرح لكِ. لدى كلٍّ منا عمليات عقلية عالية، بمعنى آخر، مشاعر تعاطف. نتعرّف على الآخرين ونعيش مشاعرهم؛ الغضب أو الرعب أو الخوف . .. وكأننا نحن من نحس بتلك المشاعر.

وأقسى تجربة هي الموت . .. الأمر واضح؟

قاومت «ماري»، ولكن قالت:

- وكأنك تعيش في فيلم رعب.

- نعم، هوسٌ بالوفاة والموت في الأفلام السينمائية أو الوثائقية. أمرٌ قهري بغرابة، ويمكن القول بأنه جزء أصيل من السلوك الإنساني. إذا كنا صريحين مع أنفسنا، فإننا جميعًا نميل إلى مشاهدة الحوادث، أليس كذلك؟ نزور السجون، ومكان حادث الحادي عشر من سبتمبر، أو نقف في طوابير لنشاهد الجثث في (معرض عوالم الجسم).

بدأ «جاي» يجوب الغرفة متسائلًا:

- لدينا جميعًا هذا الهوس. لطالما كنّا خائفين من الموت طوال تاريخنا، إلا أننا ظللنا منجذبين له، وخصوصًا تلك اللحظة التي تفارق فيها الروح الجسد.

- نقطة الموت؟

تنهّد «جاي»:

- بالضبط، درست هذا الموضوع المخيف بعمقٍ شديد، ولكنني لم أفهم أبدًا إلا عندما نظرت فيٍ عين أوستن. في ثانيةٍ واحدة رأيت صلته بنقطة الموت، فيما مرضت حواسه الطبيعية وذهبت مشاعره البشرية كلها. كان أمرًا فريدًا، لحظة

فارقة.

لم تعد « ماري » تريد أن تسمع المزيد، ولكنها كانت بحاجة لمزيد من الوقت. بطريقةٍ ما كان عليها أن تبقيه منشغلًا:

- هل زرت أوستن بعد سجنه؟

بدا صوته أجش وما زال حلقها محتقنًا.

أومأ «جاي»:

- مرات عديدة. كنت مرتبطًا بكِ، ولكنني ارتبطت به على نحوٍ أقوى.

ابتسم لها معتذرًا:

- لقد كرهك . .. هل تعرفين هذا؟

- ليس بقدر كرهي له.

- لأنكِ تجاهلتيه.

- ألم أفعل؟

قالت بصوتٍ مبحوح، ثم تأوهت عندما تشنّجت عضلتها.

دلّك «جاي» قدمها حتى خف الألم.

- أفضل؟

- شكرًا.

فجأة أصبح الموضوع مثيرًا للسخرية حتى أرادت أن تضحك. ولكن « ماري » علمت أنها يجب أن تعمل عقلها. وفيما كانا يتكلمان لاحظت بين الأدوات المستخدمة على الطاولة محقنًا كبيرًا مليئًا بالمخدر.

أردف «جاي»:

- تكلّمت مع أوستن طويلًا عمّا رأيته فيه. بعدها بدأ يأتمنني على أسراره. كان أوستن من أوحى إليّ أن أدرس حالة فرانسواز ثابيه. قال لي إنها تتمتع بما أسماه « العداوة الطبيعية » وقال « إنها مثلي » .

أومأت «ماري»، غير أن غيظها كان يتصاعد. كيف لهذا المعالج النفسي المحترف ألا يلاحظ أن أوستن تلاعب به؟ كان يملأ دماغ «جاي» بأفكار عميقة عن الموت، وفي نفس الوقت لا يزال قاتلًا متسلسلًا يفرغ ما بداخله من أنا.

- لم يكن لديّ علم بقدر تأثيره فيك يا جاي . .. عذرًا حقًا.

- هذه ليست مشكلتك . .. ولكن بالتفكير بعض الشيء أقول إنها كانت بالفعل.

نظر إليها بغرابة:

- كدت أشعر بخيبة أمل عندما لم يقتلني. تلك النظرة كانت قوية لدرجة أنها وضعت خاتمة

لحياتي للأبد. كان عليّ أن أراها مجددًا.

- لا أعرف ماذا أقول لك.

- اعتدت أنا وأنتِ أن نتكلم عمّا حصل في تلك الغرفة، وأردت أن أسألك إذا ما رأيتِ تلك النظرة أيضًا.

- أنا شرطية يا «جاي»، رأيت موقفًا سيئًا يتصاعد. تصرّفت تلقائيًا لأحميك. لم أرَ ما رأيته.

وقف «جاي» وتفاجأت بأنه أمسك وسادة ووضعها بجانبها واسترخى بجوارها. شبك يده في يدها وأطلق صوتًا ضعيفًا راضيًا.

- أرجوكِ لا تظني أنني لم أقدّر ما فعلتيه، لأنه في بعض الأوقات والأيام عندما كنت مشغولًا وأعمل بكل طاقتي نسيت بشأن تيرينس ماركوس أوستن. كنت قد تحرّرت مما حصل. استمريت في العمل، والغريب أن أدائي كان جيدًا جدًا.

اقترب منها أكثر. حاولت « ماري » ألا تبتعد.

- ولكنكِ تعرفين كيف يعمل الهوس، أليس كذلك؟ ذكرى واحدة ضئيلة، شمّة واحدة من زجاجة، أو جرعة مخدر بسيطة، فتعودين إلى ما كنتِ عليه. كل ما في الأمر أنني لم أرَ تلك النظرة مجددًا. لا يهم كم قابلت من مجرمين، لم يكن أحدهم لديه تلك النظرة.

- لذا أخذت أبحث عنها.

أدركت « ماري » فجأة أنه لم يرد فقط أن يراها في الآخرين، بل في نفسه كذلك . .. أن يكون من يطلق تلك النظرة. كان قد عاش قريبًا من الموت وتجّار الموت طوال حياته العملية، ولكنه يبقى غريبًا عنه. لم يستطع أن يتعاطف فعلًا، كان يخمّن فقط، ولكن لم يكن هذا كافيًا بالنسبة له. وبعد أن شاهد عقل تيرينس ماركوس أوستن، أراد «جاي» أن يفهم حقًّا . .. أن يعيش التجربة.

- هل وجدت ما تبحث عنه؟

- لا.

أدركت « ماري » سريعًا أن هذا هو السبب الأساسي لحزنه. لقد قتل من أجل لا شيء. لم يكن هناك شيء. وكأنك تقتحم خزانة البنك المركزي البريطاني ولا تجد شيئًا.

- المرة الأولى، تلك الممرضة، جوليا هوب، كانت حادثة.

جاء صوته مسطحًا بدون مشاعر مجددًا، ولكن الاعتراف وقع على « ماري » كضربة مطرقة. لن يتركها ترحل أبدًا.

- كنت أرافقها سرًا لأكثر من شهر. بدا عليها أمارات اضطراب ذهني شديد. أردت أن أخضعها لتقييم نفسي. عرفت أن الأمر سيضايقها، ولكنها

ستتعامل مع الحقيقة.

تنهّد وقال:

- إلا أنها لم تتمكن. حاولت أن أهدئها، ولكنها غضبت جدًا وهاجمتني. دفعتها بعيدًا وسقطت وضربت رأسها.

- ولكنها لم تكن قد ماتت حينها، أليس كذلك؟

ابتسم وعصر يدها بعطف.

- انظري! لطالما فهمتيني يا «ماري». لا، معكِ حق. لم تمت حينها. ولكنني عندما رأيت كل تلك الدماء أدركت أنني أمام فرصة لأشعر ما شعر به أوستن، وتساءلت ماذا لو. ..

شعرت به يرتعد.

- عندما ماتت أخيرًا، أدركت أنني فهمت الأمر عن طريق الخطأ تمامًا. كان أوستن هادئًا كمركبٍ في مرساها عندما هاجمني، وأنا على النقيض تمامًا كنت أشبه بمجنون.

ضحك قليلًا:

- وبعدما تخلّصت منها في تلك الحانة المهجورة عرفت أن لا خيار أمامي إلا أن أجرّب ثانية. كنت قد عبرت الجسر وانتهى الأمر. .. لم يعد لديّ شيء لأخسره، كان عليّ أن أجد تلك النشوة المفقودة.

- لذا جعلت الأمر يبدو وكأن لدينا قاتل متسلسل في منطقتنا.

شعرت « ماري » وهي تطرح هذا السؤال بكثير من الشك، لأن «جاي» نفسه قاتل متسلسل، غير أنه لا يرى هذا.

- بالضبط. الغريب في الأمر أنني كان لديّ عددٌ كبيرٌ من النسوة اللاتي أردن أن يجربن تجربتي الخاصة، بابي المفتوح دائمًا، أسلوبي الحسّاس في الاستماع إليهن، وطبعًا توفيري اللامنتهي للعقاقير المضادة للاكتئاب من تحت الطاولة.

تمتمت «ماري»:

- كم رائع أن يكون لك هذا الخيار الواسع من الضحايا المناسبين! وقد درست المجرمين طوال حياتك، وخصوصًا فرانسواز ثابيه، قمت بتجهيز مسارح الجرائم. قمت بتجهيزها لنا فقط، أليس كذلك؟

رفع «جاي» نفسه فجأة، واستند على كوعٍ واحد، ثم التفت إليها حتى أصبح وجهه على بعد بوصاتٍ منها. امتلأ حماسًا:

- هل تتخيلين صدمتي عندما طلبت مني روث كروك المساعدة كاستشاري؟

ضحك وأردف:

- كان أمرًا سخيفًا للغاية! أرادت رأيي الاحترافي

في قتيلاتي. وعندما أخبرتني أن هناك شابًا مضطربًا يجوب الشوارع مصرًا على أنه ابن فرانسواز ثابيه ويعتقد أنه القاتل! حسنًا . ..

هزّ رأسه:

- كان أشبه بملهاة!

اكتسى وجهه بالجد فجأة:

- ولكن بالطبع، عندما عرفت أنكِ الرقيب الذي يحقق في هذه القضية، حينها فسد كل شيء يا «ماري». والآن لا أعرف كيف أتصرف.

نظر إليها متمعنًا وتحسّس خدها بظهر يده:

- كيف أتصرف معكِ؟

* * *

وقف « جاكمان » و«ماكس» و«تشارلي» صامتين في الظل ينتظرون.

هناك في مكتب المراقب، عندما سألت «روث كروك» ما إذا كان يعرف مكان « ماري » سمع « جاكمان » صوت «جاي بريستون » يرنّ في رأسه. كان الرجل يؤكد جدًا على أن يقنع « جاكمان » بأن « ماري » غادرت. فجأة أصبح كل ما قاله الطبيب النفسي خاطئًا. السوار واحتمال تعرضها لحادث . .. كل هذا مخططٌ له لتشتيته.

لقد أوقع « بريستون » بـ«ماري». خطط لهذا منذ سنين. قضم « جاكمان » على شفته السفلى. هل صعّد « بريستون » من هوسه بـ«ماري»؟ أم فعل شيئًا أسوأ؟

* * *

تجمعوا في حدائق الحي خارج المجمع السكني في هانسون. كان معهم فريق ببزاتٍ رسمية وشاحنة تحمل الوحدة المسلّحة تخرج رجالها على الطريق خلف الشقق.

قلقهم بشأن سلامة « ماري » جعل كلًا منهم يريد أن يفتح كل باب ويقتحم ويحررها، ولكن الخبرة تقول إن الموقف يتطلب أقصى درجات الحيطة. لم يعرفوا ماذا سيجدون. خطوة واحدة خاطئة ستجعل هذه آخر قضيةٍ لـ«ماري»، إن لم تكن هكذا بالفعل. كانوا جميعًا على علم بأنهم من المحتمل أن يعثروا في تلك الشقة على جثة لا مختطفة.

سأل «ماكس» بحصافة:

- هل نعرف مكان شقة «جاي» بالضبط؟

مال «تشارلي» إلى الأمام وفرد ورقة بها مخطط للمبنى:

- إنها الشقة ذات الحديقة. آخر بابٍ في الرواق. لها مخرج واحد ونافذة فرنسية تطل على الجزء

الخلفي.

- لدينا شرطي يغطيه.

جاء صوت « جاكمان » جافًا. كل شيء يمر ببطء شديد، ولم يكن أمامهم وقتٌ طويل. كل ثانية تشكل فرقًا.

- جاهزون لإشارتك يا سيادة المفتش.

وضع قائد الفريق المسلّح يده على ذراعه برفق:

- الضباط المسلحون كلهم في أماكنهم.

نظر « جاكمان » في الظلال. الرجال ذوو البزات السوداء في أماكنهم غير مرئيين. بنادقهم كلها موجهة لنوافذ شقة بريستون.

تحرك معه ثلاثة رجال مدرّعون بخوذات ومسدساتٍ جاهزة.

بلع « جاكمان » ريقه ثم تقدّم إلى الأمام.

- حسنًا . .. معي.

الفصل التاسع والعشرون

كان «جاي بريستون » يجلس على طرف الفراش. بدا متعبًا وشاحبًا.

- أظن أن مفتشكِ سوف يصل قريبًا.

- لا أعتقد، فهو لا يعرف أنك متورّط.

حاولت « ماري » أن تبدو مقنعة.

- إنه يقدّر رأيك. يقرأ أبحاثك، ونظرياتك، ويبدي إعجابه بعملك. لن يصدّق أنك متورط.

- حتى رأيتِ السكين في غسّالة أطباقي.

طبعًا! أرادت أن تضحك بصوتٍ مرتفع. فقد رأتها بالفعل، ولكنها لم تكن مسجّلة. كان يجب أن تكون مسجّلة. ما حاجة رجل لا يطبخ لسكين طاهٍ محترف؟ حاولت أن تبدو هادئة عندما قالت:

- أتعرف يا «جاي»؟ لم ألحظ هذا.

- لا تكذبي عليّ يا «ماري». كنتِ متوترة وتريدين الرحيل بسرعة. حدث هذا كله بعدما وضعتِ تلك الأكواب في غسّالة الأطباق.

- خطأ يا «جاي»، أردت فقط العودة للبحث عن « دانيل » و«سكاي». لا أحب التسكّع عندما يكون لديّ عملٌ يجب أن أقوم به.

فرك «جاي» عينيه وقال:

- حسنًا، أنا متأكد من أنكِ كنتِ ستفهمين الصلة قبل طلوع الفجر. عرفت أنني لن أخدعكِ طويلًا. أظن أنه قد حان الوقت.

نظرت « ماري » إلى الطاولة حيث يرقد المحقن.

- هل هذا لي؟ أم لكِ؟

أخذ نفسًا عميقًا:

- لن يؤلمك، وسينتهي الأمر سريعًا. هذه فرصتي الأخيرة، أعرف هذا. وأعرف أنها ستنجح هذه المرة. عندما أقتلك سأجد أخيرًا ما عرفه تيرينس أوستن. بعد كل تلك السنين من الاختباء في الظلام سأفهم حقًا.

حدّق أكثر:

- نحن مترابطان كثيرًا، وأنا متأكد أن هذا مهم. لطالما اهتممت بكِ يا «ماري». حتى ذلك الوقت الذي قضيته في الشمال، لم أنسكِ أبدًا. حتى عندما تزوجت «سارة».

ارتعد وأردف:

- تزوجتها لذكائها وعقلها الأكاديمي الفذ. ولكن لم تكن هناك صلة وثيقة مثل تلك التي أشعر بها معكِ.

- كيف ماتت؟

تساءلت ما إذا كان يجب أن تطرح هذا السؤال.

- كما قلت لكِ، تزوجتها لذكائها.

ضحك وأردف:

- حتى أصيبت بمرضٍ عقلي باكر .. كوميديا سوداء، أليس كذلك؟

- وهل أحببتها أيضًا؟

- هكذا أظن، من أجلي أنا لا من أجلها، ولكنها دفعتني إلى ذلك. خرجت أمام جرارٍ يجرّ حمولة من الشمندر السكري.

- هذا فظيع.

- وأفظع بالنسبة لسائق الجرار. الرجل الغلبان، قدمت له استشارة نفسية لشهور بعد الحادث.

شعرت « ماري » وكأنها أليس في بلاد العجائب، تتحدث بهدوء مع « هاتر المجنون ». .. ذلك القاتل الثلاثي الذي كان يعتني بالناس كثيرًا.

- ولكن الوقت يمر، عليّ أن أتخذ قرارًا نهائيًا وأنفذه. لا أريد أن يضطرني المفتش الماكر «روان جاكمان » إلى شيءٍ لا أريده.

وقف «جاي» وتوجه إلى الطاولة المجاورة للفراش، ثم عاد يحمل صينية وجلس بجوارها.

- أتعرفين أنني لم أخطط لهذا يا «ماري»؟

- أعرف هذا، ولكن يجب ألا ينتهي الأمر هكذا.

ضحك «جاي» بنعومة:

- بل يجب.

أوشك الوقت على الانتهاء، و«ماري» تعلم أنها ليست جاهزة بعد لتنقذ نفسها.

أين أنت يا «جاكمان»؟!

قالت «ماري»:

- هل لي أن أسألك سؤالًا؟

أومأ وعينه على المحقن.

- هل تحبني؟

أومأ «جاي» ببطء.

- إذًا دعني أعيش. دعني أحتفظ بذكرى ذلك الرجل والصديق والطبيب الطيب الذي حاول أن يساعد الكثيرين.

- أتتجاهليني بعدما تجاهلتِ تيرينس ماركوس أوستن؟

انفجر شيءٌ بداخل « ماري » فصاحت:

- اللعنة! فلتقتلني إذًا طالما ينبغي عليك، ولكنني أقول لك بأنك سيخيب أملك مرة أخرى، لأنك لن تشعر بما شعر به أوستن. أبدًا! لا يهم ما فعلت، فأنت لست بقاتلٍ بالفطرة على عكس أوستن. كان وحشًا، سفّاح أطفال وكبار. كان باردًا كالموت نفسه. لم يكن له قلب يا «جاي» على عكسك، لأنك قادر على أن تحب. لم تفُز قط، لن تجد تلك الصلة الغامضة الساحرة لأنها غير موجودة أصلًا! لو كان بإمكاني شيء لقلت لك أن تهرب، اهرب قبل أن يدرك « جاكمان » ما

يحصل.

قالتها بحزن.

- ولكن لا يمكنني، لا يمكنني أن أسمح لك بتعريض حياة المزيد للخطر. لقد طلبت مساعدتي، والآن ها أنا أساعدك. عذرًا يا «جاي»! ولكن إما تقتلني أو تتصل بـ«جاكمان» وننتظر حتى يأتي.

وقف متخشبًا والمحقن في يده وتحرك ناحيتها.

لسببٍ ما لم تشعر « ماري » بالخوف. شعرت بهدوء يجتاجها كما يجتاح الضباب الهواء. ربما حان وقتها. على الأقل ستكون مع بيل. نظرت إلى عيني «جاي بريستون » ورأت المعاناة الرهيبة والتلف الذي خلّفه عمله مع قاتلٍ لعين.

ابتسمت له «ماري»، ابتسامةً لا تعطيها إلا لصديقٍ مقرّب.

- لا تثريب عليك يا «جاي»! أعرف أنك أخذت القرار الصحيح.

- حسنًا يا «ماري» . .. لأن هناك طريقًا آخر.

مال ناحيتها ولثم شفتيها برفق ثم رجع إلى الخلف وضرب الإبرة بعمق في فخذه.

- لا!

صرخت «ماري».

- لا، ليس هكذا يا «جاي»!

نظر إليها بهدوء وهو يفرغ المحقن كله.

- أنت تفوزين يا «ماري»! قال « جاكمان » إنكِ على حقٍ دائمًا.

* * *

الفصل الثلاثون

كان « جاكمان » في طليعة الفريق المنتشر في الحي السكني لهانسون بارك. لم يكن بطلًا، ولكن الليلة مختلفة. « ماري » تحتاج إليه. لن يخذلها.

فيما ضربت القبضة الثقيلة الباب وكسرته قفز « جاكمان » بالداخل وصرخ باسمها. وقبل أن يدوّي جرس الإنذار في البناية كلها سمها تنادي عليه.

ركض ومن خلفه «ماكس» و«تشارلي» نحو مصدر صوتها.

كان المشهد في غرفة النوم الرئيسية وكأنه حكاية خيالية. المرأة الجميلة تتمدد على الفراش والعاشق الميت على الأرض بجوارها.

ولكن « جاكمان » لم يرَ إلا شيئًا واحدًا . .. «ماري» . .. وهي حية.

قال «ماكس»:

- اللعنة!

صرخ «جاكمان»:

- أحضر الأطباء واجعل أحدهم يسكت هذا الجرس اللعين.

- لقد مات!

همست « ماري » بحزن وهي تحدّق في جثّة «جاي بريستون». نظرت إلى « جاكمان » بعينين باكيتين.

- كان هو طوال الوقت . .. هل تصدق هذا؟

بدأ « جاكمان » يشد من أزرها:

- ظننت أننا سنكون متأخرين جدًا.

نظر إليها والأدرينالين يضخه نفسه بداخله بقوة.

- كان سيقتلك، أليس كذلك؟ كان يجب أن أكتشف الأمر مبكرًا. كان يجب أن أدرك. آسف جدًا يا «ماري».

- حقيقةً يا زعيم، سئمت من كثرة اعتذار الناس لي. طوال الساعة الماضية كان لديّ طبيبٌ بارز يعتذر لي لأنه مضطرٌ لقتلي، وهذا بعدما اعتذري لي عن تخديري بعقارٍ تسبب في شللي لأنه كان

حريصًا على أن يهتم بي.

فكّ « جاكمان » الوثاق الأخير وقاومت « ماري » حتى تقوم.

- كانت ليلة سوداء!

نظرت « ماري » إليه بغضب وانهارت باكية.

جلس « جاكمان » بجانبها وأخذها في حضنه.

- مهلًا، أنتِ بخير الآن. ولكن يجب أن نأخذكِ إلى مستشفى. أتعرفين أي عقارٍ أعطاكِ؟

هزّت رأسها ومسحت عينيها ثم أشارت إلى الصينية في نهاية الفراش.

- أعتقد أن المحقن المستخدم هناك مع القنينات الصغيرة.

تنهّدت بصوتٍ مرتفع ثم التفتت إليه وفتحت فمها فيما داهمتها فكرةٌ ما فجأة.

- «جاكمان»! دراجتي! كان قد أخذها، أين هي؟

- إمم . .. حسنًا، ألم تقولي إنها ليلة سوداء؟

تدخّل «ماكس»:

- استعدي للأسوأ يا سيادة الرقيب، دراجتك في بلاكلاند سلويس. لا، أكذب عليكِ . .. حقيقةً هي ترقد على ضفة النهر الطينية.

نظرت « ماري » إلى بريستون.

ابتسم «تشارلي»:

- لا أظن سيكون من الذوق أن تركلي جثته يا سيادة الرقيب.

اتسعت ابتسامته:

- ولكن هذا رأيي لا أكثر.

* * *

في سيارة الإسعاف جلست « ماري » على حافة النقّالة.

- أنا بخير يا زعيم. ألغِ موضوع المستشفى. أريد أن أخرج منها فحسب.

نظر « جاكمان » إلى المسعفين:

- كيف حالها؟

- علاماتها الحيوية ممتازة يا سيادة المفتش.

بدا المسعف ذو القبعة الخضراء المربوطة من الخلف متفاجئًا بعض الشيء.

- ولكننا غير مؤهلين لتقييم الآثار الجانبية أو ردود الأفعال المتأخرة لبعض العقاقير. أنصح بعمل فحصٍ طبيٍ شامل في الطوارئ.

- سمعتِ الرجل؟

- « بريستون » وعد بألا تكون هناك آثار جانبية يا زعيم. مجرد غثيان وبعض التقلصات. أتعرف ماذا؟ أصدقه.

نظرت إليه بيأس:

- أرجوك!

- لا يجب أن تكوني وحدك في البيت، ليس بعد كل ما رأيتيه.

أحست « ماري » أنه بدأ يضعف:

- انظر، لن يمكنني أن أطفئ الأنوار بعد كل هذا، أليس كذلك؟ خذني إلى قسم الشرطة. وإذا بدأت أشعر بسوء أعدك حينها بأن أذهب إلى المستشفى.

نظر « جاكمان » يائسًا إلى المسعف:

- تعرف أنني حاولت جاهدًا مجادلتها من قبل، ولم أفز مرة.

- يمكنك أن تستخدم رتبتك يا سيادة المفتش.

أشار المسعف إلى كتفه.

- يمكنني، ولكنني لا أريد أن أموت.

- حسنًا، لا يمكننا أن ندعها ترحل.

نظر المسعف إلى «ماري»:

- ولكن يجب أن أفهمك أن هذا يخالف الأعراف الطبية. عليكِ أن توقعي على إخلاء ذمة.

- لا تقلق. إذا ساءت الأمور لن أقاضيكم. شكرًا لك على فحصي.

وبعد أن وقّعت على الإخلاء سارت إلى سيارة « جاكمان » ويدها على كفته.

- عليك أن تستجوبني يا زعيم. أفضل أن يحدث هذا في أقرب وقت.

- دعينا نعود ونحضر لكِ قهوة قوية، ثم ننظر في الأمر.

* * *

وقف « كيفن » مهتزًا، بدا تائهًا للوهلة الأولى، غير قادر على استيعاب ما حدث أو أين كان. ارتج رأسه وقاوم رغبته في التقيّء.

عاد إلى حالته الطبيعية ببطء، كان في بيت «كيندر»، لم يكن من المفترض أن يكون هناك.

تحسّس جبهته بحذرٍ شديد وشعر بورم. تأوّه متألمًا وأغلق عينيه حتى يهدأ ألمه. فكّر في إصابة رأسه، هل فقد الوعي لمدةٍ طويلة؟ هل مرض؟ هل نزف؟ لم يظن ذلك، ولكن بعض من الضوء سيفيد. تحسّس الجوار بحثًا عن مصباحه، ولكن لم يعثر عليه. تذكّر سبب وجوده هناك، كان قد رأى مفتاحًا في الجدار من قبل.

دفع « كيفن » نفسه مستندًا على الجدار برأسه، ولذا شعر بدوار، ولكن بعد دقيقة أو اثنتين وجد المفتاح وأضاء القبو الصغير. تأوّه وأغلق عينيه. وعندما فتحهما فهم أين كان.

صعد درجة السلم التي تسبّبت في سقوطه، ثم نظر حوله. كان هناك أرفف مليئة بالصناديق والحاويات البلاستيكية بداخلها مواد كيميائية للمسبح ومواد منظفة، وكومة من الأغراض المهملة الأخرى. وجد مقاعد مطويّة للمساحات الخارجية تستند على كومة من الأكياس مليئة بفحم الشواء. تكوّمت مظلّات ملونة وعدد من الكرات ومضارب الكروكيت فوق بعضها في زاوية. كل شيء مُغطّى بالتراب والوسخ.

جلس « كيفن » على طاولة حديقة قصيرة على شكل برميل وحاول التفكير في التالي. شعر بسوء شديد. كانت رقبته متيبّسة من الضربة التي تلقاها عندما اصطدم رأسه بالجدار. آلمته أسنانه عندما اصطكت ببعضها، اشتد عليه ألم رأسه كثيرًا. ولكنه كان قد وضع لنفسه هدفًا ومن الغباء أن يبتعد الآن بما أن هذا هو المكان الأخير الذي يجب تفتيشه.

وقف « كيفن » متأوهًا بصوتٍ خافت وبدأ يجوب الغرفة بحذر. وقبل نصف خطوة شاهد دمًا. لم يكن كثيفًا، مجرد مسحة. تحسّس جبهته ثم نظر إلى أصابعه. كانت جافة. صحيح أن بشرته

ملتهبة ومتورّمة، ولكن غير مصابة.

اقترب أكثر من بقعة الدم الداكنة البنيّة المحمرّة التي لطّخت صندوق ورق مقوّى. مدّ يده بدون تفكير داخل جيب بنطاله وسحب زوجًا من القفازات الواقية. ارتداهما وفتح الصندوق بحرص.

داهمته رائحة الدم المعدنية على الفور. الصندوق، الذي كان يومًا مليئًا بأكياس السناكس المقرمشة، كان معبئًا بملابس دامية. رفع جانبًا من القماش بين إبهامه وسبابته ورأى أنه قميص محمرّ. أسفل منه بنطالٌ رياضي مبقّع وقميصٌ أسود وأشياء أخرى.

أخذ « كيفن » نفسًا عميقًا. والآن، ماذا يُفترض عليه أن يفعل في هذا اليوم الطويل؟ كان جزءٌ منه يشك أنه سيعثر على هذا، وقد حدث . .. شعر بفراغٍ بارد. لن يفلت مجددًا باتصالٍ مجهول الهوية بما أن هذا دليلٌ دامغ.

تنهّد وقرّر أن هناك شخصًا واحدًا ظنّ أنه يقدر على مساعدته. وضع الغطاء على الصندوق برفق وجلس على الطاولة القديمة ثم سحب هاتفه من جيبه. شغّل الهاتف وأسند ظهره على جدار القبو وراقب الهاتف فيما كان يبحث عن إشارة. تحرّك « كيفن » شيئًا ما، كان هناك أنبوب مياه يدفع كتفه بإزعاج، عدل جلسته واستمع.

أصوات؟ مال رأسه إلى جانبٍ واحد، ثم حرّك أذنه بالقرب من الأنبوب.

تمكّن رغم صداعه الصارخ داخل رأسه من سماع أصوات همس تأتي من مكانٍ ما أعلى السلم. ارتعب عندما عرف أنه ليس وحيدًا في البيت. لو كان هذا فريق شرطة آخر فسيكون في حيص بيص، ولكن إذا كان صاحب الملابس الدامية فإنه سيكون في وضعٍ أسوأ بكثير.

ندم أشدّ الندم على أنه غادر بيته من الأساس، وقرّر أن يعود إلى الحديقة ليرى ما إذا كان فريق المراقبة يتمشّى حول المبنى كالعادة، ثم، مهما حصل، سيعود إلى أمان سقيفة الحافلات ليجري مكالمته.

خفق رأسه مع كل خطوة، ولكن سرعان ما وصل إلى المساحة الخارجية يتنفّس هواء الليل الطلق. عمّ الهدوء الأرجاء. لا أضواء في البيت ولا شرطيون يجوبون ذلك المكان من الحديقة المُهملة. تسحّب حول جانب المبنى ورأى سيارة الشرطة، ما زالت ثابتة وما زال الشرطيان المضجران بداخلها.

من كان في البيت إذًا؟

حدّق في النوافذ الداكنة وارتعد. لم يقوَ على الانتظار حتى يعود إلى الطريق ويجري مكالمته، ولكنه سيبتعد كثيراً عن البيت بما يكفي لعدم

سماعه يتكلم.

عاد إلى الشجيرات ناسيًا ألمه، ثم قفز من فوق السور الحدودي وهبط رابضًا. فتح هاتفه واطمأن لمّا وجد الإشارة قوية.

همس:

- هيا! هيا! هيا! لأنني لسببٍ ما مرعوب . .. مرعوب حقًا.

* * *

فيما قاد « جاكمان » السيارة إلى القسم رأى أن «ماري» قد بدأت تهدأ. كانت أقوى امرأة عرفها، وقد بدأت للتو تبدي أمارات « ماري » القديمة.

جلس «ماكس» و«تشارلي» في المؤخرة، ساعد مزاحهما المستمر وقفشاتهما الساخرة على تخفيف التوتر.

كان « جاكمان » قد أخبرهما للتو عن مكالمته التي تلقّاها من «سكاي»، حينها دوّت رنة هاتف الجديدة – سرينة الشرطة.

تمتم «جاكمان»:

- أتمنى لو غيّرت هذا . .. نسمع ما يكفي منها.

أضافت «ماري»:

- أفضل الإصدار الشعبي لأغنية «Any old

iron» .

تأخر «ماكس» على الرد على الهاتف وبعد بضع همهمات وغمغمات اتفاق قال «ماكس» أخيرًا:

- صحيح يا رفيق . .. اسمع، ابق هناك. أنا مع الزعيم الآن وسنكون عندك في خلال دقائق، اتفقنا؟

أغلق «ماكس» الخط ووضع يده على كتف «جاكمان»:

- يا زعيم، يجب أن نتوجه إلى بيت كيندر حالًا. هناك شخصٌ بالداخل، ولكن لا أضواء. أيًا من كان بالداخل فإنه بدون علم فريق المراقبة بالخارج.

أبطأ « جاكمان » على الفور:

- من اتصل بك؟

أخذ «ماكس» نفسًا سريعًا وقال:

- الشرطي « كيفن ستونر» يا سيدي. كان يتتبع حدسًا ما رغم أنه موقوف عن العمل حاليًا.

- فيم يفكّر بحق الجحيم؟ الغبي المتخلّف!

- إنه شابٌ رائع يا سيدي، سيوضح كل شيء عندما نصل.

- ولماذا لا يستطلع فريق المراقبة بالخارج؟ ربما

يكون « دانيل » بحق الجحيم! لدي إحساس أن « سكاي » أخبرته أنه ليس القاتل، لذا ربما عاد إلى البيت ليحاول جمع شتات نفسه.

لم يقتنعوا بكلام «جاكمان».

- لا أضواء؟ وتخطّى ضباط الشرطة بدون علمهم؟ أشك في ذلك!

قال «ماكس»:

- الأمر معقد، ولكن إذا كانت سيادة الرقيب مستعدة . .. « كيفن » يثق بكِ، كما أنه متأكد من أن هناك خطبًا ما.

نظر « جاكمان » إلى «ماري»:

- هيا بنا. أحتاج إلى شيء يشغل عقلي عمّا حصل. هيا الآن.

أخذ « جاكمان » أول التفاتة وأسرع عائدًا عبر الطريق الرئيسي باتجاه النهر.

- حسنًا، «ماكس». أفهم أنك تفضل عملًا ناعمًا؟

- « كيفن ستونر» سيقع في مشكلةٍ كبيرة إذا عرف القسم ما كان يصبو إليه. كان يختبئ في حديقةٍ أحد الجيران، ولكنه سيسلك طريقه إلى سقيفة حافلات عند تقاطع الطريق. سيقابلنا هناك.

- حسنًا، سنسمع ما لديه، ثم أبلغ الشرطيين

على الطريق وسنذهب لتفتيش البيت.

نظر إلى « ماري » وقال:

- ما زلت غير متأكد بشأنك. المسعفون يرون أنكِ يجب أن تبقي بالمستشفى لا بالخارج تبحثين عن مقتحمين.

ابتسمت « ماري » متفاخرةً:

- ألا تذكر عندما قلت إنك لن تفوز بجدالٍ معي؟

- نعم، ولكن . ..

قال «ماكس» من المؤخرة:

- انس الأمر يا زعيم، ستخسر هذه المرة أيضًا.

تدخّلت «ماري»:

- إنه محق، فقط قُد السيارة، فلديّ أيضًا شعور غريب حيال هذا الأمر.

أوقفوا السيارة في الطريق الرئيسي وساروا إلى حيث انتظر « كيفن » في الظل.

دمدم «جاكمان»:

- يُستحسن أن يكون الأمر يستحق يا «ستونر»! ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟ وكيف أصبت بهذا الورم الكبير في رأسك؟

- هذا لا شيء يا سيدي. انظر، عندما كنت داخل

البيت تذكّرت ماذا قال بعض الزملاء عن « دانيل كيندر». إنه ربما كان في البيت عندما أغاروا ليقبضوا عل درو ويلسون وعصابته.

تساقطت الكلمات من فم الشرطي الشاب.

- ثم تساءلت، إذا كان هذا صحيحًا، فماذا كان يفعل هناك؟ فمن المفترض أنه أخذ حبوب منومة في بيت « سكاي وينيارد»، أليس كذلك؟

أومأ «ماكس»:

- هذا ما قاله للضباط عندما اتصلوا به ليخبروه عن الاقتحام.

أضاف «تشارلي»:

- إذًا، إما كان كاذبًا أو داهمته واحدة من نوباته.

- وإذا كان كاذبًا، فما السبب؟ إلام كان يخطط؟

حدّقت « ماري » في الطريق المؤدي إلى بيت كيندر.

قال «كيفن»:

- هذا ما فكرت فيه يا سيادة الرقيب. ورغم أنني أعرف أن البيت خضع للتفتيش عندما بحثتم عن «كيندر»، إلا أنني فكرت في التسلّل وإلقاء نظرة عن كثب على المباني الخارجية لأرى ما إذا كان يخبئ شيئًا.

سأل «جاكمان»:

- مثل ماذا؟

نظر « كيفن » إليه متمعنًا وقال:

- ماذا قد يخبئ قاتلٌ محتمل؟ فكّرت إما سلاحًا أو ملابس دامية.

- ولكنه ليس القاتل. لم تكن تعرف هذا يا «ستونر». القاتل لدينا . .. تم كشفه والتعامل معه قبل بضع ساعات على يد الرقيب «إيفانز» هنا. ولذا لست متعجلًا نحو البيت ومعي القوة. « دانيل » ليس بقاتلنا.

فتح « كيفن » فاه مصدومًا:

- ولكن . .. ولكنني وجدت ملابس دامية يا سيدي. هناك صندوق مليء بهم، في قبوٍ صغير أسفل غرفة المسبح الساخن.

أخذ نفسًا وأضاف:

- وسمعت همسًا عبر نظام أنابيب المياه قادم من أعلى الدرج. هناك شخصٌ ما بالتأكيد يا سيدي. وبالتالي، أظن أن نظام الإنذار غير مفعّل.

نظر « جاكمان » إليه مفكرًا:

- حسنًا، يُستحسن أن نرى ماذا هناك. عد أدراجك يا «ستونر»، لقد تعبت بما فيه الكفاية. سأقول للفريق بالخارج أننا تلقينا مكالمة من

شخص يقول إنه رأى متسللًا.

تنهّد وأضاف:

- لكن علينا أن نتكلم طويلًا لاحقًا أيها الشاب. وبالمناسبة، اعتنِ برأسك هذا، ربما تكون مُصابًا. اذهب الآن.

ابتسم « كيفن » راضيًا وقال:

- شكرًا لك، سيدي. لا أعبّر لك عن مدى امتنـ...

قاطعه «جاكمان»:

- اللعنة يا «ستونر»! لدينا ما نفعله.

استدار « كيفن ستونر» وأومأ شاكرًا «ماكس» ثم أسرع نحو الظلام.

* * *

جلس « دانيل » على أرضية الغرفة العليّة وحدّق بصمت في سكين المطبخ طويل الشفرة الراقد على حجره.

في مقابله جلست « سكاي » القرفصاء تسند ظهرها على الجدار البعيد. لم يكن لديها فكرة عن الوقت الذي قضياه هناك، ولكنه يبدو أنه وقتٌ طويل.

كانا قد سلكا طريقهما إلى البيت بعبور حدائق الجيران والتسلّل إلى الباب الخلفي غير المُراقب.

صعود الدرج إلى الغرفة العليّة في ظلامٍ دامس جعل قلب « سكاي » يخفق بقوة، ولكنهما لم يجرآ على تشغيل الأنوار أو استخدام مصباح لتجنّب جذب انتباه الجالسين في سيارة الشرطة.

لم يتحدّث « دانيل » بكلمة منذ وصولهما إلى البيت. عرفت « سكاي » أنها يجب أن تكون أذكى مما كانت عليه لتحفظ دانيلها العزيز المُحطّم من فعل أي شيءٍ يندم عليه بشدة.

استجمعت شجاعتها لتتكلم بطريقةٍ أو بأخرى. دعت أن تكون قد اختارت الكلمات الصحيحة.

- تحدثت مع «روبي»، إنها في طريقها لتصبح معك يا «دانيل»، ولكنها أخبرتني بشيء مهم جدًا، وتريد أن تخبرك إياه.

كان صمته قد يعني أي شيء، لذا استمرت:

- إنها تعرف كل شيء عن أمك الحقيقية يا «دانيل» . .. ليست فرانسواز ثابيه.

رأت « دانيل » يرتعد في ظلمة الغرفة الكئيبة، ثم سمعته يضحك ضحكةً مكتومة . .. ارتعدت هي الأخرى.

- أخبروكي أن تقولي هذا، أليس كذلك؟ الشرطة . .. أخبروكي أن تقولي هذا لتقنعيني أن الأمر كله داخل دماغي.

مجددًا تلك الضحكة الشريرة . .. ثم قال:

- عرفت أنهم سيفعلون هذا، يا لهم من بلهاء!

- الشخص الوحيد الذي طلب مني أن أتكلم هو «روبي». لم تكن لتكذب عليك!

بصوتٍ أكثر جديّةٍ قالت:

- أخبرتني الشرطة أن أبقى بعيدًا عنك يا «دانيل». لا يريدون مني أن أتكلم معك أبدًا.

- ربما معهم حق.

مرّر إصبعه على طول شفرة السكين:

- ربما كان يجب أن تنصتي لهم يا «سكاي».

- عليك أن تعرف الحقيقة، وأريد أن أكون الشخص الذي يخبرك عن طفولتك.

أخذت نفسًا عميقًا:

- لأن الخبر ليس سعيدًا حقًا.

- إنك تضيعين وقتك يا عزيزتي.

أطلق ضحكة طويلة:

- لأن «جاي بريستون » أخبرني بكل شيء أريد أن أعرفه. أنا مُصاب بنفس حالتها . .. نفس حالة فرانسواز ثاييه . .. إنها تجري في دمي.

ضحك بحدة:

- حرفيًا.

تحوّل صوته إلى ما يشبه الهمس:

- كما أن لدي نفس النزعة إلى القتل. قال إنه سيساعدني، ولكننا جميعًا نعرف أن الوقت تأخر. الوقت تأخر فعلًا لثلاث نساء . .. وربما أنتِ.

صرخت في وجهه:

- فرانسواز ثابيه ليست أمك! أمك اسمها لوسي كاريك وكانت قاتلة أيضًا إذا أردت أن تعرف. قتلت أخويك وحاولت أن تقتلك أيضًا!

ها هي ذا، أخيرًا خرجت! لا مجال لحديثٍ لطيفٍ وحريص مثلما خطّطت، قيلت له الخبر بالصراخ ببساطة. وها هي في موجة غضب لا يمكنها أن تتوقف:

- لهذا لديك تلك الفجوات في ذاكرتك. لهذا أنت مضطربٌ يا «دانيل». أغلقت عليك سيارة معبّئة بأول أكسيد الكربون! كنت على وشك الموت! وبعدها ظللت مريضًا لسنين. اسأل «روبي»! اسألها! ستحكي لك القصة الحزينة كلها!

شعرت « سكاي » فجأة وكأن جسمها كله فرغ من الهواء، وكأن لم يتبق لها شيئًا لتعطيه.

- أنتِ تكذبين . .. بالتأكيد تكذبين!

أمسك السكين بيديه واهتزّ إلى الأمام وإلى الخلف.

- بالتأكيد تكذبين!

أرادت « سكاي » أن تهزّه، وأرادت أن تحضنه أيضًا، ولكن أرادت أن تبكي أكثر. وكذلك فعلت! لم تكن تعرف ماذا سيفعل، وفي تلك اللحظة لم يكن يفرق معها. خرج الأمر من يدها.

* * *

أوضح « جاكمان » لفريق المراقبة موجزًا لأسباب قدوم فريقٍ كامل من المحققين في دوريتهم بسبب بلاغ بسيطٍ بوجود متسلّل. ولكنهم لم يشكّكوا في الأمر لحسن حظ «جاكمان». لم يؤمروا بالانسحاب قبلها ولم يعرفوا بالمستجدات وما زال هناك قاتلٌ متسلسلٌ بالخارج. قد يأتي نصف رجال شرطة فينلاند ولن يقلقهم هذا.

سأل «جاكمان»:

- ألديك مفتاح؟

- نعم يا سيدي، كنا نفتش البيت كل بضع ساعات. وهذا هو رمز جرس الأمان.

سلّم « جاكمان » قطعة ورق.

- حسنًا، قوما بتغطية ظهر البيت. أحدكما يأخذ باب المطبخ الخلفي والآخر يأخذ غرفة الحديقة.

سيدخل أربعتنا من الأمام . .. خذا حذركما يا شباب.

كان «ستونر» على حق، فالجرس غير مُفعّل، وهو ما أقلق «جاكمان». نظرة واحدة على فريقه أخبرته أنهم وصلوا إلى نفس الاستنتاج . .. أحدهم كان، أو ما زال، في بيت كيندر.

تسللوا في صمت إلى البيت، دخلوا غرفة تلو الأخرى يهمسون: « لا شيء! » كلما وجدوا الغرفة فارغة.

بعدما انتهوا من تفتيش غرف النوم أخذت « ماري » يده وتمتمت:

- بدأ الأمر كله هنا، أليس كذلك؟

أشارت ناحية السلّم المؤدي إلى العليّة.

- وسينتهي الأمر كلها هنا، أليس كذلك؟

- هناك طريقة واحدة لنعرف.

خطت « ماري » إلى الأمام وصعدت أول درجة، لكن « جاكمان » أوقفها.

- ليس هذه المرة.

التفّ حولها وتقدّم نحو الغرفة العليّة.

لم يكن الباب مغلقًا. انفتح بسهولة وارتدّ بلا صوتٍ تقريبًا.

في ضوء القمر اللامع عبر النافذة الناتئة رأوا « دانيل كيندر » يجلس مستندًا بظهره على الجدار الذي كان يومًا معرضًا لفرانسواز ثاييه. نامت « سكاي » في حضنه.

كان ذراعاها يلتفّان حوله ورأسها يرقد على كتفه. سكينٌ فظيع طويل الشفرة ملقى أمامهما. لاحظ « جاكمان » بقعة مقلقة داكنة لشيءٍ مبلّل ينتشر عبر الغرفة.

- مرحبًا!

جاء صوت « دانيل » ناعمًا. ابتسم بضعف وقال:

- « سكاي » كانت تحكي لي حكاية.

- وهي حكاية حقيقية يا «دانيل». لقد سمعت ما قالته «روبي».

حاول « جاكمان » أن يحافظ على صوته ثابتًا رغم أنه لم يرتح لصوت « دانيل » البعيد.

- لا بأس يا سيادة المفتش.

قامت « سكاي » ولكن لم تفلت « دانيل » ولو للحظة.

- « دانيل » يعرف كل شيء. إنها يحاول فقط أن يستوعب. كانت صدمة مهولة، يبدو أن ذراعه ينزف. أظن أننا يجب أن نحصل على رعاية

طبية له.

نظرت إلى « ماري » بقلق بدون أن تغير نبرة صوتها:

- ولكن هناك شيئًا يجب أن تعرفوه عن «جاي بريستون».

بلعت « ماري » ريقها بصعوبة، تعبيراتها تقول إن هناك شيئًا ما صغيرًا لم تعرفه بشأن ذلك الرجل.

- « بريستون » مات يا «سكاي». كان مسؤولًا عن مقتل النسوة الثلاث.

ارتعد «دانيل»:

- لم آذهم إذًا؟

ارتفع صوته:

- ولكن «جاي» أخبرني . ..

راح صوته.

قال « جاكمان » بلطف:

- «جاي بريستون » كان يحاول توريطك يا «دانيل». أنت لم تأذِ أحدًا أبدًا.

- صدّقته . ..

نشج « دانيل » فجأة ثم بدأ جسمه كله يرتعد

وأغرقت الدموع وجهه.

- صدّقته.

تمتمت «ماري»:

- خطأ وارد كما اتضح . .. أقول لك هذا من منطلق كوني كنت الضحية التالية على قائمته.

أمر « جاكمان » «ماكس» بإحضار المسعفين، ثم ارتدى قفازًا وانحنى وأخذ السكين. لا يزال لا يثق تمامًا بـ«دانيل كيندر» بالقرب من أغراضٍ حادة.

الفصل الحادي والثلاثون

كانت « ماري » قد وضعت قائمة شخصيات لتتصل بهم. أحبت تنظيم الأشياء وقرّرت أن تقضي الأيام القليلة الأخيرة من التحقيق في استيضاح النهايات المفتوحة.

تصفّحت القائمة ولم يتبقَ إلا ثلاثة أسماء. رسمت خطًا على «مارك دوناند». كانت قد رأته قبل أيامٍ معدودات وارتضت بالأسئلة البسيطة القليلة التي كانت تحوم حوله. كما تأكدت أن عمله في الاستيراد نظيف، لا مخدرات، ولا شيء غير قانوني على الإطلاق، واهتمامه بسكاي كان كما اعتقدت حب بلا مقابل . .. حبيبة صديقي وكل هذه الأمور.

- من التالي؟

التقطت الهاتف واتصلت بالرقم التالي . .. أجاب بيتر هودر بعد رنتين.

- وعدتك بأن أخبرك إذا ما كان « دانيل كيندر » ابن فرانسواز ثابيه يا سيدي، ويسعدني أن أخبرك أنه ليس كذلك.

أعطت هودر العناوين الرئيسية للقصة.

أطلق ضحكة مرتعشة:

- لطالما آملت أن يكون موتها سببًا في أن يكون العالم مكانًا أكثر أمانًا يا «ماري»، ولكن بطريقةٍ ما تمكّنت من تلطيخ حياة ذلك الشاب، حتى من قبرها.

- لذا أفترض أنك لم تغيّر رأيك حيال استعادة مذكراتك القديمة؟

- بالطبع لا! لقد ارتحت كثيرًا لمجرد أنها خرجت من حياتي. صحيح أنني لن أتحرّر منها كليةً، ولكنها ابتعدت عني بعض الشيء.

تحدثا قليلًا، عن الدراجات النارية عامةً، ثم تمنى لها دوام الخير وودّعا بعضهما.

حوّلت « ماري » انتباهها إلى نسخة مجلة (Motorcycle News) الراقدة على مكتبها. كانت قد باعت دراجتها الكوزاكي المُهشّمة لشرطي شاب أراد إعادة بنائها وتخلّصت من طاقم سباقها الجلدي. كلما وقعت عيناها على المعطف

الأسود والأخضر رأت تقاسيم «جاي بريستون » المقلقة وهو يجذبه.

لذا، يبدو أن الوقت قد حان لشيءٍ مختلف تمامًا. حدّقت، باشتهاءٍ تقريبًا، في صورة دراجة سوزوكي في-ستورم 650 كهربائية سوداء وزرقاء. كانت جميلة جدًا، ولكن هناك أيضًا دراجة سوزوكي جلاديوس قرمزية وسوداء. تصفحت المجلة ولكن حجبتها عندما وقعت عيناها على هيكل دراجة أحمر دامٍ. لقد أخذت كفايتها من الدم مؤخرًا. تحسّست صورة الدراجة الزرقاء اللامعة.

- يبدو أنكِ المنشودة يا جميلتي.

نظر «ماكس» من فوقها وكشّر لما رأى صورة الدراجة اللامعة:

- صوتك مخيف كجولوم وهو يقول « الغالي! ».. ألم تفكري يومًا في سيارةٍ آمنة؟

اكفهرّت في وجهه:

- اغرب عن وجهي يا «كوهين»! سأحتاج واحدة فقط عندما أصبح عجوزًا بتجاعيد.

رسمت خطًا على اسم «بيتر هودر»، ثم نظرت في قائمتها مجددًا . .. الاسم الأخير لأوراك.

ساعدتهم عبقرية تكنولوجيا المعلومات في كل المواقف. ظنّت « ماري » أن لا أحد تكبّد عناء

توجيه الشكر لها. ابتسمت « ماري » لنفسها وأخذت صندوقًا ملفوفًا بعناية من درج مكتبها. وقفت ثم لمحت باب مكتب « جاكمان » المُغلق بإحكام. علمت أنه يتوقع زيارة من «ليزا هيرلي» وطلب ألّا يزعجه أحدٌ لمدةٍ ما. طبيعي! مجددًا تجنّب عناء رحلةٍ إلى عالم أوراك السفلي.

وجـــدت «أوراك» فـــي مكانـــها المعتـــاد موصّلـــة بحـاسوبها.

- أرجو ألا تتضايقي . .. لكن أردت أن أقول لكِ شكرًا. عملك كان لا يُقدّر بثمن بالنسبة للتحقيق.

وضعت الصندوق الملفوف بشريطٍ فضي على مكتبها.

نظرت «أوراك» إليها بعينيها الغريبتين بلمعةٍ معدنية اللون تنعكس من ضوء شاشتها. فتحت الهدية بدون كلام وحدّقت في القرطين الحديثين المصنوعين يدويًا.

- اجلسي لو كان لديك وقت.

جلست «ماري».

قالت فيما لم ترفع عينيها عن القرطين:

- لقد وجدت صناديق الأدلة المفقودة من قضية فرانسواز ثابيه.

اتسعت عينا «ماري»:

- حقًا؟ أين هم؟

نظرت أوراك سريعًا في ساعتها:

- في أ- 17 بالقرب من سوق كينجز لين. ستكون لديك في خلال ساعة ونصف إذا كان المرور جيدًا. كانوا في نورفولك في مرفقٍ غريب يُستخدم للقضايا المغلقة القديمة.

ابتسمت لـ«ماري» ابتسامةً نادرة:

- ليس وكأنني أعتقد أنك تحتاجينها الآن.

- بالتأكيد ليس من أجل ما احتجت، ولكن يجب أن تبقى في مكانٍ آمنٍ. الوثائق والأدلة حسّاسة ويجب ألا تضيع أبدًا.

- هل تظنين أنكِ ستقرأين مذكرات القضية؟

ارتعدت «ماري»:

- لقد قرأت مذكرات «بيتر هودر» يا «أوراك». كانت كافية بالنسبة لي.

أومأت «أوراك»:

- أعترف أنني شخصيًا صُدمت من الأمور التي اكتشفتها.

تحسسّت أحد القرطين برفق وقالت:

- ذكّرتني بذكريات سيئة للغاية.

نظرت « ماري » إليها باستغراب. كلماتها غريبة، كما أن «أوراك» لا تحدث أحدًا بطبيعية.

نظرت إلى «ماري»:

- في عالمٍ آخر كان لدي تعاملات مع أشخاص قاسين. رأيت رجالًا، عند عمد وبدون ضمير، يأخذون حياة ناس ويعذبون ناسًا. ورغم ذلك كانوا يفعلونها من أجل ما يؤمنون به، لأغراض أو من أجل المنظمات التي ينتسبون إليها. ولكن فرانسواز ثاييه فعلتها مبتسمة، وكانت تدفئ يدها في دمائهم البريئة . .. أمرٌ لا يُصدّق!

أومأت «ماري»، ثم أخذت ذراعها وقالت:

- ماذا فعلتِ في تلك الحياة الأخرى؟

- أشياء أفضّل أن أنساها.

رأت « ماري » أنها ربما ضغطت عليها أكثر من اللازم، ربما بكثير، ولكن «أوراك» قالت فجأة:

- جلبوني من مسرحٍ ما عندما قام أحد هؤلاء الذي أتكلم عنهم بتعميتي بخنجرٍ في عيني اليسرى مباشرة. كان على بعد سنتيمتر واحد من اختراق دماغي.

مال رأسها إلى الأمام وسحبت الغطاء وخلعت عدستها من أسفل عينها ثم نظرت إلى «ماري».

جلست « ماري » صامتةً مندهشة. كانت قزحية

عين «أوراك» اليسرى وقرنيتها مسودتين تقريبًا، وكأنها عين قرشٍ باردٍ ميت.

- تهتّك سمك القرنية بالكامل يا سيادة الرقيب. ليس جميلًا. لذا، أعلم بالتأكيد أن هناك بعض الناس غير اللطيفين بالخارج.

ضحكت «أوراك» ببرود:

- ولكن ليس أنتِ، حضرة الرقيب « ماري إيفانز»، أنتِ في الجانب المقابل تمامًا. هذا أولًا.

نظرت إلى هديتها:

- وهذان جميلان . .. شكرًا لكِ.

وقفت «ماري»:

- إنهما من « جاكمان » أيضًا، ولكنه مع أحدهم في مكتبه حاليًا و...

فجأة لم ترد أن تصنع له أعذارًا واهية، لذا ارتعشت واكفهرّت.

ضحكت «أوراك» في صمت:

- كم أحب إغواء «جاكمان»!

ارتدت عدستها مجددًا وقالت:

- قبل أن تذهبي، هناك أمران . .. أولًا، أحب استفزاز من أحبهم . .. ثانيًا، لا تخبري أحدًا بما حدث لي.

توقفت برهة ثم أضافت:

- وإلا سأضطر لقتلك!

عادت إلى حاسوبها مجددًا، ومن جديد ظهرت آلاف الأعداد على شاشتها.

* * *

أسند « جاكمان » ظهره في مقعد نقيبه واستمتع ببضع لحظات من السلام. كان باب مكتبه مغلقًا، ولأول مرة لا أحد يطلب شيئًا منه. حدّق في الكرة الأرضية المصنوعة من الحجر الكريم على مكتبه. لم تكن جميلة فقط، بل أنيقة أيضًا. مرّر أصابعه برفق فوقها متأملًا صبر الحرفي الذي أبدعها. كل دولةٍ محفورة بحجارة مثل اليشب والعقيق واليشم وعين النمر. المحيطات من حجر أم اللآلئ وخطوط الطول ودوائر العرض من أسلاكٍ لامعة مطويّة. تقوم الكرة على قاعدةٍ نحاسية تأخذ مكانًا فخورًا على يمين المكتب. دفع الكرة وجعل العالم يدور برفق. لو أن كل شيء بهذه البساطة!

فيما كان « جاكمان » يشاهد المحيط الهادي يمر أمام ناظريه ومن بعده تظهر الأمريكتان سمع طرقة على بابه.

- هناك من يريد مقابلتك يا زعيم.

ارتد «ماكس» وفتح الباب لليزا هيرلي لتدخل.

قفز « جاكمان » ورحّب بها وسحب مقعدًا.
جلست برفق على المقعد ولوت قسمات وجهها.

- أما زلتِ تشعرين بألم؟

- غير مرتاحة إطلاقًا . .. ولكن نظرًا لكل شيء، فإن هذا مجرد نقطة في محيط، أليس كذلك؟

- بل أكثر بكثير يا «ليزا». كاد يقتلك!

- أحاول عدم التفكير فيما كان سيحدث أو الاحتمالات الواردة الآن. أعتبر نفسي محظوظة فوق الوصف.

نظرت إليه بابتسامةٍ متسائلة:

- بخلاف رقيبتك، « ماري إيفانز» . .. أتفهم هذا.

أومأ جاكمان:

- نعم، ربما تنشآن معًا ناديًا للناجين.

ابتسمت «ليزا» وأومأت:

- ربما يجب ذلك.

تحوّل تعبيرها إلى الجد وقالت:

- جئت هنا لأشكرك على عنايتك واهتمامك بـ«سكاي»، ولأستسمحك أن يبقى سر أنها ابنتي الطبيعية بيننا. إنها سعيدة تمامًا مع أسرتها، ومع «دانيل»، ولم أكن أنتوي أبدًا أن أخبرها

بشأني.

- اطمئني.

مال « جاكمان » إلى الأمام مستندًا بكوعيه على المكتب وأضاف:

- لن نخبر أحدًا، لا أنا ولا «ماري». أنتِ رئيستها المباشرة في المستشفى وصديقتها الحنون، وفقط.

قالت «ليزا» والدموع تكاد تداهمها:

- على الأقل تمكنت من مساعدتها عندما احتاجت لمن يساعدها. إنها فتاة جميلة وأنا فخورة بها جدًا.

أخرجت منديلًا من جيبها وربتت على عينيها.

سأل «جاكمان»:

- أمن قبيل المصادفة أن تعملا في نفس مجال الرعاية الطبية؟ أثارني الأمر منذ علمنا بشأنك.

- أوه، لا. كنت في إدارة الأعمال لدى شركة رعاية طبية خاصة كبيرة. وعندما تتبعت أثر « سكاي » أخيرًا واكتشفت أين تتدرّب انتقلت لمنصبٍ في إدارة المستشفى. وعندما استقرّت « سكاي » أخيرًا في مستشفى سالترن العام انتقلت إلى منصبٍ جديد هناك كمدير للتعيين في قسمي العلاج الطبيعي والعلاج الوظيفي.

ابتسمت وأضافت:

- وكان هذا أفضل شيء فعلته. لم أرد التخلّي عن طفلتي أبدًا، ولكنني كنت في موقفٍ عسير ولم يكن لديّ خيار أن أضعها أولًا. ولكنني لم أنسها أبدًا.

- هل أنتِ من أسميتيها « سكاي » ؟

أومأت «ليزا»:

- لم أرَ في حياتي طفلًا صغيرًا بوجه مشرق أو عينين زرقاوين مثلها. كما أن « جزيرة سكاي » موطن أجدادي . .. ولذا بدا اختيار الاسم مناسبًا.

- وماذا الآن؟

- أظن أن الوقت حان لأكمل حياتي. تلقيّت عرضًا لمنصبٍ في الجنوب، وأظن أنني سأقبله. لا يمكنني أن أتحمل أن تشكّ « سكاي » بشأن اهتمامي بها. أنا مرتاحة البال الآن بخصوص سلامتها وسعادتها. لديها أسرة تحبها ولا شك لديّ أن « دانيل » سيعود إلى طبيعته ليستمتع بالحياة مجددًا، مثلما فعل من قبل. أتمنى حقًّا أن يبقى الاثنان معًا.

- يليقان ببعضهما فعلًا، كما أن توقعك لهذا الشاب صائبٌ تمامًا. ومع وجود والدته «روبي كيندر» بجواره وعدم تخطيطها السفر مجددًا وكذلك « سكاي » كداعمة له، أظن أن لديه

فرصة عظيمة.

- هل لي أن أسألك سؤالًا أخيرًا يا سيادة المفتش؟

تحرّكت «ليزا» في مقعدها بغير راحة:

- هل كان لـ«جاي بريستون » أي صلة بمستشفانا؟ لم أره هناك قط، وأنا أعمل بشكلٍ مقرب جدًا من قسم العلاج النفسي.

هزّ « جاكمان » رأسه قليلًا وقال:

- لا، كان منتسبًا للعديد من المستشفيات والعيادات الخاصة. حصوله على العقاقير أمرٌ سهل. وعندما اختار آخر ضحيتين له، يبدو أن كليهما طلبا أن يبقى الأمر سرًا بالكامل، فأرادا لأسبابٍ شخصية أن يبقيا بعيدًا عن الأنظار. نعتقد أنه ربما استخدم اسمًا مختلفًا معهما. خطّط لهما بعناية، ولذا وثقا به عميانًا.

- ثم قتلهما.

نظرت «ليزا» بغضب:

- كيف له هذا؟ كان طبيبًا! ماذا حدث لعبارة « وأن أصون حياة الإنسان في كافة أدوارها » في قَسم أبقراط الطبي؟

قضم « جاكمان » شفته السفلى:

- أكدت لي « ماري » أنه كان طبيبًا بارعًا يومًا

ما يا «ليزا». كان من الأفضل في مجاله. ساعد الكثير من المضطربين على استعادة حياتهم.

أخبرها « جاكمان » عن طريقة هجوم مجرم عليه في غرفة التحقيقات.

- العقل قوةٌ مهولة، ولكن من الناحية الأخرى ضعيف كجناح فراشة. أعتقد أنك لو عملت في مثل تلك البيئة وحدث شيء لك، حسنًا، لن يعلم أحدنا كيف يؤثر الأمر علينا أو ماذا نحن قادرين على فعله، أليس كذلك؟

تحسّست كتفها المصاب برفق:

- وبمناسبة الانهيارات العقلية، عندما رأيت « دانيل » و«سكاي» قبل أن يهرب مباشرة عرفت أنه مضطربٌ للغاية. عدت إلى البيت وبحثت عن كل شيء ممكن عن تلك الفجوات. لا بد أن الشاب الغلبان كان يعاني بشدة لمدة طويلة.

أشار « جاكمان » إلى التقرير الراقد على مكتبه:

- من الواضح . .. لا بد أن حياته كان فوضى عارمة. أحيانًا لا يكون للحقيقة معنى على الإطلاق، وأحيانًا كان يعود إلى صوابه.

نظر إلى «ليزا»:

- وفي حالته الأخرى، جرح نفسه. ليست سجحات شفرة أو أي شيء خطير، باستثناء المرة الأخيرة طبعًا. كان جرحًا داميًا عامةً. تم العثور

على ملابس دامية كثيرة في قبوه، كلها بدمائه، بعضها قديم.

- ألم يدرك أنه فعل هذا عندما عاد إلى حالته الطبيعية؟

- يقول « دانيل » إنه لاحظ الجروح، ولكن لا يدري كيف أصيب بها، ما أثار قلقه أكثر بخصوص فجوات ذاكرته. الأمر الغريب أنه كان يبدو ويتصرف على نحوٍ غير ملحوظ، حتى عندما كان عقله مشوشًا ومضطربًا. إنها طبيعة الوحش! ولكنه يحصل أخيرًا على أفضل علاج، والآن يعرف أن كل تلك النوبات الفظيعة حدثت بسبب الضرر الذي وقع عليه من أثر أول أكسيد الكربون. لديه إجابات قائمة على حقائق الآن، لذا يمكنه أن يستمر في حياته.

- كما أتمنى أن نفعل جميعًا يا سيادة المفتش. شكرًا لك مجددًا على كتمانك بشأن «سكاي». لم أعتقد في إخفاء الحقيقة عندما يتعملق الأمر بالأمومة، وحالة « دانيل » الغلبان أكبر شاهد على هذا. ولكن أحيانًا من الأفضل أن تُترك المياه غير مضطربة. إذا شعرت « سكاي » يومًا برغبة في تتبع أمها الطبيعية سيكون الأمر مختلفًا، ولكن الأمور . ..

- الجهل نعمة!

أومأت «ليزا»:

- بالتأكيد يا سيادة المفتش «جاكمان» . .. بالتأكيد!

الملاحظات

[[1]]

() حركة فنية تشكلت في القرن التاسع عشر.